الجواهر والدرر

مِمّا استفاده سيدي عبد الوهّاب الشّعراني من شيخه سيدي علي الخوّاص

للإمام القطب العارف بالله

أبي المواهب عبد الوهّاب بن أحمد الشّعراني

المتوفّى سنة ٩٧٣هـ



خرّج أحاديثه

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن



منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٠/١١/١٢ ٨٠٤٨ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: الجواهر والدرر مما استفاده سيدي عبد الوهاب الشعراني من شيخه سيدي علي الخواص

المؤلف: عبد الوهاب الشعراني

المحقق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

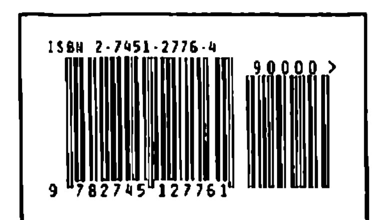
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 168

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



ISBN 2-7451-2776-4

بسم الله الرّحمٰن الرحيم

ترجمة المصنف[1]

هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرقا بن موسى ابن السلطان أحمد التلمساني الشافعي المصري، المعروف بالشعراني. محدِّث، فقيه، صوفي. توفي في جمادى الأولى من سنة ٩٧٣هـ.

له من المصنّفات:

- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية.
- الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية.
- الأخلاق المتبولية المُفاضة من الحضرة المحمدية.
- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء.
- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية.
- البحر المورود في المواثيق والعهود.
- البروق والخواطف.
- تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء.
- تنبيه المغترّين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.
- الجواهر والدّرر، وهو الكتاب الذي بين أيدينا.
- الجوهر المصون والسرّ المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم.
- حقوق أُخوّة الإسلام.
- درر الغواص في فتاوى سيدي علي الخوّاص.
- الدّرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة.
- ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى.

---

(١) هدية العارفين (١/٦٤١، ٦٤٢).

- الدّرر واللمع في الصدق والورع.
- السّراج المنير في غرائب أحاديث البشير النذير.
- سرّ المسير والتزوّد ليوم المصير.
- السرّ المرقوم فيما اختصَّ به أهل الله من العلوم.
- شرح جمع الجوامع للسبكي في الفروع.
- الطراز الأبهج على خطبة المنهج.
- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد.
- علامات الخذلان على مَن لم يعمل بالقرآن.
- الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين.
- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب.
- فرائد القلائد في علم العقائد.
- القواعد الكشفية الموضحات لمعاني صفات الإلٰهية.
- القول المبين في بيان آداب الطالبين.
- القول المبين في الرّدّ على الشيخ محيي الدين.
- الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر.
- كتاب المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدّث بنعمة الله.
- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان.
- كشف الغمّة عن جميع الأمة، في الحديث.
- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدّث بنعمة الله سبحانه وتعالى على الإطلاق.
- لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار.
- لواقح الأنوار القدسية المنتخب من الفتوحات المكية.
- المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر.
- مختصر الألفية لابن مالك في النحو.
- مختصر المدوَّنة في الفروع المالكية.
- مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية.
- مقتحم الأكباد في مواد الاجتهاد.
- المقدمة النحوية في علم العربية.
- منع الموانع.
- المنهج المبين في أخلاق العارفين.

- منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدَّعين للطريق.
- المنهج المبين في بيان أدلة الأئمة المجتهدين.
- الميزان الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلّديهم في الشريعة المحمدية.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.
- النور الفارق بين المريد الصادق وغير الصادق.
- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على أشرف المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعـد، . . .

فقد التمس مني بعض الإخوان الخصيصين بي حفظهم الله من الشيطان أن أذكر لهم ما تلقَّيته من شيخي وقدوتي إلى الله تعالى الشيخ الكامل الراسخ المحقِّق صاحب الكشوفات الربَّانيَّة والمعارف اللدنية سيدي علي الخوَّاص بمصر المحروسة رضي الله عنه مما فاوضته فيه من الجواهر والدّرر، أو سمعته منه حال مجالستي له مدة عشر سنين فأجبتهم إلى ذلك مستعينًا بالله عزَّ وجل فما كان من صحة وصواب فمن نفحاته رضي الله عنه وما كان من خطأ وتحريف فهو مني والتَّبِعة عليَّ في ذلك دنيا وأُخرى وأقول أستغفر الله العظيم.

فرحم الله امرءًا رأى في هذا الكتاب خطأً أو تحريفًا عن سواء السبيل فأصلحه أو جوابًا أوضح من جواب الشيخ رحمه الله فكتبه عقب جوابه فإنه رضي الله عنه كان أُميًا لا يعرف الخط، وإنما كنت أنا أُترجم بالعبارة المألوفة بين العلماء على أني قد أوضحت أكثر الأجوبة بما اقتبسته من شعاع نور كلام أهل الدوائر الكبرى كالشيخ أبي الحسن الشاذلي[1]،

---

(١) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغرب (٥٩١ ـ ٦٥٦ هـ = ١١٩٥ ـ ١٢٥٨ م) أبو الحسن. رأس الطائفة الشاذلية، من المتصرفة، وصاحب الأوراد المسمّاة «حزب الشاذلي». ولد في بلاد «غمارة» بريف المغرب، ونشأ في بني زرويل وتفقَّه وتصوَّف بتونس، وسكن «شاذلة» فنسب إليها، وطلب «الكيمياء» في ابتداء أمره ثم تركها، ورحل إلى بلاد المشرق فحجَّ ودخل العراق، ثم سكن الإسكندرية، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج، وكان ضريرًا. له «نزهة القلوب وبغية المطلوب» و«السرّ الجليل في خواص حسبنا الله ونِعم الوكيل» وغير ذلك. الأعلام ٤/ ٣٠٥، وطبقات الشعراني ٢/ ٤، والتاج -زبيدي ٧/ ٣٨٨.

وسيدي أبي السعود عن أبي العشائر وأضرابهما رضي الله عنهم كما ستراه إن شاء الله تعالى.

واعلم أنه لا يمكنني أن أستحضر كلّ ما فاوضته فيه من المسائل لكثرة نسياني وضعف جناني، فإنه لا مرقى لفهم كلامه إلا بالسلم الذي صعد منه الشيخ رضي الله عنه، ولكنني أسلك في ذلك طريقًا وسطًا لا لوم فيها إن شاء الله تعالى وهو أن المسائل التي لا يمكن وصول معانيها إلى السامع إلا ذوقًا أذكرها بلفظه دون أن أتعرَّض لمعناها والمسائل التي أعلم أنه سترها عن قوم دون قوم أُوضح معناها بما يفتح الله تعالى به عليَّ ذلك الوقت والمسائل التي علمت أنه سترها مطلقًا أذكرها مطلقًا على سبيل الإشارة وهو حسبي ونِعْمَ الوكيل.

وسمَّيته بالجواهر والدّرر: ووسَمتُ كلّ قولة منه باسم شيء من الجواهر النفيسة إشارة لعزَّة الجواب عنها بين أظهر العلماء على حسب تفاوت درجات ذلك الكلام في النّفاسة فأقول: ماس، كافور، كبريت أحمر، ياقوت، بلخش، جوهر، درّي، زبرجد، زمرّد، مرجان، ونحو ذلك والله حسبي ونِعْمَ الوكيل.

ولنشرع في مقصود الكتاب بعون الملك الوهَّاب فأقول وبالله التوفيق والهداية لأقوَم طريق.

(ياقوت): سألت سيدي عليًا الخوّاص رضي الله عنه: إذا كان كل شيء في الوجود حيًا درّاكًا عند أهل الكشف فبأيّ شيء زاد الحيوان على الجماد في شهود العامَّة؟ فقال: زاد الجماد بالشهوة فقط زيادة على الإدراك وقد جاء في السُّنَّة الصحيحة ما يشهد لمعرفته بالله تعالى وبأوامره ومعرفته بكل شيء وفهمه كل كلام ولكنه عاجز عن إسماعنا النطق بالله تعالى إلا أن يُنطقه الله تعالى لنا معجزة لنبي، أو كرامة لوليّ، لا سيما الحيوان الصامت، أي بالنسبة لمخاطبتنا كما ستأتي الإشارة إليه قريبًا.

وقد كان ﷺ راكبًا يومًا على بغلته فمرَّ على قبر داثر فجفلت البغلة فقال ﷺ: «إنها رأت صاحب هذا القبر يُعذَّب فلذلك نفرت». وفي الصحيح أن كل شيء يسمع عذاب القبر إلا الجنّ والإنس، وقد شهد ذلك جماعة من الأولياء من طريق كشفهم، منهم: الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه وشفع له فمن ذلك اليوم ما سمع له صياح إلى الآن، وأخبر الشيخ محمد أن ذلك المُعَذَّب كان كيّالاً للحبوب ولمَّا هاجر ﷺ إلى المدينة وتعرَّض كلّ من الأنصار لزمام ناقته قال ﷺ: «دعوها فإنها مأمورة ولا يؤمَر إلا مَن يعقل»[1].

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/ ٦٣)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٢)، وابن=

وفي القرآن العظيم ﴿وما من دابَّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمم أمثالكم﴾ [الأنعام: ٣٨] والأمثال هم المشتركون في صفات النفس كلهم حيوان ناطق إلا أن كل جنس يقلّ في غيره معرفة اصطلاحه في نطقه لبعضه والله أعلم، ثم قال تعالى فيهم: ﴿ثم إلى ربهم يُحشرون﴾ [الأنعام: ٣٨]، يعني كما تُحشَرون أنتم وهو قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حُشِرَت﴾ [التكوير: ٥]، يعني للشهادة يوم الفصل والقضاء ليفصل الله بينهم، كما يفصل بيننا فيأخذ للشاة الجماء[1] من الشاة القرناء، كما ورد في ذلك دليل على أنهم مُخاطَبون مُكلَّفون من عند الله من حيث لا يشعر المحجوبون.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿وإن من أُمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر: ٢٤] فنكّر تعالى الأمة والنذير وهم من جملة الأمم، فقلت له: فهل نذيرهم من ذواتهم أو خارج عنهم من جنسهم؟ فقال: كل ذلك يكون، ولكن لا يعلم ذلك إلا مَن أشهده الله تعالى، إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم، مع أنه تعالى ذكر أن الشياطين يُوحون إلى الإنس ما يجادلون به بعضهم ويظن المجادل أنه من عند نفسه، وإنما هو من عند الشيطان أوحاه إليه من حيث لا يشعر لحجابه، ثم لا يجادل دائمًا إلا المحجوبون لأنه ليس من أهل الكشف جدال في شيء.

وقد ورد أيضًا في الكلاب أنها أُمة من الأمم، وكذلك ورد في النمل والفأر والحشرات أنها أُمم أمثالها حتى كان عبد الله بن عباس[2] رضي الله عنهما يقول جميع ما في الأُمم فينا حتى فيهم ابن عباس مثلي، فقلت له: فهل تشبيه الحق تعالى مَن ضلَّ من عباده بالأنعام في قوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ [الفرقان: ٤٤] بيان لنقص الأنعام عن الإنسان أم لكمالها في العلم بالله تعالى؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم ولكن سمعت بعضهم يقول: ليس تشبيههم بالأنعام نقصًا في الأنعام إنما هو لبيان كمال مرتبتها في العلم بالله، حتى حارت فيه، فالتشبيه في

= حجر في (فتح الباري ٧/ ٢٤٥)، وسعيد بن منصور في (السنن ٢٩٧٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٩/ ٤٦٣)، والبيهقي في (دلائل النبوّة ٢/ ٥٠٩)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٣٣٥، ٥/ ٤٠، ١٠/ ٤١٦)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٥١١).

(١) جممت الشاة: كانت بغير قرن فهي جماء.

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي (٣ ق.هـ ـ ٦٨ هـ = ٦١٩ ـ ٦٨٧ م) أبو العباس حَبْر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع عليّ الجمل وصفّين، وكفّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثًا. الأعلام ٤/ ٩٥، وصف الصفوة ١/ ٣١٤، وحلية ١/ ٣١٤، الإصابة ت ٤٧٧٢.

الحقيقة واقع في الحيرة لا في المُحار فيه، فلا أشد حيرة من العلماء بالله تعالى، فأعلى ما يصل إليه العلماء في العلم بالله تعالى مبتدأ البهائم التي لم تنتقل عنه، أي عن أصله وإن كانت منتقلة في شؤونه بتنقّل الشؤون الإلـٰهية لأنها لا تثبت على حال، ولهذا كان مَن وصفهم الله تعالى من هؤلاء القوم أضلّ سبيلاً من الأنعام لأنهم يريدون الخروج من الحيرة من طريق فكرهم ونظرهم، ولا يمكن لهم ذلك والبهائم علمت ذلك ووقفت عنده ولم تطلب الخروج عنه وذلك لشدّة علمها بالله تعالى. انتهى.

فقلت له: فإذًا ما سُمّيت البهائم إلا لكون أمر كلامها وأحوالها أُبهم على غالب الخلق، لا أن الأمر أُبهِمَ عليها هي؟

فقال رضي الله عنه: والأمر كذلك، فإنه إنما كان إبهام أمرها من حيث جهل الخلق بذلك وحيرتهم فيه فلم يعرفوا صورة أمرها كما علمه أهل الكشف. فقلت له: فما سبب حيرة الخلق في أمر الحيوانات؟ فقال رضي الله عنه: سببها ما يرونه من أعمال بعض الحيوانات الصادرة عنها مما لا يصدر إلا عن فكر ورويّة صحيحة، ونظر دقيق، ولم يكشف الله تعالى لهم عن عقلها ومعرفتها، ولا يقدرون على إنكار ما يرونه يصدر عنها من الصنائع المُحكَمة، فحاربوا، وهبك أن هؤلاء المحجوبين يتأوّلون ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من نطقهم ونسبة القول إليهم فليت شعري ماذا يفعلون فيما يرونه مشاهدة كالنحل في صنعتها أقراص الشمع وما في صنعتها من الحِكَم والآداب مع الله تعالى، وكالعناكب في ترتيب الحبالات لصيد الذُّباب، حيث جعل الله أرزاقها فيه، وما يدّخره النمل وبعض الحيوانات من أقواتهم وبناء أعشاشهم وإقامتها من القش والطين ونحو ذلك على ميزان معلوم وقدر مخصوص واحتياطهم على أنفسهم في أقواتهم، فيأكلون نصف ما يدّخرونه خوف الجدب فلا يجدون ما يتقوّتون به، فإن كان ذلك عن نظر فهم يشبهون أهل النظر فأين عدم العقل الذي يُنسَب إليهم، وإن كان ذلك علمًا ضروريًا فقد أشبهونا فيما لا ندركه إلا بالضرورة، فلا فرق إذًا بيننا وبينهم، ولو رفع الله عن أعين الخلق حجاب العمى كما رفعه عن أهل الشهود وبصائر أهل الإيمان لرأوا عجبًا، وفي عشق الأشجار بعضها بعضًا وطلبها اللقاح أظهر آية لأهل النظر إذا أنصفوا.

وقد شهدت شيخنا الشيخ عليًا الخوّاص رضي الله عنه يعامل كل جماد في الوجود معاملة الحيّ، فضلاً عن الحيوانات ويقول: إن كل جماد يفهم الخطاب ويتألم كما يتألم الحيوان، وقال: وقد بلغنا أن النملة التي كلّمت سليمان عليه السلام قالت: يا نبيّ الله أعطني الأمان وأنا أنصحك لشيء ما أظنك تعلمه فأعطاها الأمان فأسرّت له في أُذنه

وقالت: إني أشمّ من قولك هَبْ لي مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعدي رائحة الحسد، فتغيَّر سليمان عليه السلام واغبرَّ لونه، ثم قالت له: قد تركتَ الأدب مع الله من وجوه:

ومنها: عدم خروجك عن شحّ النفس الذي نهاك الله عنه إلى حضرة الكرم الذي أمرك الله به.

ومنها: مبالغتك في السؤال بأن لا يكون ذلك العطاء لأحد من عبيد سيّدك من بعدك، فحجرت على الحق تعالى بأن لا يعطي أحدًا بعد موتك ما أعطاك كل ذلك لمبالغتك في شدَّة الحرص.

ومنها: طلبك أن يكون مُلْك سيّدك لك وحدك بقولك: هَب لي، وغاب عنك أنك عبدٌ له، لا يصحّ أن تملك معه شيئًا مع أن فرحك بالعطاء لا يكون قطّ إلا مع شهود ملكك له، وكفى بذلك جهلاً، ثم قالت: يا سليمان، وماذا ملْكَكَ الذي سألته أن يعطيكه؟ فقال: خاتمي، قالت: أُفٍ لمَلَك يحويه خاتم، انتهى كلام النملة والله أعلم.

(ماس)[1]: سألت شيخنا رضي الله عنه: كيف كان أولاد آدم يحفظون المصحف والنواميس ولم يكن أحد منهم في ذلك الزمن يعرف الخط لكون الله لم يعلِّمه لأحد؟

فقال رضي الله عنه: كان آدم وبنوه لجودة معرفتهم قليلين النسيان، فكانوا يحفظون أسماء الحروف، ويتكلَّمون باللفظ، وينطقون بالمعنى، ويدلون عليها ولم يكن أحد منهم يخطّ بيده بقلم، إنما كان أحدهم يُلَقَّن الكلام فيحفظه لقلَّة ألفاظه وعدد الحروف، ولم يكن في الأرض إذ ذاك من العالم الإنساني إلا ناس يسيرون، وكان الكلام بينهم فيما يحتاجون إليه فقط، ولم يكن لهم حديث فيما مضى ولا حاجة بهم إليه ولا بآثار مَن كان قبلهم في كتاب يحفظونه، وذلك لأن كلام الملائكة الذي هو اللغة السريانية لا يُكتَب في الأجسام الطبيعية، وإنما هيولاها[2] الجواهر النفسانية، ولذلك كان الرجل في هذا الزمان لا يحتاج هو وأهل بيته أن يكتبوا جميع ما يحتاجون إليه ولا أن يُثبتوا جميع ما في بيوتهم في كتاب مأكول ومشروب ومُنتَفَع به، وإنما حاجتهم إلى علم ذلك ليعلِّموه لأولادهم حتى ينشئوا عليه بأيّ لفظ كان، فلم يزالوا على ذلك إلى أن تغيَّرت أحوالهم

---

(١) الألماس: من الأحجار الكريمة النفيسة، شفَّاف، شديد اللمعان، وهو أشد الأجسام صلابة يؤثّر فيها جميعها ولا يؤثر فيه جسم (د) «يونانية».

(٢) الهيولى: مادة الشيء التي يصنع منها. والهيولى (عند القدماء): المادة التي خلقت منها أجزاء العالم المادية، وهي مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكّل في شتى الصور.

ونقصت معرفتهم وكثر نسيانهم وكثرت أخبارهم وطلبوا معرفة أخبار القرون الماضية وأظهرَ الله لهم صناعة الكتابة لطفًا منه ورحمة. فقلت له: فهل علّم الله تعالى آدم لمّا أُنزِلَ إلى الهند الحروف الهندية أم العربية؟

فقال رضي الله عنه: ما علّمه إلا الحروف الهندية، وهي هذه التسعة أشكال لا غير ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، فمن هذه جُمِعَت أسماء جميع الموجودات وانعقد بها جميع المعاني واجتمعت بها أجزاء الحساب كلها والأعداد بأسرها فكان آدم عليه السلام يعرف بهذه الحروف أسماء الأشياء كلها وصفاتها على ما هي به موجودة من أشكالها وهيئاتها، ولم يزل آدم عليه السلام وبنوه كذلك إلى أن كثر أولاده وتكلّم بالسريانية وتشكّل الفلك بشكل أوجب التغيير بعد موت آدم عليه السلام، فزِيدَ في الحروف وما زالت تزيد وتتسع الأشياء شيئًا بعد شيء إلى أن كَمُلَت عدّتها ثمانية وعشرين حرفًا أُلِّفَت منها اللغة العربية فكانت خاتمة الحروف لخاتمة اللغات، وعلى شريعة صاحبها تقوم الساعة من غير زيادة. قلت: ورأيت غالب هذه القولة في كلام المخريطي رحمه الله تعالى والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الخوف من الله عزّ وجل: هل هو حقيقة من ذات الحق تعالى أو بما يكون من الحق؟ فقال رضي الله عنه: لا يصحّ الخوف من ذات الحق تعالى لجهل الخائف بها وإنما يخاف العبد مما يكون منه تعالى، قال تعالى: ﴿يخافون يومًا تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور: ٣٧] فما خافوا إلا اليوم لما فيه من الشدائد. فقلت له: فما معنى قوله تعالى: يخافون ربهم من فوقهم؟ فقال: معناه يخافون من الأسباب المخيفة التي فوقهم. فقلت له: فهل يحصل عدم الخوف لأحد من المقرّبين؟ فقال: لا، ولو بلغ أعلى المراتب في الجنة لعلم المقرّبين بسعة الإطلاق الإلٰهي. فقلت له: فمتى يزول خوفه؟ فقال: يزول خوفه بدخول الجنة والله أعلم.

(ياقوت)[1]: سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧]، هل هذا النصر لهم دائمًا في كل وقت، أم هو خاصٌّ بعواقب الأمور فتكون الدولة للمؤمنين؟ فقال رضي الله عنه: النصر دائمًا مع الإيمان لما فيه من شدة الاستناد إلى الله تعالى. فقلت له: فمن أين وقع للصحابة رضي الله عنهم الانهزام

---

(١) الياقوت: حجر من الأحجار الكريمة، صلب ثقيل شفّاف مُشرَب بالحمرة أو الزُّرقة أو الصُّفرة (ج) يواقيت.

في بعض المواطن وهم المؤمنون بيقين؟ فقال رضي الله عنه: جاءهم الانهزام من ضعف توجّههم إلى الله تعالى حين أعجبتهم كثرتهم فلم تُغنِ عنهم شيئًا، وسمعت بعض أهل الشطح[1] يقول: كان المشركون إذ ذاك أقوى توجّهًا من الصحابة وأقوى إيمانًا بآلهتهم، والحق تعالى يغار أن تُنتَهَك حُرمة مسمّى الآلهة. فقلت له: إن الله تعالى قيَّد النصر بالمؤمنين بالله تعالى؟ فقال رضي الله عنه: من أين لك ذلك؟ فإنه تعالى أطلق الإيمان فما قال المؤمنين بكذا دون كذا، بل أطلق ليشمل مَن أخطأ في وضع اسم الإلٰه على الصنم وآمن به .اهـ.

قلت وهو كلام ساقط فإياك ثم إياك والله أعلم.

(در): قلت لشيخنا رضي الله عنه: لِمَ لم تؤوّل العلماء ما يقع من أكابر الأولياء من الألفاظ كما أوّلوها للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن البحر واحد؟ فقال رضي الله عنه: لو ثَمَّ إنصاف لكان الأولياء أحقّ بالتأويل لقصورهم عن مرتبة الشَّارع في الفصاحة والبيان ولكن ما ثَمَّ في كل عصر أقل من الإنصاف، وتأمّل قوله ﷺ: «أتاني الليلة آتٍ من ربي»[2]، وفي رواية: «أتاني ربي عزَّ وجلّ فوضع أصابعه بين ثدييَّ حتى وجدت برد أنامله فعلمت علم الأوّلين والآخرين»، لو قال ذلك وليّ لأجمعوا على قتله، وغاب عنهم أن الأولياء لهم الأشراف على حضرات الوحي، فربما تهبّ على قلوبهم من تلك الحضرة نفحات تكشف لهم عن حقائق الأمور الإلٰهية فيكون من الأدب قبول تلك النفحات بالإيمان، كما قُبِلَت من الأنبياء. فقلت له: فما المراد بقوله ﷺ في الحديث السابق: «فعلمت علم الأوّلين والآخرين»، هل العلم عامّ لجميع ما علّمه أُمته من منقول ومعقول في فقه أو نحو أو أُصول أو غير ذلك؟ فقال: نعم، هو شامل لجميع ذلك. فقلت له: فما المراد بالأوّلين والآخرين؟ فقال: مَن تقدَّمه من الأمم ومَن تأخّر من أتباعه إلى يوم القيامة. فقلت له: فإذن ردّنا لقول من أقوال العلماء سوء أدب مع الشَّارع ﷺ لأن ذلك القول من جملة علمه ﷺ. فقال رضي الله عنه: نعم، لا ينبغي لنا ردّ قول إلا بنص صريح من الشَّارع لا يفهم فإن أتى لقوله بدليل ولم نعلم نسخه عملنا بهذا تارة وبهذا تارة. فقلت له: إن ردّنا لقول معدود كذلك أيضًا من جملة علم النبي ﷺ فكيف الحال؟ فقال رضي الله عنه: صحيح ولكن من الأدب أن يشهد العبد عبودية نفسه وسيادة

---

(١) شطح في القول: تباعد واسترسل.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٥/١٥٩)، والسيوطي في (الدرّ المنثور ٢/٢٢٠، ٥/٢١٨ ـ ٢١٩) والمتقي الهندي في (كنز العمّال ٢١٣٨ ـ ٢٢١٦ ـ ٣١١٤ ـ ٤٨٦٠)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٥٩٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتّقين ١٠/٥٦٩).

غيره فيقبل من سيده كلّ ما قال ويرجع عن رأي نفسه. فقلت له: فإن لم نردّ قولاً من أقوال العلماء فكيف نتقيّد بمذهب؟ فقال رضي الله عنه: كلّ مَن تقيّد بمذهب واحد فإنه خير كثير والله أعلم.

(زمرّد)[1]: سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: باب الراحة مسدود على كُمَّل العارفين في هذه الدار حتى أن أحدهم يستحي من الله تعالى أن ينشّ[2] الذُّباب عن وجهه لقوة حيائه من الله تعالى أن يراه في طلب حظّ نفسه أو يأخذ ثأره من ذُبابة أو بعوضة أو قملة إذ الموطن الدنياوي عند العارفين يقتضي بذاته أن لا يكون أحد من العبيد هملاً كالبهائم، إنما يكون تحت أمر إلٰهي في جميع حركاته وسكناته فمَن نشّ الذُّباب عن وجهه في هذه الدار فقد طلب النعيم المعجَّل له في الدنيا.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه عن تحريم الوصال في الصوم هل هو عامّ في حق كل أحد أم خاصّ؟ فقال رضي الله عنه: لا أعلم ولكن سمعت بعضهم يقول هو خاصّ بمَن لم يظل يُطعَم ويُسقَى في مبيته، أما مَن يظلّ يُطعَم ويُسقَى في مبيته بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فله المواصلة، فهو تحريم شفقة من الشّارع لا غير فمَن قدر على المواصلة فله ذلك. فقلت له: إن العلماء يخالفون في ذلك. فقال رضي الله عنه: كلّ من الخلق مُفْتٍ على ما علّمه الله تعالى.

فقلت له: فهل لعلامة مَن ادَّعى أنه يُطعَم ويُسقَى في منامه علامة؟ فقال رضي الله عنه: نعم له علامة، وهو أن لا يجد ضعف في قوته ولا في عقله ولا في مزاجه، فمتى وجد ضعفًا فيما ذكر فليس له المواصلة وذلك لأن الله تعالى أعلم بمصالحنا الدنيوية والأُخروية وما وقّت لنا الجوع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس إلا لعلمه تعالى بأن الزيادة على ذلك تورث ضعفًا في الجسم فيعطِّل العبد عن أمور أخرى هي أهم من ذلك الجوع، كما يقع ذلك كثيرًا للعباد وللمتعبِّدين بلا شيخ يقتدون به. فقلت له: فإن كانت المواصلة لاستغراق حال أو وارد قوي حال بينه وبين الطعام؟ فقال رضي الله عنه: مثل هذا يسلَّم له حاله فإن من الفقراء مَن إذا أكل جاع وضعف بدنه وإذا طوى شبع وقوي كما شاهدنا من جماعة ابن عراق رحمه الله تعالى. فقلت له: فإذن جوع الأكابر إنما هو اضطرار لا اختيار. فقال رضي الله عنه: عم، لا ينبغي لعاقل الجوع المُضِرّ لبدنه وعنده طعام أبدًا ومتى جاع ظلَم نفسه وخرج عن العدل فيها، وذلك مذموم وقد كان ﷺ يقول:

---

(١) الزُّمُرُّد: حجر بلّوري كريم لونه يراوح بين الأخضر والأزرق وضروبه عديدة.

(٢) نش الذباب: ساقه وطرده.

«بئس الضجيع العدم»[1]، فما كان ﷺ يظلّ الليالي المتابعة طاويًا إلا لعدم ما يأكله أو إيثارًا لمَن هو أحوج منه كما صرَّحَت به الأحاديث والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، ما استند إليه الزاهد في الدنيا من الأسماء والحضرات الإلٰهية، فإنه لا بدَّ لكل شيء في العالم من استناده إلى حقيقة إلٰهية، ونرى الحق تعالى رجَّح وجوّد العالم على عدمه فبخلق مَن تخلَّق هذا الزاهد؟ فقال رضي الله عنه: الزهد في الدنيا هو هدى الأوَّلين والآخرين المتَّبِعين للأوامر الإلٰهية لأن الله تعالى قد عشق الخلق في الوجود وزيَّنه لهم وجعل ذلك حجابًا عليه لا يصل أحد إلى معرفته تعالى إلا بالإعراض عن زينة الكونين، فمَن زهد في الدنيا والآخرة فقد تخلَّص لربه عزَّ وجل، ومَن زهد في الدنيا فقد تخلَّص للآخرة، ومَن لم يزهد في الدنيا لم يتخلَّص بشيء وتعس وانتكس، فالزاهدون قد تخلَّقوا بأخلاق الله تعالى في كون الله تعالى منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها أعني نظر محبة ورغبة وإلا فهو تعالى ينظر إليها نظر تدبير وإمداد، ولولا ذلك ما كان لها وجود، وكذلك الزاهد لا ينظر إلى الدنيا نظر محبة ورغبة وإنما هو نظر تدبير لمعايشه التي لا يصحّ له أن يستغني عنها، فإن مَن ادَّعى الاستغناء بالله عن الدنيا فهو جاهل إذ الغنى بالحق حقيقة لا يصحّ، فالاستغناء عن الوجود عن نعت خاص بالله عزَّ وجل، فما بقي مقصود القوم بالزهد في الدنيا إلا فراغ القلب وعدم التعمّل في تحصيل ما زاد على ضرورات العبد لا غير، عكس مرادهم بالرغبة فيها فقلت له إن بعض الناس يزهد في الدنيا ويقول إنما أزهد فيها توسعة على إخواني في الرزق فما حُكمه؟ فقال رضي الله عنه: هو زهد معلول. فقلت له: فكيف؟ فقال: لأن في اعتقاده أن الذي تركه قسمة الحق له، ثم أعطاه للخلق وهو باطل. فقلت له: فما الخلاص في مقام الزهد؟ فقال رضي الله عنه: الخلاص أن يكون بما ضمنه الحق تعالى أوثق منه مما في يديه، ثم يتصرَّف فيما في يده تصرّف حكيم عليم إذ هو نائب الحق من حضرة اسميه المُعطي والمانع فيمنع بحق ويعطي بحق والله غفور رحيم.

(كبريت أحمر): سألت شيخنا رضي الله عنه عن حكم مَن بذل وسعه في الاستدلال على معرفة الله عزَّ وجل حتى لم يبقَ عليه بقية من بذل وسعه، ثم إن ذلك النظر أدّاه إلى تعطيل شيء من صفات الحق تعالى أو إثبات صفة لا تليق بالحق هل هو مُثاب في ذلك ما دام لم يصل إلى الحق في ذلك، أم يقال إنه غير مُثاب، وإذا كان غير مُثاب فما معنى مَن اجتهد فأخطأ فله أجر؟ فقال رضي الله عنه: واستدل، والشمس هذا حين كان في مقام الاستدلال، وقال: إذا كان الأنبياء يسامحون بمثل ذلك فغيرهم من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (أطعمة ٥٣)، وأبو داود (وتر ٣٢)، والنسائي (استعاذة ١٩، ٢٠).

باب أولى. انتهى. قال: ولم أجد ذلك في كلام أحد من أهل السُّنَّة والجماعة، فقلت لشيخنا رضي الله عنه: فعلى هذا لا يبقى اللوم إلا على مَن لم يوفِّ النظر حقه ولم يبذل وسعه. فقال رضي الله عنه: نعم. فقلت له: فما يقول هؤلاء في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرَك به﴾ [النساء: ١١٧]؟ فقال رضي الله عنه: يقولون لا يغفر لمَن أشرك به من غير بَذْل وِسع في طلب الحق في ذلك، أما مَن بذل وسعه فيغفر له. فقلت له: إن القرآن أطلق الحكم في المشرك. فقال رضي الله عنه: ومن هنا دخل الشاطحون وخالفوا أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك. فقلت له: فهل قول الحق تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وقل ربِّ اغفر وارحم﴾ [المؤمنون: ١١٨] شفاعة من الرسول في حق كل مَن أخطأ؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لكنها شفاعة مخصوصة بالدنيا قبل الآخرة فكأنه ﷺ قال: «ربِّ تب عليهم ليتوبوا عن خطئهم فيسعدوا بذلك ويموتوا عليه»، وذهب بعض أهل الشطح إلى أنها شفاعة لهم في الدنيا قبل الآخرة ولو ماتوا على غير توبة قالوا فإذا نالتهم سعادة التوحيد وخرجوا من النار وعلموا أن ذلك ببركة شفاعة الرسول فيهم عرفوا إذ ذاك قدر مقام رسول الله ﷺ فإنه رحمة للأمة كلها طائعهم وعاصِيهم، فيدخلون الجنة وينتمون فيها إليه وهذا من أكبر الكرم والله أعلم.

فقلت له: فهل دعاء رسول الله ﷺ بالمغفرة والرحمة في الآية السابقة خاصّ بأُمته أم يعمّ كلّ مَن كان بهذه الصفة من زمان آدم إلى قيام الساعة؟ فقال رضي الله عنه: هو عامّ في حق كل مَن وفى النظر حقه من جميع المكلَّفين لأنه ﷺ ما خصَّ في دعوته إلا مَن هذه صفته دون مَن لم يوفِّ النظر حقه. فقلت له: فإذًا ينبغي لكل نائب عن رسول الله ﷺ من الأولياء والعلماء أن يحضر في نفسه عند الدعاء بالمغفرة والرحمة جميع الفِرَق الإسلامية الخارجين عن أهل السُّنَّة والجماعة.

فقال رضي الله عنه: نعم، ينبغي لكل داعٍ أن يعمّ في دعائه جميع الفِرَق ممَّن له عذر من جميع الأُمم الخارجين عن طريق الاستقامة فمَن فعل ذلك فإن الله تعالى يضرب لهم بسهم في هذه الشفاعة، فلا تغفل يا أخي عن حظك منها، ولا تكن ممَّن غلب عليه إبليس والجهل بسعة رحمة الله فحجرها أن لا تصيب إلا الطائعين ولم يفرِّق بين مَن يأخذها وتناله من طريق الوجوب ممَّن تناله من عين المنَّة، وفي الصحيح يقول الله عزَّ وجل: أخرِجوا من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان.

وفي الحديث يخرج الناس من النار حتى يبقى فيها رجل لم يعمل خيرًا قطّ فيُخرِجه أرحم الراحمين»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٣١٧ ـ ٣٠٢ ـ ٣١٨ ـ ٣٢٠)، والبخاري (رقاق ٥٢).

فقلت له: فإذن ما نالت الرحمة مَن وفّى النظر حقه من أهالي الشقاء إلا من طريق المنّة عليه لا من طريق الأعمال. فقال رضي الله عنه: نعم.

(ياقوت): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: جميع ما علمه الإنسان قديمًا وحديثًا لا يتعدّى علم الفطرة حتى الإلهام والكشف وضروريات العقول. فقلت له: كيف ذلك؟ فقال رضي الله عنه: أما في غير الكشف فظاهر، وأما الكشف فإن غايته أن يكشف له عن العلم الذي فطره الله عليه فيرى معلومه بذلك، إلا أن الفكر هنا لا يتوصل به إلى علوم الكشف فلكل علم معالم ثم يرجع الأمر إلى ما منه يد. فقلت له: فبإذن كل علم استفاده العبد من غير كشف فإنما مرتبته الفكر. فقال رضي الله عنه: نعم كل ما أعطاه الفكر للنفس الناطقة مما هو علم في نفس الأمر فهو من الفكر. فقلت له: فمن أين يعرف علم الفطرة وهو من مدركات الحسّ فلم يبقَ إلا النظر؟ فقال رضي الله عنه: ليس الأمر كما تقول بل بقي الإلهام الربّاني والإعلام الإلـٰهي فتتلقاه النفس الناطقة من ربها كشفًا وذوقًا من الوجه الخاص لها ولكل موجود سوى الله تعالى.

فقلت له: فإذن الفكر الصحيح لا يزيد على الإمكان؟ فقال: نعم، وتأمل قول ابن عطاء حين غاصت رِجل الجمل الذي هو راكبه: جلّ الله. فقال له الجمل: جلّ الله. ففهم ابن عطاء الذي هو من أجلّ مشايخ رسالة القشيري[1] وما ذلك إلا لكون الجمل علم ما قاله بإعلام من الله لأنه ليس له فكر ولا رَوِيَّة يفهم بها الأمور كابن عطاء، فاستحى ابن عطاء من قول الجمل. وفي الصحيح أيضًا: إن بقرة في زمن بني إسرائيل حمل عليها صاحبها متاعًا، فقالت: ما خُلِقتُ لهذا، وإنما خُلِقتُ للحرث. فهذه بقرة من أصناف الحيوان قد علمت لماذا خُلِقَت له، والإنس والجنّ خُلِقوا ليعبدوا الله ويعرفوه ولو سألت بعضهم لأيّ شيء خُلِق لربما لم يَدْرِ جوابًا، ولذلك وقع التنبيه عليه في كتاب الله تعالى.

فقلت له: فهل كان هذا الذي وقع الإعلام به لنا مركوزًا في فطر نفوسنا؟ فقال رضي الله عنه: نعم، ولكن ما كشف لنا عمّا الأمر عليه بخلاف الحيوان غير الناطق فإنه

---

(١) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري (٣٧٦ ـ ٤٦٥ هـ = ٩٨٦ ـ ١٠٧٢م) من بني قشير بن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره، زهدًا وعلمًا بالدين. كانت إقامته في نيسابور وتوفي فيها، وكان السلطان ألب أرسلان يقدّمه ويكرمه. من كتبه «التيسير في التفسير» و«لطائف الإشارات» و«الرسالة القشيرية». الأعلام ٤/ ٥٧، وطبقات السبكي ٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٨، والوفيات ١/ ٢٩٩، وتاريخ بغداد ١١/ ٨٣، وكشف الظنون ٥٢٠ ـ ١٥٥١.

كشف له عمّا يؤول أمره إليه بالفطرة، فأعلى ما يصل إليه الآدمي من مقام الحيرة مبتدأ البهائم وهذا مبتدؤه أيضًا كما مرَّ بيانه. فقلت له: فهل تعلم الحيوانات بزلاّتنا ومعاصينا؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لا ينبغي لعاصٍ أن يعصي الله تعالى وبهيمة تنظر إليه فربما أنطقها الله بما رأت فضيحة لذلك العاصي.

فقلت له: فلِمَ قال رسول الله ﷺ في حديث البقرة السابق: «آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر حين قال الصحابة: أبقرة تتكلم يا رسول الله؟»[1]. ومعلوم أن الإيمان متعلقه الخبر فمَن المُخبِر لرسول الله ﷺ؟ فقال رضي الله عنه: المُخبِر له جبريل عليه السلام ولو أنه ﷺ كان عاين كلام البقرة من طريق كشفه لم يقل في حق نفسه «آمنت» فافهم والله أعلم.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن سبب رؤية الحق تعالى في النوم في صورة إنسان مع استحالتها على الله، ويقول المعبّر لقاصّ المنام منامك صحيح؟ فقال رضي الله عن: سبب رؤية الحق تعالى في الصور دخول الرائي حضرة الخيال، فإن الحضرات تحكم على النازل فيها وتكسوه من خلعها، وأين هذا التجلّي من ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] و﴿سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون﴾ [الصّافّات: ١٨٠]، فقلت له: فإذن الحكم للحضرة والموطن. فقال رضي الله عنه: نعم لأن الحكم للحقائق والمعاني توجب أحكامها لمَن قامت به ولذلك وقع هذا الحكم للأكابر وحكم عليهم الخيال كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الكلام على رؤيته ﷺ ربه عزَّ وجل في صورة شاب والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه عن ابتلاء الحق تعالى لأنبيائه وأصفيائه ما حكمته وهم مطهَّرون من الذنوب والفواحش؟ فقال رضي الله عنه: ابتلاء الحق تعالى للأنبياء إنما هو ليُثيبهم ويرفع درجاتهم لشدة اعتنائه تعالى بهم لا غير إذ لم يكن لهم ذنوب حتى تكفَّر عنهم للعصمة أو الحفظ فستر تعالى مقامهم في هذه الدار بتصريحه بالمغفرة لهم تأنيسًا للمؤمنين ورحمة بهم، وإلا فالمغفرة من أصلها لا ترد إلا على مسمّى الذنب وحاشا الأنبياء من حقيقة الذنب فافهم تعلم حكمة قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ [الكهف: ١١٠] فإن ذلك إنما هو تواضع منه ﷺ وإلا فأين المقام النبوي من مقام آحاد الناس.

---

(١) أخرجه الترمذي في (السُّنن ٣٦٧٧ ـ ٣٦٩٥)، والقرطبي في (التفسير ١٦/ ٦٦).

فقلت له: فهل يطلق على المغفرة اسم العقاب كما يسمى جزاء الخير ثوابًا؟ فقال رضي الله عنه: لا. فقلت له: سمعت بعض الناس يقول إن المغفرة عند العارف أشد بلاء من المؤاخذة لأن الحق تعالى إذا استوفى حقه من عبده حصل لعبده الراحة بذلك، وأما إذا غفر له فلا يزال في حياء وخجل ما عاش.

فقال رضي الله عنه: هذا كلام صدر ممّن لم يعرف الله حق معرفته وهل يمكن أن يُستوفى من عبد حق ربه، وإنما يدخل الجنة مَن يدخلها بفضل الله ورحمته وإن طال عذابه قبل ذلك، فلو مكث عبد في النار مائة ألف سنة أو أكثر على ذنب ارتكبه، ثم أُخرِج من النار لا يخرج منها إلا برحمة الله تعالى لتعذّر استيفاء حق الجزاء على الله تعالى بأحقر الذنوب بالنسبة لما يليق بعزّته وجلاله، وانظر لمّا أن اقتضى الحال استيفاء حق الله تعالى من الكفّار بمعنى عدم العفو عنهم كيف كان عذابهم لا غاية لشدته ولا نهاية لدوامه والله تعالى أعلم.

فقلت له: فإذن الكامل هو مَن كان على ما تقدّمت الإشارة إليه منكم؟ فقال رضي الله عنه: والأمر كذلك عند كل عارف خلافًا لأرباب الأحوال.

فقلت له: فما أسرع الجزاء وصولاً لصاحبه أهو جزاء الخير أو الشرّ؟ فقال رضي الله عنه: جزاء الخير أسرع وصولاً لفاعله من الشرّ وذلك لأن الثواب مأخوذ من ثابَ الشيء إذ سار إليه بالعجلة والسرعة، بخلاف الشرّ فإن حضرة مجازاته من حضرة اسمه تعالى الحليم الرّحمٰن اللذين يعطيان بذاتهما الحلم والتأنّي والمهلة والرحمة كما اقتضاه الكشف تبعًا لما أشار إليه قوله تعالى فاعلم ذلك.

(در): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول الإنسان مجبول على الحرص والطمع لأنه مخلوق على الأخلاق الإلـٰهية ومن حقيقة الأخلاق أنها تطلب أن يكون كل شيء لها وتحت حكمها وسلطانها.

فقلت له: فهل طلب الإنسان أن يكون كل شيء في العالم له من قسم العلم أو من قسم الجهل؟ فقال رضي الله عنه: من قسم الجهل لأنه تعالى من حين نفخ الروح في جميع الوجود وأمره بفتح عينيه أدرك وجودًا مظلمًا مقيّدًا وصار ذلك الوجود المطلق عند هذا الوجود المقيد بمثابة مَن رأى منامًا فلا يزال الوجود المقيد يطلب صفات الحق ولا تتضح له أبد الآبدين ودهر الداهرين فوقوفه على حكم الفقر والإفلاس أولى والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** [النحل: ٤٠] هل المراد حرف الكاف والنون أو المعنى الذي كان

به ظهور الأشياء وهل يلزم من قِدَم قول الحق كن قِدَم الأشياء المكوّنة فإن قول الحق تعالى كن قديمة وما الفرق بين أردناه وأردنا به وأردنا منه؟

فقال رضي الله عنه: ليس المراد بكن من الحق تعالى حرف الكاف والنون إنما المراد المعنى الذي كان به ظهور الأشياء فإن كن حجاب للمعنى لمَن عقل واستبصر، ولا يلزم من قِدَم كن من الحق قِدَم المكوّن من كل وجه، لأن التحقيق أن العالم قديم في العلم الإلٰهي حادث في الظهور.

وإيضاح السؤال أن يقال إن إبراز المعدوم إلى الوجود دليل على الاقتدار وما برز إلا بكن وكن عن القول وما كان الشيء عن تكوينه إلا عن كن، ولا يتّصف تعالى بأنه قادر على قول كن فإن قوله ليس بمخلوق وأثر القدرة إنما هو في المخلوق، والجواب ما تقدّم من أن العالم قديم في العلم حادث في الظهور، فمعنى قول الحق كن أي أظهر من علمنا الخاص بنا إلى عالم الشهادة، فلا شبهة في الآية لمَن قال بقِدَم العالم، وأما وقوع العصيان من الخلق فلا ينافي في قول الحق كن بل هو عين الطاعة للإرادة، ولكن لمّا كانت المعاصي قبيحة بين العباد لم نضفها إلى الله تعالى أدبًا مع علمنا بأنها عن إرادة الله صدرت، وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول هنا تحقيق في معنى هذه الآية وهو أن الأمر الإلٰهي إذا صدر من الحق بلا واسطة فلا يتخلّف المأمور عن التكوين فينبغي التنبيه له أبدًا، وإذا صدر من الوسائط فقد يتخلّف، وقد يتكوّن عن الإرادة في الحال ولذلك كان الحق تعالى يقول لعباده على ألسنة رسله: أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا واتقوا ولا يقع من بعض الناس شيء من ذلك لتوقف امتثالهم على الإرادة الإلٰهية، فكأنه تعالى قال لهم حينئذ اخلقوا وليس من شأنهم أن يخلقوا، فكأن المتعلق بهم جسم كن لا روحها فكانت كالميتة الممنوع من أكلها، وأما إذا تعلّق الإذن الإلٰهي الذي هو كن بإيجاد عين الجهاد أو الرباط أو الصلاة أو أيّ شيء كان من أفعال العباد فتكون في حين توجّهها عليه وليس من شأن الأفعال أن تقوم بأنفسها، وإلا كانت الصلاة تظهر في غير مصلٍّ والجهاد في غير مجاهد، فلا بدّ من ظهورها فيهما فإذا ظهر ذلك في المصلّي أو المجاهد أو غيرهما نسب الله تعالى الفعل إلى العبد وجازاه عليه منّة وفضلاً، فالخلق دائمًا لله وحده وللعبد النسبة لكونه محلاً لظهور الأفعال ولولا النسبة لكان ذلك قدحًا في الخطاب والتكليف ومباينة للحسّ وكان لا يوثق بالحسّ في شيء.

فقلت له: فهل لكل إنسان في باطنه قوة كن؟ فقال رضي الله عنه: نعم وليس له في ظاهره إلا المعتاد. فقلت له: هذا في الدنيا فكيف حاله في الآخرة؟ فقال رضي الله

عنه: يُعطى في الآخرة حكم كن في ظاهره حين يُعطى الكتاب من الحيّ الذي لا يموت الخ. فقلت له: فهل يُعطى أحد من الأولياء التصرّف بكن في هذه الدار؟ فقال رضي الله عنه: نعم بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فإنه تصرَّف بها في عدّة مواطن منها: قوله في غزوة: «كن أبا ذر[1] فكان أبا ذر»[2]، فقلت له: فهل تصرّف الأولياء بكن أولى أو تركه؟

فقال رضي الله عنه: ترك التصرّف بها مرتبة الأكابر الذي عملوا على قوله تعالى: ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ [الإسراء: ٢]، فتركوا الحق تعالى يتصرّف لهم على التصرّف بها أدبًا وذلك لأن هؤلاء رأوا أن الفعل ليس لهم عقلاً ولا كشفًا، فلما تيقنوا ذلك قالوا: فنحن نضيف الحسن أيضًا إلى الكشف والعقل ونسلم من الآفة التي ربما دخلت على المتصرّف ولو أن للفعل نسبة محقّقة إليهم لكان التصرّف منهم عين الأدب لأنك إذا كان الفعل لك محقّقًا وقلت للحق افعله عنّي فقد أسأت الأدب.

فقلت له: فهل أُعطي أحد من الملائكة التصرّف بكن؟ فقال رضي الله عنه: لا، إنما ذلك خاصٌّ بالإنسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة في العالم. فقلت له: هل تصرّف الأولياء بكن تصرّف مطلق يفعل به أحدهم ما شاء لو شاء؟ فقال رضي الله عنه: لا إنما هو تصرّف مقيد، إذ لا يقدر أحد من الخلق أن يخلق شيئًا أو يُنزِل المطر أو يُنبِت الزرع استقلالاً أبدًا، وأما الفرق بين أردناه وأردنا به وأردنا منه فاعلم أن الحق تعالى مُريد لكل ما وقع في الوجود من وجود أو عدم وإنما اختلف الحكم من حيث المتعلق، فإن الحق تعالى إذا أراد من عبده وقوع فعل مثلاً لم يقع لعجزهم وإذا أراد بهم ذلك وقع فوقع الفرق بين يريد منهم ويريد بهم. فقلت له: أريد أصرح من هذا. فقال رضي الله عنه: إيضاح ذلك أن يُقال لا يصحّ أن يأمرهم بالقيام وهو لا يريد منهم أن يقوموا إلا إقامة للحجة لا إرادة لوقوع القيام وذلك لأن نفس الأمر يقتضي القيام منهم ولا بدّ للأمر

---

(١) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد (... ـ ٣٢ هـ = ... ـ ٦٥٢ م) من بني غفار، من كنانة بن خزيمة أبو ذر، صحابي من كبارهم، قديم الإسلام. يُضرَب به المثل في الصدق وهو أول مَن حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية إلى عثمان فاستقدمه إلى المدينة فقدِمها فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذة فسكنها إلى أن مات. الأعلام ٢/١٤٠، وطبقات ابن سعيد ٤/١٦١ ـ ١٧٥، وصفة الصفوة ١/٢٣٨، وحلية الأولياء ١/١٥٦.

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٣/٥٠)، والبيهقي في (دلائل النبوّة ٥/٢٢٢)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٦٤٤)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٥/٨).

من إرادة وإنما يقال أراد بهم أن لا يقوم بهم القيام إذ متعلق الإرادة العدم والقيام عند طلبه ممّن ليس بقائم معدوم فإذا أراد الله تعالى وقوع القيام من المأمور بالقيام أمر القيام بالكون فكان القيام موجودًا بالمأمور من الآمر وإن لم يرد تعالى به القيام من المأمور بقي الآمر يقتضي الطلب من غير أن يخلق القيام في المحل. فقلت له: فهل الإرادة عين المشيئة أو غيرها؟ فقال رضي الله عنه: الإرادة والمشيئة متّحدان في التعلّق بالفعل والإيجاد، ولكن الإرادة تدخل تحت سلطان المشيئة من حيث الظهور والترتيب فيقال قد شاء الله أن يريد ولا يقال أراد الله أن يشاء.

فقلت له: أُريد أصرَح من هذا. فقال رضي الله عنه: اعلم أن ذات الحق تعالى من حيث هي هي تقتضي علمه بذاته بعين ذاته لا بصفة زائدة على علمه، وعلمه بذاته يقتضي علمه بجميع الأشياء على ما هي عليه في ذاتها وذلك الاقتضاء هو المشيئة التي يطلق عليها في بعض الأماكن الإرادة، وإن كانت الإرادة أخصّ من المشيئة.

فقلت: كيف؟ فقال رضي الله عنه: لأنها قد تتعلق بالزيادة والنقصان على سبيل الحدوث والظهور والخفاء والكمون، وأما الإرادة فإنما تتعلق بالإيجاد في المظاهر الكونية في العالم الأعلى والأسفل، ثم لا يقع بالإرادة إلا مقتضى المشيئة الأولى، فالمشيئة وصف الذات وإن كانت كذلك فقد تكون مع إرادة وبدونها، ومعلوم أن الإرادة من الصفات الموجبة للاسم المريد فلا تعلق إلا بالإيجاد بخلاف المشيئة فإنها تتعلق بالإيجاد والإعدام.

وإذًا قد علمت أن المشيئة وصف للذات وأنه لا بدّ لكل اسم منها أعني الذات كانت المشيئة من هذا الوجه عين الإرادة وكانت أعمّ منها من الوجه الآخر لأنها قد تتعلق بالإعدام أي بموجود تريد إعدامه كما قال تعالى: ﴿**إن يشأ يُذهِبكم ويأتِ بخلق جديد**﴾ [إبراهيم: ١٩].

وهنا تدقيق ينبغي أن يتفطن له وهو أن الله تعالى هو الشائي حقيقة فإن وجد العبد في نفسه إرادة لذلك فإرادة الحق عين إرادته لا غير، كما ورد في الصحيح «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»[1] الحديث، فكأنه تعالى يقول: فِعْلُ جميع قوى كل عبد بالأصالة لي من حيث لا يشعر ولهذا نطق كل محجوب أنه الفاعل، فإذن مشيئة العبد حقيقتها لله تعالى لا للعبد لأن مشيئة الله تعالى أصل مشيئة كل مشاء كما يقول مُثبِتو الحركة إن زيدًا تحرّك أو حرّك يده فإذا حقّقت قول أحدهم على مذهبه وجدت المحرّك

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨).

بيده إنما هو الحركة القائمة بيده، وإن كنت لا تراها فإنك تدرك أثرها ومع هذا تقول إن زيدًا حرّك يده والمحرِّك إنما هو الله تعالى، والله أعلم.

(مرجانة)[1]: سألت شيخنا رضي الله عنه: هل ندعو على الظَّلَمَة إذا جاروا؟ قال رضي الله عنه: لا، فإن جورهم لم يصدر حقيقة عنهم، وإنما صدر عن المظلوم إذ لا يصحّ أن يظلم حتى يُظلَم، والحكّام إنما هم مُسَلَّطون بحسب الأعمال أن لكم لما تحكمون وإنما هي أعمالكم تردّ عليكم والحق فعّال لما يريد والله أعلم.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: **﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾** [النحل: ٧٧] فقال رضي الله عنه: إنما كانت أقرب من لمح البصر لأن عين وصولها عين حكمها، وعين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم، وعين نفوذه عين تمامه وعين عمارة الدارين فريق في الجنة وفريق في السعير.

فقلت له: فهل سُمِّيَت الساعة بالساعة لكونها يُسعَى إليها بقطع الأزمان أو بقطع المسافات؟ فقال رضي الله عنه: لا إنه يُسعَى إليها بقطع الأزمان، فمَن مات وصلت إليه ساعته وقامت له قيامته إلى يوم الساعة الكبرى التي هي الساعات الأنفاس كالسنة لمجموع الأيام التي تعينها الفصول باختلاف أحكامها والله أعلم.

(زمرّد): سألت شيخنا رضي الله عنه عن الفرق بين العصمة وبين الحفظ ومتى يصحّ للعبد أن يستحق الحفظ من الوقوع فيما لا يليق؟ فقال رضي الله عنه: متى صحّ للعبد سجود القلب لله عزَّ وجل استحق العصمة إن كان نبيًا والحفظ إن كان وليًا.

فقلت له: كيف؟ فقال رضي الله عنه: لأن المعاصي لا تُعَدُّ إلا على مَن عنده بقية من الكبرياء والفخر والعظمة فيبتليه الله بالمعاصي لينكس رأسه ويرجع إلى مقام عبوديته من الذلّ والانكسار، وأما مَن مَنَّ الله تعالى عليه بسجود قلبه بين يديه فلم يبقَ عنده بقية كِبْر ولا فخر ودام سجوده أبد الآبدين، قال شيخنا: وإنما خصَّ العلماء لفظ العصمة بالأنبياء من أجل فِعلهم المُباح فإنهم لا يفعلونه إلا على جهة التشريع أنه مُباح فهو واجب عليهم فعله لوجوب التبليغ عليهم، فلذلك كان لا يتصور منهم معصية قطّ لأنهم لو صدق عليهم فعلها لصدق عليهم تشريع المعاصي لكونهم مُشَرِّعين بأقوالهم كلها وأفعالهم بخلاف غيرهم إذا فعلوا مُباحًا لا يفعلونه إلا على أنه مُباح فهذا هو الفرق بين العصمة والحفظ بالنظر للفظ لا للمعنى فافهم.

---

(١) المرجان: اللآلىء الصغار البيض، أو الجواهر الحمر.

(كبريتة حمراء): سألت شيخنا رضي الله عنه عن سبب تسليط العالم بعضه على بعض؟ فقال رضي الله عنه: سبب ذلك ما في الأسماء الإلٰهية من التّضادّ وطلب كل اسم ظهور أهل حضرته وتنفيذ أحكامه فيهم، فكل اسم يستعين بالمشارك له من الأسماء فلذلك خرج الخلق على صورة الأسماء الإلٰهية فمنهم المعان ومنهم المعين، ولمّا كان الأمر في الوجود واقعًا هكذا أمر عباده بالتعاون على البرّ والتقوى حتى يكون ما فطرا عليه من هذا الوجه عبادة عن أمر إلٰهي لا بتلك الحقيقة التي هم عليها، ونهاهم عن استعمال الحقيقة الأخرى التي هي التعاون على الإثم والعدوان فيعطّلونها ولا يستعملونها في شيء.

قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: ومما يخفى وجهه على غالب العلماء فضلاً عن غيرهم تحريم إعانة الرجل أخاه على ظالم نفسه، كما إذا دعى إنسان عليك بشيء وهو كاذب في دعواه عندك ولم يقم عليك بيّنة فيجب عليك حينئذ اليمين وليس لك أن تردّها على المدّعي ليحلف ويأخذ منك ذلك الشيء الذي ادّعاه، فإن رُدَّت اليمين كنت مُعينًا لأخيك على ظلم نفسه، وعليك حينئذ إثم اليمين الفاجرة كما عليه الآخر كذلك، فإنك أنت الذي جعلته يحلف بردّك اليمين عليه ولو كنت حلفت لأحرزت نفس صاحبك أن يتصرّف فيما ظلمك فيه وقمت بواجب نصحه وإعانته على البِرّ والتقوى، ثم لا يزال الإثم على المدّعي ما دام يتصرّف في ذلك المال ولا يزال الإثم على المدّعى عليه كذلك من حيث إنه أعان أخاه على الظلم ومن حيث عصى أمر الله بترك اليمين فإنها كانت واجبة عليه، فلو كان حلف لفعل ما أوجب الله عليه وكان مأجورًا وخلّص صاحبه من التصرّف بالظلم في مال الغير فكان له أجْر ذلك، فلم يبقَ حينئذ على المدّعي لو حلف المدّعى عليه إلا إثم يمينه خاصة وهي يمين الغموس[1]، وهذه المسألة لطيفة في الشرع لا يَنْظُر فيها بهذا النظر إلا مَن استبرأ لدينه.

فقلت له: فهل على الحاكم إذا حلّفه إثم في اليمين المردودة؟ فقال رضي الله عنه: إذا أدّى اجتهاده إلى ذلك فلا إثم والله تعالى أعلم.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه عن سبب تخصيص عيسى عليه السلام ووصفه بأنه روح الله دون غيره من الخلق؟ فقال رضي الله عنه: ذهب الشيخ محيي الدين رضي الله عنه، إلى أن سبب تخصيصه بهذا الوصف أن النافخ له من حيث الصورة

---

(١) اليمين الغموس: الكاذبة التي يتعمّد صاحبها عالمًا بأن الأمر بخلافه وهي التي تغمس صاحبها في الإثم.

الجبريلية هو الحق تعالى لا غيره، فكان بذلك روحًا كاملاً مُظهِرًا لاسم الله صادرًا من اسم ذاتي، ولم يكن صادرًا من الأسماء الفرعية كغيره، ولا كان بينه وبين الله تعالى وسائط كما هي أرواح الأنبياء غيره، فإن أرواحهم وإن كانت من حضرة اسم الله تعالى لكنها بتوسّط تجليات كثيرة من سائر الحضرات الأسمائية فما سُمِّي عيسى روح الله وكلمته إلا لكونه وُجِدَ من باطن أحديَّة جميع الحضرات الإلـٰهية، ولذلك صدرت منه الأفعال الخاصة بالله تعالى من إحياء الموتى وخلق الطير وتأثيره في الجنس العالي من الصور الإنسانية بإحيائها من القبور، وفي الجنس الدّون كخلقه الخفاش[1] من الطين، وكانت دعوته عليه السلام إلى الباطن والعالم القدسي، فإن الكلمة إنما هي من باطن اسم الله وهويته الغيبية، ولذلك طهَّر الله تعالى جسمه من الأقذار الطبيعية لأنه روح متجسدة في بدن مثالي روحاني، فإن جبريل لمَّا نقل كلمة الله لمريم مثل ما ينقل الرسول كلام الله تعالى لأمته سَرَت الشهوة في مريم فخلق جسم عيسى من ماء محقّق من مريم ومن ماء متوهم من جبريل، وسرى ذلك في طَوِيَّة نفخ جبريل، إذ النفخ من الجسم الحيواني رطب لما فيه من ركن الماء، فخرج عيسى على صورة البشر من أجل أُمه ومن أجل تمثل جبريل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع إلا على الحكم المعتاد.

فقلت لشيخنا رضي الله عنه: فما سبب اتخاذ قوم عيسى الصور في كنائسهم؟ قال: لأن وجود عيسى عندهم لم يكن عن ذكر بشري، وإنما كان عن تمثّل روح في صورة البشر، فلذلك غلب عليهم التصوير في كنائسهم دون سائر الأمم وتعبّدوا لها بالتوجّه إليها لأن أصل نبيّهم كان عن تمثّل، فسرت تلك الحقيقة في أمته إلى الآن فهذا كان سبب اتخاذ خلف أصول قوم عيسى المثل قصدًا منهم لتوحيد التجريد من طريق المثال، وقد اتخذ المثل غيرهم ولكن لم يغلب ذلك عليهم مثل ما غلب على قوم عيسى، فقلت له: فما كان سبب اتخاذ غيرهم للمثل؟ فقال رضي الله عنه: لأن التجلّي الواقع عند أخذ الميثاق كان إدراكهم في صورة متمثلة فهذا الذي أجرى الخلق على اتخاذ الأصنام قُربة إلى الله تعالى في زعمهم. قلت: فمن أيّ سبب خرج عيسى عليه السلام يحيي الموتى؟ فقال رضي الله عنه: ذهب الشيخ أبو السعود بن الشبلي رحمه الله تعالى إلى أن عيسى إنما خرج عليه السلام يحيي الموتى لأنه روح الإلـٰه ومن خصائص الأرواح أنها لا تطأ

---

(١) الخُفَّاش: جنس حيوان من فصيلة الخفاشيات، من رتبة مجعمات الأيدي، وهو ثديي، له جسم صغير، وجناحان واسعان، سريع الطيران يستطيع تجنب الحواجز، وهو لا يطير إلا في الليل (ج) خفافيش، والخفاش هو الوطواط.

شيئًا إلا حيي ذلك الشيء وسَرَت الحياة فيه ولهذا لمّا نبذ السامري قبضة من أثر فرس جبريل في العجل صوت وخور وكان السامري عالمًا بهذا الأمر فكان الإحياء لله تعالى والنفخ لعيسى كما كان النفخ لجبريل والكلمة لله تعالى.

فقلت لشخنا رضي الله عنه: فهل كان إحياء عيسى للأموات إحياءً محقَّقًا أو متوهمًا؟ فقال رضي الله عنه: محقَّقًا ومتوهمًا فأما كونه محقَّقًا فمن حيث ما ظهر عنه، وأما كونه متوهمًا فمن حيث إنه مخلوق من ماء متوهم، ثم قال رضي الله عنه: جميع ما نسب إلى عيسى من إبراء الأكمه والأبرص[1] وإحياء الموتى له وجهان: وجه بالواسطة وهو أن يأذن الله لعيسى في ذلك، ووجه بغير واسطة وهو أن يكون التكوين من نفس المكوّن بإذن الله له. فقلت له: فإذن ليس في إحيائه عليه السلام الموتى تخصيص فإن غيره من هذه الأمة وغيرها أحييٰ الموتى بإذن الله تعالى؟ فقال رضي الله عنه: ما أحييٰ الموتى مَن أحياهم إلا بقدر ما ورثه من عيسى عليه السلام فلم يقم في ذلك مقامه، كما أن عيسى لم يقم في ذلك مقام مَن وهبه إحياء الموتى وهو جبريل عليه السلام، فإن جبريل لم يطأ موطئًا إلا حيي بوطأته، وعيسى ليس كذلك فإن حظّ عيسى أن يقيم الصورة بالوطء خاصة والروح الكل يتولى أرواح تلك الصور. فقلت له: فهل كان عيسى يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بالفعل أو بالقول؟ فقال رضي الله عنه: كان يفعل ذلك بالنطق وبالفعل فبمجرد نطقه أو جسّه بيده الميت يبرىء الأكمه والأبرص.

فقلت له: بلغنا أن أبا يزيد البسطامي[2] رضي الله عنه كان لا يحيي الموتى إلا بالجسّ فقط؟ فقال رضي الله عنه: كان له نصف الإرث في ذلك والكامل مَن أحييٰ الموتى بالقول والجسّ.

فقلت له: فما السبب في كون عيسى عليه السلام كان الغالب عليه التواضع؟ فقال رضي الله عنه: ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام إنما غلب عليه التواضع من جهة أمه إذ المرأة لها السفل فلها التواضع إذ هي تحت الرجل حِسًّا ومعنى وسرى هذا التواضع في الخواصّ من أمته، وإذا نزل آخر الزمان يشرع لهم كما

---

(١) الأكمه: مَن وُلد أعمى، أو مَن فقد بصره. والبرص: بياض يظهر بالجسد لعلّة.

(٢) هو طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال: بايزيد، زاهد مشهور له أخبار كثيرة. نسبته إلى بسطام أصله منها، ووفاته فيها، وفي المستشرقين مَن يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود، وأنه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء، ويُعرَف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية. الأعلام ٣/ ٢٣٥، وطبقات الصوفية ٦٧ ـ ٧٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٠، وميزان الاعتدال ١/ ٤٨١، وحلية ١٠/ ٣٣.

شرع قبل رفعه أن لا يطالب أحدهم بحق، ولا قصاص، ولا يرتفع على مَن ظلمه، وأما ما كان له من الشدّة وإحياء الموتى فهو من جهة نفخ جبريل في صورة البشر ولذلك كان عيسى لا يحيي الموتى إلا حتى يتلبّس بتلك الصورة ويظهر بها وكذلك لو أتاه بصورته النورية الخارجة عن العناصر والأركان لكان عيسى لا يحيي الموتى إلا حتى يظهر في تلك الصورة الطبيعية لا العنصرية مع الصورة البشرية من أجل أُمه، فكان يقال فيه عند إحيائه الموتى هو لا هو وتقع الحيرة في النظر إليه ومثل ذلك هو الذي أوقع الخلاف بين المِلَل وأدى بعضهم إلى اعتقاد الحلول فيه أو الاتحاد فإن مَن نظر فيه من حيث صورته البشرية قال هو ابن مريم ومَن نظر فيه من حيث الصورة الممثَّلة البشرية قال هو ابن جبريل ومَن نظر فيه من حيث إحياء الموتى قال هو روح الله وكلمته. فقلت له: فما كان سبب استعاذة مريم من جبريل حين تمثَّل لها بشرًا سَوِيًا؟ قال رضي الله عنه: لأنها تخيَّلت أنه يريد مواقعتها، فلذلك استعاذت بالله تعالى منه استعاذة كاملة بكلية وجودها وهمَّتها ليخلِّصها الله تعالى منه لما تعلم أن ذلك قبيح، فكان حضورها مع الله هو الروح المعنوي لأنه نفس عنها الحرج الذي كان كما قال ﷺ:

«إن نفس الرحمٰن يأتيني من قبل اليمين فكانت الأنصار»[1]، ثم قال رضي الله عنه: لو أن النفخ في الصور فرج قميص مريم وقع من جبريل في هذه الحالة لخرج عيسى لا يطيقه أحد لشكاسة خلقه مشابهًا لأُمه حال ضيقها وحرجها، فلما أمَّنها جبريل بقوله: ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا﴾ [مريم: ١٩] انبسطت عن ذلك القبض وانشرح صدرها فنفخ فيها ذلك الحين فخرج عيسى عليه السلام في غاية التواضع. فقلت له: فما المراد بالتشبيه الواقع بين عيسى وآدم عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩]؟ فقال رضي الله عنه: هذا يحتاج إلى بسط وقد أطال فيه الشيخ محيي الدين رضي الله عنه وملخص ما قاله هو أن أول موجود ظهر من الأجسام الإنسانية آدم عليه السلام وهو أول مَن ظهر بحكم الله تعالى فكان هو الأب الأول من هذا الجنس، ثم إن الحق فصل عن آدم أبًا ثانيًا لنا سمَّاه أُمًّا، فصحّ لهذا الأب الأول الدرجة عليه لكونه أصلاً لها فلما أوجد الحق تعالى عيسى ابن مريم تنزَّلت مريم عليها السلام منزلة آدم وتنزَّل عيسى منزلة حوَّاء.

فكما وجد أُنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أُنثى، فختم الذروة بمثل ما به بدأها في إيجاد ابن من غير أب كما كانت حوَّاء من غير أُم فكان عيسى وحوَّاء إخوان كان آدم

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٢، ٥٤١.

ومريم أبوان لهما، فلذلك أوقع الحق تعالى التشبيه في عدم الأُبوَّة الذكرانية من أجل أنه نصب ذلك دليلاً لعيسى في براءة أمه، ولم يوقع التشبيه بحواء وإن كان الأمر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل إذ كانت محلاً موضوعًا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك، والمقصود من الأدلة إنما هو ارتفاع الشكوك وفي حوّاء من آدم لا يمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس محلاً لما صدر عنه من الولادة، فكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد ابن من غير أُم فالتشبيه من طريق المعنى أن عيسى كحوّاء لأن ظهور عيسى من غير أب كظهور حوّاء من غير أُم، فعلم أن ابتداء الجسوم الإنسانية أربعة أنواع من غير زيادة آدم وحوّاء وعيسى وبنو آدم وكل جسم من هذه الأنواع الأربعة نشؤه مخالف لنشأة الآخر في الشيئية مع اجتماعه في الصورة الجثمانية والروحانية، وفي ذلك ردٌّ على مَن توهَّم أن الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الإنسانية إلا عن سبب واحد يُعطي بذاته هذا الشيء، فردَّ الله عزَّ وجل هذه الشبهة في وجه صاحبها بإظهار هذا النشء الإنساني في آدم بطريق لم يظهر به جسم حوّاء وأظهر جسم حوّاء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى وينطلق على كل واحد من هؤلاء اسم الإنسان بالحدّ والحقيقة ليعلم الحق تعالى عباده أنه على كل شيء قدير انتهى.

فقلت لشيخنا رضي الله عنه: فهل كان في جسم آدم حين ظهر شهوة نكاح؟ فقال رضي الله عنه: لم يكن فيه إذ ذاك شهوة نكاح، ولكن لمَّا سبق في علمه تعالى إيجاد التوالد والتناسل في هذه الدار ببقاء هذا النوع استخرج سبحانه وتعالى من ضلع آدم القصير حوّاء، فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به أبدًا. فقلت له: لِمَ خصَّ استخراجها من الضلع؟ فقال رضي الله عنه: لأجل ما فيه من الانحناء لتحنو بذلك على ولدها وزوجها، فحنوّ الرجل على المرأة حنوّ على نفسه لأنها جزء منه، وحنوّ المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع والضلع فيه انعطاف وانحناء، وعمَّر الله تعالى الموضع من آدم الذي خرجت منه بالشهوة حتى لا يكون في الوجود خلل فلما عمَّره بذلك حنَّ إليها حنينه إلى نفسه وحنَّت إليه لكونه موطنها الذي نشأت منه، فحبّ حوّاء لآدم حبّ الوطن وحبّ آدم لها حبّ نفسه، ولذلك كان حبّ الرجل للمرأة يظهر إذ كانت عينه وكان حبّ المرأة للرجل يخفى لقوتها المُعَبَّر عنها بالحياء فقويت على إخفاء المحبة لأن الموطن لم يتّحد بها اتحاد آدم بها وقد صوَّر الله عزَّ وجل في ذلك الضلع جميع ما خلقه وصوَّره في جسم آدم، فكان نشء جسم آدم في صورته كنشيء الفاخور[1] فيما

(١) الفخار: الخزف والطين المشوي، وأوانٍ ونحوها تُصنَع من الطين وتُشوىٰ.

ينشؤه من الطين والطبخ، وكان نشء جسم حوَّاء كنشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع وأقام صورتها وسوَّاها وعدلها نفخ فيها من روحه، فقامت حيَّة ناطقة أُنثى ليجعلها محلاً للحرث والزراعة لوجود الإنبات الذي هو التناسل فسكن إليها وسكنت إليه وكانت لباسًا له وكان لباسًا لها وسَرَت الشهوة منه في جميع أجزائه فطلبها، فلما تغشاها وألقى الماء في الرحم ودار بتلك النطفة دم الحيض الذي كتبه الله على النساء، تكوَّن في ذلك الجسم جسم ثالث على غير ما تكوَّن من جسم آدم وجسم حوَّاء فهذا هو الجسم الثالث فتولاَّه الله تعالى بالنشء في الرحم حالاً بعد حالاً بالانتقال من ماء إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم ثم كسا العظم لحمًا فلما أتمَّ نشأته الحيوانية أنشأه خلقًا آخر ونفخ فيه الروح الإنساني فتبارك الله أحسن الخالقين.

(**بلخشات**): وسألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه عن قوله تعالى: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾** [آل عمران: ٧] الآية هل يدخل المؤوِّل في مقام الجهل لنفي الله تعالى العلم بتأويله عن الخلق أجمعين؟ فقال رضي الله عنه: نعم، هو جاهل لقوله تعالى: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾** [آل عمران: ٧]، فإنه تعالى هو الذي يعرف حقائق جميع الآيات المتشابهات ودقائق غوامضها، وأما الخلق فكلهم يخبطون فيها عشوى لأنهما لا يتيقنون ما وراءها لأجل عدم الشهود. فقلت له: فهل وقوف الشَّارع عن بيانها لكونها مما استأثر الله بعلمه أو علمها ﷺ وأمر بكتمها؟ فقال رضي الله عنه: المنفي علمه عن الخلق منها إنما هو ما كان من جهة عقلهم وفكرهم وإلاَّ فلا بدع أن الحق تعالى يُطلِع خواصّ عباده وأوليائه على أسراره المخزونة عن الجاهلين فكل مَن فني عن بشريته عرف تأويلها يعني معناها وإنما وقف العارفون عن بيانها للخلق أدبًا معه ﷺ حين تركها على الخفاء كما صرَّحوا بتنزيه الحق تعالى ووقفوا معه دون التشبيه الوارد في الكتاب والسُّنَّة لكونه لا يشعر به إلا كمل العارفين، فعلم أن المذموم من التأويل إنما هو ما كان من جانب الفكر دون التعريف الإلٰهي فافهم. ولو أن مَن أوَّل بفكره سلك الأدب مع الله تعالى في العلم لآمن بالمتشابه من غير تأويل حتى يفتح الله تعالى عليه بما فتح به على أنبيائه وأوليائه، فإن من أول ما آمن حقيقة إلا بما أوَّل المعنى إليه بعقله ففاته كمال الإيمان بما أضافه الحق تعالى إلى نفسه. فقلت له: فما خلاص العلماء من هذا وغالبهم يؤوِّل كلّ ما لم يقبله عقله؟ فقال رضي الله عنه: خلاصه أن يقف على حدّ ما شرع الله ولا يزيد على ما شرعه حكمًا واحدًا، فما حرَّم الحق حرَّمه، وما أحلَّه أحلَّه، وما أباحه أباحه، وما كرهه كرهه، وما ندب إليه ندب إليه، وما أوجبه أوجبه، وما سكت عنه سكت عنه، فمَن فعل ذلك صحَّت له موافقة الحق تعالى ومتابعة رسول الله ﷺ، ومَن أوَّل أو زاد في الأحكام

الشرعية بعقله ورأيه خرج عن الاتّباع للشّارع بقدر ما أوّل أو زاد، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]، لا يصحّ لهم الاتّباع الكامل إلا إن وقفوا على حدّ كما وقف الشرع.

فقلت له: المتابعة له عامّة في أمر الدنيا والآخرة أم خاصّة بأحكام الدين دون أحكام الدنيا؟ فقال رضي الله عنه: المتابعة الواجبة إنما هي مخصوصة بما يتعلق بأمر الدين دون الدنيا لأنه ﷺ مرّ على قوم وهم على رؤوس النخل فقال: «ما يفعل هؤلاء»؟ فقالوا: يلقحونه. فقال ﷺ: «ما أرى هذا يُغني شيئًا»[1] فسمع بذلك الأنصار فتركوا تلقيح نخلهم تلك السنة فقلّ حمله وخرج ما حمل منه شيصًا[2] فأُخبِرَ بذلك رسول الله ﷺ فقال: «إني ظننت ظنًا فلا تؤاخذوني»[3]، وفي رواية: «إذا حدّثتكم بأمر من أمور دنياكم فأنتم أعلم به» فأثبت ﷺ أن أهل الدنيا أعلم منه.

فقلت له: ما معنى قوله تعالى: ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ [النساء: ١٠٥]؟ فقال رضي الله عنه: معناه لتحكم بين الناس بالوحي الذي أنزله الله عليك وأراك إياه لا بالرأي الذي تراه في نفسك، ولذلك عاتبه الله تعالى لما حرّم على نفسه باليمين ما حرّم في قصة عائشة وحفصة[4] رضي الله عنهما حين كان قرب من مارية القبطية[5] في بيت

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١/١٧٦ ـ ١٧٩)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٤٥٥).

(٢) الشيص: رديء التمر. (فارسي معرّب).

(٣) أخرجه مسلم (فضائل ١٣٩)، وأحمد بن حنبل (١، ١٦٢).

(٤) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب (١٨ ق.هـ ـ ٤٥ هـ = ٦٠٤ ـ ٦٦٥ م) صحابية جليلة صالحة، من أزواج النبي ﷺ ولدت بمكة وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها، فزوّجه إيّاها سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة. واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها. روى لها البخاري ومسلم في الصحيحين ٦٠ حديثًا. الأعلام ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥، والإصابة ٤/ ٢٧٣، وطبقات ابن سعد ٨/ ٥٦، وحلية ٢/ ٥٠.

(٥) هي مارية بنت شمعون القبطية (. . . ـ ١٦ هـ = . . . ـ ٦٣٧ م) أم إبراهيم. من سراري النبي ﷺ مصرية الأصل، بيضاء. ولدت في قرية «حفن» بمصر وأهداها المقوقس القبطي سنة ٧ هـ إلى النبي ﷺ هي وأخت لها تدعى «سيرين» فولدت له «إبراهيم»، فقال: أعتقها ولدها، وأهدى أُختها سيرين إلى حسّان بن ثابت الشاعر. ولمّا علم الحسن بن علي أن مارية من قرية حفن كلّم معاوية، فوضع عن أهل القرية خراج أرضهم، ولما توفي النبي ﷺ تولى الإنفاق عليها أبو بكر ثم عمر، وماتت في خلافة عمر بالمدينة ودفنت بالبقيع، وإليها تُنسب «مشربة أم إبراهيم» في العالية بالمدينة وكان أول نزولها فيها. الأعلام ٥/ ٢٥٥، والسمط الثمين ١٣٩، والمحبر ٧٦، ومعجم البلدان (حفن)، وأسد الغابة ٥/ ٥٤٣.

حفصة وأرضاها بقوله: «إن مارية حرام عليّ بعد هذا اليوم»، فلو كان المراد بما أراك الله الرأي لكان رسول الله ﷺ أولى من كل رأي. فقلت له: فهل يلحق بمتابعة رسول الله ﷺ متابعة أُولي الأمر فيما يأمروننا به لقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] فجعل الحق تعالى طاعتهم علينا واجبة في كل مُباح أمرنا بفعله أو تركه؟ فقال رضي الله عنه: يلحق ما أمرونا بفعله من المُباح بما أمرنا به الله تعالى ونهانا عنه من الواجب والمحظور إذ ليس لوُلاة الأمور حكم إلا في المباح، لأن المحظور والواجب من طاعة الله ورسوله فينقلب المباح بمجرد أمرهم بفعله طاعة واجبة وبمجرد نهيهم عنه معصية قبيحة سدًا لباب الفتنة في مخالفتهم. فقلت له: فهل يحصل بفعل هذا المُباح الذي أمر الوُلاة بفعله أجر الواجب في الشرع؟ فقال رضي الله عنه: نعم لأن حكم الإباحة قد ارتفع منه بتنزيل الله تعالى وُلاة الأمور منزلة الشَّارع بأمر الشَّارع فتعيَّن اتّباعهم لذلك كالشَّارع وكذا الحكم في المحظور الذي شرعوه لنا من عند أنفسهم يحصل بتركه ثواب ترك المحرَّمات في الشرع لا سيما إن انعقد عليه إجماعهم.

فقلت له: فمَن المراد بأُولي الأمر منّا؟ فقال رضي الله عنه: المراد بهم أصحاب الإرث النبوي من الأولياء والعلماء وأما غير هؤلاء فليس له من الولاية إلا الاسم، ولكن بالسياسة الشرعية استقام الدين، فقلت له: فما حكم مَن كان من الرُسُل خليفة كآدم وداود هل له ما لمستخلفه حتى يكون له أن يأمر وينهى بزيادة على ما أوحى به إليه فضلاً عمَّن لم يكن خليفة فليس له أن يشرع شريعة إنما له الأمر والنهي فيما هو مباح له وللأمة، ثم لا يخفى أن الأكابر كلهم وقفوا عن المباح فلم يرجحوا منه جانبًا على جانب لعلمهم أن الحق تعالى إنما شرَّعه ابتلاء للعبيد وفتنة لهم لينظر كيف يعملون، هل يقفون عن العمل به ويقتصرون على ما حدَّه لهم سيدهم ليكونوا مع سيدهم عبيدًا ممتثلين أمره، أو يتعدّون ما حدَّه ويزاحمون الرتبة الإلهية فإن أصل المباح من صفات الحق الذي يفعل ما يشاء من غير تحجير بخلاف العبيد ومعلوم أن الخلق في الأدب مع الله تعالى على طبقات.

فقلت له: فهل كانت خلافة آدم وداود عليهما السلام عامَّة في سائر أهل الأرض من الجنّ والإنس والملائكة الأرضية؟ فقال رضي الله عنه: لم يكن آدم وداود خلفاء إلا على عالم الصور وعالم الأنفس المدبرين لهذه الصور، وأما ما عدا هذين الصنفين فما لهما عليهم تحكّم لكن مَن أراد منهم أن يحكمه على نفسه حكم عليه كعالم الجان وملائكة الأرض.

وأما العالم النوراني فهم خارجون عن أن يكون للعالم البشري عليهم تولية لأن لكل شخص منهم مقامًا معلومًا عيَّنه له ربّه فما ينزل عنه إلا بأمر ربه، وإذا أراد واحد منّا

تنزيل أحد منهم فلا بدَّ أن يتوجَّه في ذلك إلى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك إسعافًا لهذا السائل أو ينزله عنه ابتداء.

وأما الملائكة السائحون فمقامهم المعلوم كونهم سيَّاحين يطلبون مجالس الذكر وذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم وهو أشرف الأرزاق والله أعلم.

(جوهرة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن علامة استحقاق أهل المراتب لها، فقال رضي الله عنه: علامته أن يكون أحدهم مسؤولاً في الدخول فيها من جميع رعيَّته، فإن لم يكن مسؤولاً فيها فليعلم أنه ليس من أهل تلك الولاية وهذه قاعدة لا تخطىء.

فقلت له: فإذا تولأها عن سؤال من رعيته فمتى يستحق أن يكون معزولاً منها؟ فقال رضي الله عنه: إذا اشتغل عن النظر في مصالح رعيته فإن كان مَن اشتغل عن مصالحهم فليس بإمام وقد عزلته المرتبة بهذا الفعل، فلا فرق إذن بينه وبين العامَّة، فمَن أراد أن تدوم ولايته فلا يشتغل عن رعيته بشيء من حظوظ نفسه أبدًا فإن الله تعالى ما نصب الأئمة في الأرض إلا في استقضاء حوائج الخلق لا غير كما درج على ذلك أئمة العدل كعمر بن عبد العزيز[1] رضي الله عنه والملك الصالح والله أعلم.

(درّ): سألت شيخنا رضي الله عنه عن أن أدّخر قوت عامي. فقال رضي الله عنه: إن كنت على بصيرة أنه قوتك وحدك ليس لأحد فيه شيء فادّخره، وإن كنت على ظن في ذلك فلا تدّخر، ثم إذا ادُّخرت فلا يخلو إما أن يكون ادّخارك عن أمر إلـٰهي فأنت عبد محض والواجب عليك الوقوف على حدّ ما أمرت به، وإما أن يكون ادّخارك عن اطّلاع أن هذا القدر المدّخر لفلان لا يصل إليه إلا على يدك فتمسكه لهذا الكشف.

فقلت له: فإن عرفت أنه لفلان ولا بدّ ولكن لم أُطّلع على أنه على يدي؟ فقال رضي الله عنه: إمساكك لمثل هذا إنما هو لشحٍّ في الطبيعة وفرح بالموجود فلا ينبغي لك حينئذ إمساكه.

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٦١ ـ ١٠١ هـ = ٦٨١ ـ ٧٢٠ م) أبو حفص الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له: خامس الخلفاء الراشدين، وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام، ولد ونشأ بالمدينة، وولّي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ وسكن الناس في أيامه فمنع سبّ عليّ بن أبي طالب ولم تطل مدته حيث قيل: دُسّ له السُّم وهو بدير سمعان فتوفي به. الأعلام ٥/ ٥٠، وفوات الوفيات ٢/ ١٠٥، وتهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٥، وحلية الأولياء ٥/ ٢٥٣ ـ ٣٥٣، والشذرات ١/ ١١٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.

فقلت له: فإن كشف لي أن ذلك المال مثلاً لا يصل لصاحبه إلا على يدي في زمان معين. فقال رضي الله عنه: أنت حينئذ بالخيار فإن شئت أمسكته إلى ذلك الوقت وإن شئت أخرجته عن يدك، فإنك ما أنت حارس ولا أمرك الحق بإمساكه، وإذا وصل ذلك الوقت المعين فإن الحق تعالى يردّه إلى يدك حتى توصله إلى صاحبه وهذا أولى لأنك بين الزمانين تكون غير موصوف بالادّخار لأنك خزانة الحق تعالى ما أنت خازنه وتفرَّغت حينئذ إليه وفرغت قلبك من غيره، ثم قال رضي الله عنه: وهذا كان شأن الشيخ أبي السعود بن الشبل من أصحاب السيد عبد القادر الجيلي[1] رضي الله تعالى عنهما فكان يقول: نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرَّف لنا قلت من الأدب قبوله.

فقلت له: إني أسمع بالشيخ أبي السعود هذا فهل كان من الأكابر؟ فقال رضي الله عنه: كان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول: الشيخ أبو السعود عندي أكمل من الشيخ عبد القادر، وقد اطَّلعت على مقامات كثير من الرجال فما عرفت لهذا الرجل قرارًا.

فقلت لشيخنا: إني رأيت في بهجة الشيخ عبد القادر أنه لم يقل قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله تعالى إلا بإذن. فقال رضي الله عنه: لو كان ذلك بأمر من الله ما وقع منه ندم حين وفاته، فقد بلغنا أنه وضع خدّه على الأرض، قال هذا هو الحق الذي كنّا عنه في غفلة وندم واستغفر، ومعلوم أن الندم لا يكون عقب امتثال الأوامر الإلٰهية، إنما يكون عقب ارتكاب أهوية النفس فتأمل ذلك.

(مرجانة): أوصاني شيخي رضي الله عنه أن لا أبدأ أحدًا بهدية إلا إن كانت على سبيل تطييب خاطره لجناية سبقت مني عليه أو غير ذلك.

فقلت له: لِمَ؟ فقال رضي الله عنه: لأنك تعرّضه بالهدية لكلفة المكافآت. فقلت له: فإن كان يكافىء بطيب نفس؟ فقال رضي الله عنه: لا حرج، قلت: فإن كان فقيرًا

---

(١) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني (٤٧١ ـ ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ ـ ١١٦٦ م) أبو محمد محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، مؤسِّس الطريقة القادرية، من كبار الزهّاد والمتصوفين. وُلِد في جيلان، وانتقل إلى بغداد شابًا، فاتصل بشيوخ العلم والتصوّف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقّه وسمع الحديث، وقرأ الأدب واشتهر، وتصدّر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ، وتوفي بها. له كتب منها «الغنية لطالب طريق الحق» و«فتوح الغيب» و«الفيوضات الربانية» وغير ذلك. الأعلام ٤٧/٤، والنجوم الزاهرة ٣٧١/٥، وطبقات الشعراني ١٠٨/١ ـ ١١٤، وفوات الوفيات ٢/٢، وشذرات الذهب ١٩٨/٤، وهو فيه «عبد القادر بن عبد الله».

يكافىء بالدعاء؟ قال رضي الله عنه: مثل هذا يُهدَى إليه لأن وليّه الله وهو تعالى يكافىء عنه والله أعلم.

(بلخشة): سألت شيخنا رضي الله عنه: هل أقضي حوائج الناس بقلبي وأُرسلهم في الظاهر إلى بعض الإخوان ليسألوهم في قضائها سترة أو تكبيرًا له وربنا سبحانه يميِّز كل عمل لصاحبه؟ فقال رضي الله عنه: لا تفعل لأنك تؤذيه من حيث لا يشعر فيظن أنه الذي قضى الحاجة فتدخله في القوم الذين يحبّون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا.

(درّة): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن قوله تعالى: ﴿لا تأخذه سِنة ولا نوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] هل خلع الله هذه الصيغة على أحد من عباده المقرَّبين من البشر؟ فقال رضي الله عنه: نعم لكن مدة طويلة لا مطلقًا.

فقلت له: مَن هو؟ فقال رضي الله عنه: سيدي عيسى بن نجم بساحل البحر المالح بنواحي البراس رضي الله عنه مكث سبعة عشر سنة لم يغمض به جفن في ليل ولا نهار، ثم مات والله أعلم.

(ياقوتة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن عصاة هذه الأمة إذا دخلوا النار هل يدخلونها بأنفسهم الحيوانية؟ فقال رضي الله عنه: لا، لأن جهنم ليست موطنًا للنفس الناطقة بل لو أشرفت عليها طفىء لهبها بلا شك لأن نورها أعظم فالحمد لله ربّ العالمين.

(كبريت أحمر): أوصاني شيخي رضي الله عنه وقال: لا تقم لأحد من الإخوان وغيرهم إلا أن لا تعلم من نفسه الميل إلى ذلك، فإنك إذا قمت له حينئذ كبرت نفسه بغير حق وأسأت في حقه من حيث لا يشعر هو. فقلت له: ومن أين لي العلم بذلك وحُسْن الظن واجب بالمسلمين؟ فقال رضي الله عنه: عند حُسْن الظن لا علم فقم له إكرامًا ولو كان في الباطن بخلاف ما ظننت وأمرك محمول عنك. فقلت له: فإن كان مشهدي أني دون كل الخلق في الرتبة؟ فقال رضي الله عنه: صاحب هذا المشهد يقوم لكل وارد عليه من عصاة هذه الأمة لأن الناس كلهم عنده أهل فضل عليه والقيام لأهل الفضل مطلوب لا سيما إن حصل بذلك جبر خاطر أخيك المحجوب، وقد بلغنا أن سيدي مدين رضي الله عنه امتحن مرة الشيخ عبادة وكان من أعيان المالكية وكان يخطّ على سيدي مدين، فدعاه سيدي مدين في يوم مجمع للناس ليحضر وقال للناس إذا جاء الشيخ عبادة لا أحد يقوم له، فلما جاء فعل الناس معه ذلك فوقف عند النِّعال وضاقت

على نفسه الدنيا بما رحبت ثم إن سيدي مدين رفع رأسه فرأى الشيخ عبادة واقفًا فقام له وأجلسه بجنبه ثم قال له ما عندكم من العلم في مَن يقوم للمشركين وهو آمن من شرّهم؟ فقال: هو حرام، فقال له سيدي مدين الله عليك ما تكدّرت لعدم قيامنا لك، فقال: نعم، قال: تريد أن نقوم لك كما نقوم لله في الصلاة، فتاب الشيخ عبادة ولزم الشيخ إلى أن مات، وكان يقول ما دخلت في الإسلام حقيقة إلا من حيث صحبت سيدي مدين رضي الله عنه.

(درّة): كان شيخنا رضي الله عنه يقول: نحن خلف السبعين حجابًا والحق تعالى منّا بمكان الوريد بل أقرب إلينا منا وهذا القرب هو سبب عدم الرؤية له في هذه الدار كما أن سبب عدم رؤيتنا للهواء اتصاله بباصر العين فعلم أن غاية القرب حجاب كما أن غاية البُعد حجاب لذلك قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] ولم يقل وأنتم مع الحق تعالى مجهول المصاحبة لعدم رؤيتنا له، فهو تعالى يعلم كيف يصحبنا ولا نعرف نحن كيف نصحبه فاعلم ذلك.

(درّة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن عدد شؤون الحق تعالى في اليوم والليلة، فقال رضي الله عنه: هي على عدد أنفاس الخلائق بالنظر لكل فرد فرد.

فقلت له: وما عدد أنفاس كل فرد؟ فقال رضي الله عنه: أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة للحق تعالى في كل نفس شأن يظهره فيك ويطالبك بالوفاء بحقه إذ هو ضيف ورد عليك من الله عزّ وجل فانظر ما تصنع به حتى يرحل عنك وهو شاكر صنيعك عند الحق إذا رجع إليه من عندك فمَن عرف مجموع أنفاس الخلائق عرف مجموع شؤون الحق والله غفور رحيم.

(ياقوتة): سألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه عن تزكية الإنسان نفسه هل ذلك يدخل في شهادة الزّور لجهله بعاقبة أمره أم لا؟ فقال رضي الله عنه: تزكية الإنسان لنفسه سمٌّ قاتل مُطفىء لنور علمه ومعرفته وفتح لباب طرده عن حضرة ربه وعدم انتفاع الناس بعلمه ومعرفته، وربما يجعله الله تعالى ضررًا صرفًا لا نفع فيه، كما وقع لإبليس وهي من باب شهادة الزّور الذي هو الميل، لأنها قول مال بصاحبه عن طريق السعداء إلى طريق الأشقياء. فقلت له: فإن وقعت من إنسان تزكية نفسه لغرض صحيح؟ فقال رضي الله عنه: لا بأس إذن فقد زكّت الملائكة نفسها عند ربها بقولها ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا وجعلني مباركًا أينما كنت﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣١].

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[1]، فإن الملائكة إنما مدحت نفسها لبيان شرف آدم عليه السلام، فكان إعلامهم بشرفهم، ثم سجودهم له أعلى في كمال آدم من سجودهم له مع جهل الحاضرين بمقام الساجدين، وكذلك عيسى إنما قال ذلك محض عبودية وإظهارًا لنِعَم سيِّده، وكذلك نبيّنا ما قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» إلا ليعلم خواصّ أمته بأنه أول شافع يوم القيامة حتى يأتوه أولاً ويستريحوا من طول الوقوف ومن إتيانهم إلى نبي، بعد نبي فطلب بتلك التزكية تقريب الطريق عليهم، فما ذهب إلى غيره إلا مَن لم يبلغه هذا الحديث في دار الدنيا.

فقلت له: فإذن ينبغي أن يفشي هذا الحديث بين العامّة من الأمة ليستريحوا يوم القيامة من تعب المشي إلى غيره؟ فقال رضي الله عنه: نعم، ينبغي ذلك، قال: ولذلك قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» ولم يقل في الدنيا فافهم، ثم قال: «ولا فخر» أي لا أفتخر عليكم بالسيادة وإنما الفخر لي بالعبودية، وكذلك الحكم في تزكية العلماء والعارفين نفوسهم عند تلامذتهم إنما يقصدون بذلك ضمّهم إليهم وعدم تفرقتهم فيضيع حالهم وتطول الطريق عليهم لا سيما إن كانوا مُحِقِّين في ذلك.

فقلت له: فأيّ المقامين أعلى، هل هو مقام مَن زكّى نفسه أو زكّاه غيره؟ فقال رضي الله عنه: اختلف أصحابنا في ذلك وقد ورد ذلك في حق نبيين فقال عيسى عليه السلام والسلام عليّ، فزكّى نفسه بالسلام وقال تعالى في حق يحيىٰ عليه السلام: ﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ [مريم: ١٥]، والذي ذهب إليه الشيخ محيي الدين وغيره أن الشاهد لنفسه إذا كان صادقًا في شهادته أتمّ وأعلى وأحقّ ممّن شهد له غيره من الخلق بالفضل لأن مَن شهد لنفسه ما شهد إلا عن ذوق محقّق بكماله فيما شهد لنفسه به فهي شهادة مرتفعة عن تطرّق الاحتمال في الحال، فقد فضل هذا على مَن شهد له غيره بالاحتمال والذوق غير المحقّق فهذا المقام أعلى فإن رسول الله ﷺ قال: «قد أوتيت

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (الفضائل ٣)، والترمذي في (السنن ٣١٤٨، ٣٦١٥)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٨١، ٣/ ٢)، والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٣٩٩)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥٧٤١، ٥٧٦١)، والبغوي في (شرح السُّنّة ١٣/ ٢٠٤)، والقرطبي في (التفسير ٣/ ٢٦٢، ٤/ ٨٤، ٥/ ٦١، ١٠/ ٤٩ ـ ٣١٠، ١٥/ ٥)، (مناهل الصفا ٣٢)، (بغوي ٤/ ١٧٨)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٥٧، ٤/ ١٦٦)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٤/ ٤٤٢، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢١٢٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٢٥، ١٠/ ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣١٨٨١ ـ ٣١٨٨٢ ـ ٣٢٠٣٣، ٣٩٠٥٢)، والبيهقي في (دلائل النبوّة ١/ ١٣)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٩٠)، الإتحافات السَّنيّة ١٩١)، وابن كثير في (البداية والنهاية ١/ ١٧١ ـ ٢٨٥، ٢/ ٢٥٧).

جوامع الكلم»[1]، وقال تعالى في حق آدم عليه السلام: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١]، فأكدها بكل وهي لفظة تقتضي الإحاطة فشهد له الحق بذلك مع أن هذا الكمال دخل في قوله ﷺ: «فعلمت علم الأوّلين والآخرين»، فإن آدم من الأوّلين وما جاء بالآخرين إلا للمطابقة ورفع الاحتمال الواقع عند السامع.

ثم قال: وبالجملة فترك الكامل منّا ذكر أوصاف كماله كمال له إلا أن يكون على وجه الشكر لله تعالى.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه الصدق والحق هل هما واحد أو بينهما فرق؟ فقال رضي الله عنه: إنهما شيئان، قال: فإن الحق موجب والصدق ما أخبر به على الوجه الذي هو عليه، ثم قد يجب فيكون حقًّا وقد لا يجب فيكون صدقًا لا حقًّا، فمَن أدّى الحق الذي وجب عليه نجا ومَن أدّى الحق الذي منع منه هلك.

فقلت له: فما مثال ذلك؟ فقال رضي الله عنه: مثال ذلك الغيبة والنميمة فإنهما صدق لاحق لأن الله تعالى حرّمهما وجعلهما من قسم الباطل وإن كان صدقًا، ولذلك قال تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ [الأحزاب: ٨] أي هل ما صدقوا فيه كان بإذن منه أم لا؟ فلو كانت الغيبة مثلاً حقًّا لم يسأل تعالى صاحبها إذ هو قائم بالحق الذي هو عليه، فما كل صدق حق فالعالم مَن فرّق بين مؤدّى الألفاظ وأدّى الناس حقوقهم على الحدّ المشروع، فإن ثَمّ من الحقوق ما يقتضي الثناء الجميل على مَن لا يوفّيه كالمجرم المستحق للعذاب بإجرامه يعفو عنه صاحب الحق، فهذا حق قد أبطل وهو محمود كما أن الغيبة والنميمة حق قد أدّي وهو مذموم، وكذلك إفشاء الرجل ما يفعله مع عياله في الفراش حرام وإن كان حقًّا فتأمل في هذا الفرق فإنه نفيس والله أعلم.

(درّة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن سرّ القدر المتحكّم في الخلائق هل اطّلع عليه أحد من الأولياء المحمديين؟ فقال رضي الله عنه: نعم لكن بحكم الإرث لرسول الله ﷺ لا بحكم الأصالة ولم يعطِ علمه لأحد من الأنبياء غير نبيّنا محمد ﷺ قال: لأنهم لو اطّلعوا عليه ربما كان سببًا لفتورهم عن التبليغ وعمّا هم مأمورن بفعله، فكان طيّه عنهم رحمة بهم ليقوموا بما كُلّفوا به من الجهاد وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم (مساجد ٥ ـ ٨)، (أشربة ٧٢)، والبخاري (تعبير ١١)، والترمذي (سير ٥)، وأحمد بن حنبل ٢، ١٧٢، ٢١٢، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣١٣، ٤١٢، ٤٤٢، ٤٥٥، ٥٠١.

فقلت له: فكيف اطّلع عليه رسول الله ﷺ؟ فقال رضي الله عنه: لما هو عليه من القوة الإلـٰهية والتمكين فلم يصدّه اطّلاعه عليه عن التبليغ والله أعلم.

(مرجان): سألت شيخنا رضي الله عنه عن وصف الله عزَّ وجل يحيىٰ عليه السلام بالحصور هل هو مدح له أم لا فإن نبينا ﷺ جعل التزويج للرجال كمالاً لهم؟ فقال رضي الله عنه: من كمال الرجل تزويجه إذ العزوبة ليست بحال كمال في الأصل للثقلين، وقد امتنَّ الله سبحانه على الأنبياء بقوله: ﴿**ولقد أرسلنا رُسُلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية**﴾ [الرعد: ٣٨]، ويمكن أن يكون ترك التزويج كمالاً في يحيىٰ عليه السلام خصوصية له دون غيره من الأنبياء، فإن أحدًا ما كمل في شيء إلا بالإنتاج فيه وتعدّي النفع إلى غيره، وعلى هذا يكون وصف الحق تعالى يحيىٰ بالحصور إنما هو حكاية حال لا مدح له بذلك وبتقدير كونه مدحًا وكمالاً فثَمّ ما هو أكمل منه، وذلك لأن الحصر إنما أتاه من أثر همّة والده زكريا عليه السلام لما شهد مريم خالة يحيىٰ بتولاً يعني منقطعة عن الرجال، فلما استفرغ طاقته في مشاهدته لها بحيث لم يبق فيه مساغ لغيرها خرج يحيىٰ حصورًا لميل والده أن يرزقه الله ولدًا مثلها فما هي صفة كمال في الحقيقة.

فقلت له: وهل لميل الوالد أثر في الولد؟ فقال رضي الله عنه: نعم.

فقلت له: فإذن الخيال له سلطان عظيم؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لأن الخيال قد أيّده الله وأعطاه من القوة الإلـٰهية ما يصوِّر به المتخيلات كيف شاء عن نكاح معنوي وحمل معنوي فيريك الإسلام قبة، والقرآن سمنًا وعسلاً، والعلم لبنًا، والقيد ثباتًا في الدين، والدين قميصًا سابغًا[1] وقصيرًا ودرعًا ومجنًا ونقيًا ودنسًا بحسب ما يكون عليه الرائي ومَن يرى له من الدين، فما ثَمَّ أوسع من الخيال، ثم قال رضي الله عنه: ومَن أراد نجابة[2] لده فليقم في نفسه عند جماعة لامرأته صورة مَن شاء من أكابر العلماء أو الأولياء وإن أراد أن يحكم أمر ذلك فليصوِّر نفسه كأنه يرى حُسْن تلك الصورة وحُسن أخلاقها ويأمر امرأته أن تتصوَّر في نفسها تلك الصورة كذلك عند الجماع ويستفرغان كلتيهما في النظر إلى حسنها فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثّر في ذلك الحمل ما تخيّلاه من تلك الصورة في النفس، فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بدّ فإن لم يخرج كذلك فإنما هو لأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرَّحم أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران، ويعبِّر عنه العامّة بتوحّم

---

(١) السابغ: الطويل الوافي.

(٢) النجابة: ظهور فضل الولد على أترابه.

المرأة وقد يقع بالاتفاق في بعض الوقائع عند الجماع في نفس أحد الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد عن ذلك الوقائع في نحو خلقه أو نحو أخلاقه على صورة ما وقع للوالدين من تخيّل ذلك، وإن اختلفا فيظهر في الولد صورة ما تخيّله الوالد، وصورة ما تخيّلته الأم والله تعالى أعلم.

(زمرّدة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** [آل عمران: ١٩]، هل قوله عند الله له مفهوم فيكون الدين عند غير الله غير الإسلام أم ذلك لا مفهوم له؟ فقال رضي الله عنه: للآية مفهوم وهو أن الدين دينان دين عند الله، ودين عند الخلق، فأما الدين الذي هو عند الله فيطلق بمعنى الانقياد، وبمعنى الشرع الموضوع من عند الله، وبمعنى الجزاء والانقياد يعمّ الكل فإنه ما ثَمّ أحد من الخلق إلا وهو منقاد إن لم يكن للأمر كان للإرادة وما ثَمّ مَن قيل له كن فأبى أبدًا بل يتكوّن من غير تخلّف ولا يصحّ في العالم كله إلا ذاك، ويسمى هذا عند الطائفة الإسلام العام، وأما الإسلام الخاصّ عندهم فهو ما كان على وفق الأمر لا الإرادة المجرّدة فهذا الدين عند الله، وأما الدين عند الخلق فقد اعتبره الله عزّ وجل كما اعتبر المشروع على ألسنة رسله وهو الذي اصطلح عليه العلماء والصالحون من الأفعال المستحسنة المؤدية إلى سعادة المعاد والمعاش وهذا الدين مأخوذ كله في الحقيقة من شعاع نور الدين الوارد عن الله تعالى فاعلم ذلك.

(ياقوتة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن محل التغيير والاستحالة من العالم فقال رضي الله عنه محل ذلك ما دون فلك القمر.

فقلت له: فهل يدخل عالم الأرواح في ذلك؟ فقال رضي الله عنه: لا تبديل في عالم الأرواح ولا تغيير ولا زوال ولا انتقال.

فقلت له: فهل الاستحالة عامّة في كل كثيف ولطيف فيما تحت فلك القمر؟ فقال رضي الله عنه: نعم، ألا ترى النار تستحيل هواء، والهواء يستحيل ماء، والماء يستحيل هواء، والهواء يستحيل نارًا، والنار تتصل بالهواء، وآخرها يتصل بالنور، فأول طرف الهواء متصل بالماء وآخره متصل بالنار، وأول الماء متصل بالتراب وآخره متصل بالهواء، فمن جهة طرفه الأعلى يتصل بما فوقه، ومن طرفه الأدنى يتصل بما دونه، ويستحيل. فقلت له: فما العلّة في الاستحالة والتغيير؟ فقال رضي الله عنه: لتجزي كل نفس بما كسبت وتعاقب بما جنت.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾** [آل عمران: ٣٣]، ما المراد بالمسارعة إلى المغفـ؟ هل هو بأسباب المغفرة من

فعل الطاعات المكفِّرات كالصدقة والصلاة وصنائع المعروف أو بغير ذلك؟ فقال: قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه وهو من علم التضمين الوارد في القرآن ولا يشعر به إلا العارفون بالله تعالى خاصّة فإنه تعالى أمر بالمسابقة إلى المغفرة، وما أمر بالمسابقة إلى الذنب وإن كان هو الذي قدّره، إن الله لا يأمر بالفحشاء فكان العبد حينئذ مجبورًا باطنًا على فعل ما به يكون السبق ليظهر حكم المغفرة وما لا يتوصل إلى الواجب وقوعه إلا به فواجب وقوعه، ولكن من حيث ما هو فعل لا من حيث ما هو حكم، ونظير هذه الآية في التضمين قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوّابين﴾ [البقرة: ٢٢٢] يعني مَن كثرت منهم التوبة ولا تكثر التوبة إلا من إكثارهم المعاصي، فحكم تعالى بكثرة المحبة لمَن كثرت منه التوبة، وما صرّح بذلك لمَن كثرت منه المعاصي فافهم وتفطن لذلك انتهى. فقلت له: فهل يستأنس لما ذكروه بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[1]، وبقوله: «إذا أذنب العبد فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به وبقوله الله عزّ وجل له في الثانية والثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك»[2]؟ فقال رضي الله عنه: نعم، يستأنس له بذلك.

فإنه قال: غفرت لك ولم يقل أبحت لك، والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب والله أعلم قلت لشيخنا رضي الله عنه قد عرفنا حكم مَن وقع في الذنب ولم يعلم بتقديره عليه إلا بعد قوعه فما حكم مَن أطلعه الله تعالى على الأقدار الجارية عليه في المستقبل ولم يزل يشهدها ثابتة من غير محو، فهل يبادر لفعلها ليقع فتزول تلك الصورة القبيحة من شهوده أم يصبر؟ فقال رضي الله عنه: لا ينبغي لعبد مبادرة إلى ما نهي عنه أبدًا ولكن يصبر.

وإذا أراد الله بعبد إنفاذ قضائه وقدره فيه سلبه عقله، وستر عنه حاله حتى يقع، فإذا وقع أعطاه حكمه من الاستغفار، فإنه ما من فعل يقع فيه العبد إلا وقد جعل الله له كفّارة، فمَن حمد الله على الطاعات واستغفره من المعاصي فقد أدّى الحق الواجب عليه

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (الجهاد ب ١٠٧)، والترمذي في (السنن ٣٣٠٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٩/١٤٦)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/١٥٥)، والشافعي في (المسند ٣١٦)، (بغوي ٧/٤٧)، والسيوطي في (الدرّ المنثور ٦/٢٠٣ ـ ٢٠٤)، (أحكام ٢/٤٨)، وابن حجر في (فتح الباري ٨/ ١٢٠)، والبغوي في (شرح السُّنَّة ٢٦٣)، وابن كثير في (التفسير ٣/٥٦١ ـ ٥٨٢، ٨/ ١٠٩)، والقرطبي في (التفسير ٨/ ٥٠ ـ ٢١٢، ١٢/٨٨)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (توبة ٢٩)، أحمد بن حنبل ٢/٤٩٢.

وصدق عليه مقام الاتّباع لرسول الله ﷺ إذ لا يشترط في مقام الاتّباع له ﷺ عدم وقوع المعصية، وإنما الشرط عدم الإصرار فافهم.

فقلت له: فهل إذا أطلع الله العبد على ما قدّره عليه وأراد فعله فما صورة إقدامه عليه؟ فقال رضي الله عنه: مَن كان هذا حاله أتى المخالفة بحكم التقدير فقط لا بميل النفس والطبع والانتهاك للمحارم، بل كما وقع لآدم عليه السلام وهذا خاص بالأكابر من الرجال الذين شهدوا الجبر في عين اختيارهم من طريق الكشف والشهود. فقلت له: فهل يكون ذلك الفعل مُباحًا لمَن هذا حاله؟ فقال رضي الله عنه: لا يكون مُباحًا لأن مسمى الذنب لم يسلب عنه، ولذلك قال تعالى في حق آدم عليه الصلاة والسلام: **﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾** [طه: ١٢١]، وهذه هي بعينها مسألة آدم عليه السلام فإنه لم يقع في الأكل من الشجرة انتهاكًا للحرمة وإنما هو بحكم التقدير. فقلت له: فإذن هو ذنب في الصورة لا في المعنى لاختلاف الحكمين؟ فقال رضي الله عنه: نعم. فقلت له: فإن قال قائل من أهل هذه الحضرات كيف يؤاخذني الحق على فعل لم يصدر عني وإنما صدر عنه وحده؟ فقال رضي الله عنه: تقول له ألست تعلم أنك محل لجريان أقداره تعالى فيك وعليك فلا يسعه إلا أن يقول نعم، فإذا قال نعم قلنا له.

قد ذهب وجه اعترضك بهذا المعتقد، فإن شاء جعلك محلاً لجريان الثواب وإن شاء جعلك محلاً لجريان العقاب. فقلت له: فإن قال السائل بالقول الآخر من خلقه أفعال نفسه؟ قلنا: هذا الميزان يُقام عليك فإن حكم العدل أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت. فقلت له: فهل كان آدم عليه السلام وإبليس عَلِما ما قدّره الله عليهما قبل أن يقعا في الذنب؟ فقال رضي الله عنه: ما عَلِمَ ذلك سوى آدم، ولذلك لم يضرّه الذنب لاختصاصه وتقريبه، وأما إبليس فما عَلِمَ ذنبه إلا بعد الوقوع وبذلك لعنه الله وآخذه والله تعالى أعلم.

(جوهر): سألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه، عن قوله تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إلـه إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾** [آل عمران: ١٨] لم يقل وأُولوا الإيمان مع أن مدار السعادة عليه لا على العلم ولا يلزم من العلم السعادة؟ فقال رضي الله عنه: قد ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: أنه إنما لم يقل وأُولوا الإيمان لأن شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ما هي عن خبر فتكون إيمانًا، إذ الخبر لا يكون إلا على لسان رسول ولم يكن ثَمّ رُسُل، ولهذا كان الشاهد إن لم يكن له علم بما شهد به وإلا فلا تصحّ له شهادة.

فقلت له: فإذن لا تصحّ الشهادة بالتوحيد لله بغلبة الظن والتقليد؟ فقال رضي الله عنه: نعم، إلا أن يكون تقليد المعصوم فيما يدّعيه كشهادتنا يوم القيامة على الأُمم أن

أنبياءها بلغت دعوة الحق ونحن ما كنّا في زمان التبليغ ولكنا صدقنا الحق حين أخبرنا في كتابه عن نوح وعاد وثمود وغيرهم، وكشهادة خزيمة رضي الله عنه بتصديق رسول الله ﷺ في قصة بيع الجمل حين أنكره الأعرابي ولم يكن حاضرًا للواقعة فقال له رسول الله ﷺ: «بِمَ تشهد يا خزيمة؟ قال: بتصديقك يا رسول الله»[1]، وهذا لا يصح إلا لمَن هو في إيمانه على علم بمَن آمن به لا عن تقليد، وكذلك لم يقل الحق تعالى وأُولوا الوجد أو الذوق لأن غاية الذوق أو الوجد إن كان محمودًا أن يفيد العلم ولا فائدة في وارد لا يفيد علمًا وإذا كانت الغاية إنما هي حصول العلم، ثم حصل فسواء حصل من جميع طرقه أم من طريق واحدة فواحد كان الدليل طريقه إلى حصول العلم الذي بابه الدليل وآخر كان الذوق أو الوجد طريقه إلى ذلك العلم، وهكذا فقد تساويا في النتيجة وإن افترقا في المقامات، وما ثَمَّ للذاتي أو صاحب الوجد إلا تعجيل لذّة لا غير. فقلت له: فلِمَ شهد الحق تعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو؟ فقال رضي الله عنه: لينبّه عباده على غِناه عن توحيدهم له وأنه هو الموحِّد نفسه بنفسه. فقلت له: فلِمَ عطف الملائكة على نفسه دون غيرهم؟ فقال رضي الله عنه: لأن علمهم بالتوحيد لم يكن حاصلاً من النظر في الأدلة كالبشر وإنما كان علمهم بذلك حاصلاً من التجلّي الإلهي وذلك أقوى العلوم وأصدقها، فلذلك قدّموا في الذكر على أُولي العلم، وأيضًا فإن الملائكة واسطة بين الحق تعالى وبين رسله فناسب ذكرهم في الوسط فاعلم ذلك.

(زمرّد): سألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه عن الخلاف المشهور في التفضيل بين الملائكة وبني آدم، وعن قوله تعالى: ﴿الرُّسل فضّلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣] مع قوله تعالى: ﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥] ما التحقيق في ذلك؟ فقال رضي الله عنه: الذي ذهب إليه جماعة من الصوفية أن التفاضل إنما يصحّ بين الأجناس المشتركة كما يقال أفضل الجواهر الياقوت، وأفضل الثياب الحلّة، وأما إذا اختلفت الأجناس فلا تفاضل فلا يقال إيما أفضل الياقوت أم الحلّة، والذي نذهب إليه أن الأرواح جميعها لا يصحّ فيها تفاضل إلا بطريق الإخبار عن الله عزَّ وجل، فمَن أخبره الحق تعالى بذلك فهو الذي حصل له العلم التام، وقد تنوّعت الأرواح إلى ثلاثة أنواع: أرواح تدبّر أجسادًا نورانية وهم الملأ الأعلى، وأرواح تدبّر أجسادًا نارية وهم الجن، وأرواح تدبّر أجسادًا ترابية وهم البشر، فالأرواح جميعها ملائكة حقيقة

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (الأقضية ب ٢٠)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/٢١٦)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/٦٦، ١٠/١٤٦)، (شرح معاني الآثار ٤/١٤٦)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٤/٢/٩١)، وابن الجوزي في (الأذكياء ٣١)، القرطبي في (التفسير ١/٤٩٩، ٣/٤٠٥).

واحدة، وجنس واحد فمَن فاضل من غير علم إلٰهي فليس عنده تحقيق فإنَّا لو نظرنا التفاضل من حيث النشأة مطلقًا قال العقل بتفضيل الملائكة، ولو نظرنا إلى كمال النشأة وجمعيتها لحكمنا بتفضيل البشر، ومن أين لنا كون إلى ترجيح جانب على آخر مع أن الملك جزء من الإنسان من حيث روحه لأن الأرواح ملائكة فالكل من الجزء والجزء من الكل، ولا يقال إيما أفضل جزء الإنسان أو كله فافهم وأما التحقيق في تفاضل الرُسُل فاعلم أن كل مَن كانت بعثته أعمّ فهو أفضل.

فقلت له: فهل يتفاضلون في العلم؟ فقال رضي الله عنه: العلم تابع للرسالة فإنه ليس عند كل رسول من العلم إلا بقدر ما تحتاج إليه أمته فقط لا زائد ولا ناقص.

فقلت له: هذا من حيث كونهم رُسُلاً فهل حالهم من حيث كونهم أولياء كذلك؟ قال رضي الله عنه: لا، قد يكون أحدهم في علوم الولاية أعلى من علوم ولاية أُولي العزم من الرُسُل الذي أعلى منه، فعلم أن الأنبياء متساوون من جهة الرسالة كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥] وذلك لأن العناية في الرسالة ولذلك اشتركوا فيها، وأما في سعة الخصوص وضيقه فالتفاوت واقع. فقلت له: فالتفاضل بين الأنبياء غير المرسلين يكون بماذا؟ قال رضي الله عنه: بحسب استعداداتهم وذواتهم وهو قوله تعالى: ﴿لقد فضَّلنا بعض النبيين على بعض﴾ [الإسراء: ٥٥].

قلت له: فما معنى التفاضل؟ فقال رضي الله عنه: ذهب ابن قسي وجماعة أن كل واحد منهم فاضل ومفضول، ففضل هذا بأمر ما، وفضله ذلك المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر، فهو فاضل بوجه ومفضول بوجه، فأدّى ذلك إلى التساوي والفضيلة وصاحب هذا القول ما حرر الأمر على ما يقتضيه وجه الحق فيه.

فقلت له: فما الحق في ذلك؟ فقال رضي الله عنه: الحق ما ذهب إليه الشيخ محيي الدين وغيره من المحقِّقين أن معنى المفاضلة أن يزيد كل واحد على صاحبه برتبة تقتضي المجد والشرف فيجعل عنده من صفات المجد ما لم يجعل عند الآخر، بل نقول بعدم المفاضلة في المراتب أصلاً لأنها مرتبطة بالأسماء الإلٰهية والحقائق الربَّانية، فلا تصحّ المفاضلة أصلاً من هذه الحيثية لأن الأسماء نسبتها إلى الذات نسبة واحدة فمَن فاضل فكأنه يقول الأسماء الإلٰهية بعضها أفضل من بعض وهذا لا قائل به لا عقلاً ولا شرعًا، فمعقول فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا ما لم نُعطِ هذا، وأعطينا ما لم نعط من فضله، ولكن من مراتب الشرف منهم مَن فضله بأن خلقه بيديه وأسجد له الملائكة، ومنهم مَن فضَّله بالكلام القديم الإلٰهي بارتفاع الوسائط، ومنهم مَن فضَّله

بالخلَّة، ومنهم مَن فضَّله بالصفوة، وهو إسرائيل يعقوب فهذه كلها صفات شرف ومجد لا يقال أن خلقه أشرف من كلامه، ولا أن كلامه أشرف من خلقه بيديه، بل كل ذلك راجع إلى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد انتهى والله سبحانه أعلم.

(كبريت أحمر): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول بعضهم أن الجمع بين الضدَّين مُحال هل هذا القول صحيح حتى في حق العارفين بالله عزَّ وجل؟ فقال رضي الله عنه: سمعت بعض أهل الشطح يقول ما أحال الجمع بين الضدَّين إلا مَن وقف مع عقله، وأما مَن أمدَّه الله بقوة إلٰهية يندرج فيها حكم العقل فلا مُحال عنده في ذلك فإن من المعلوم أن الحق تعالى والعالم ضدَّان وهما مجتمعان من غير حلول ولا اتحاد ولا تحديد، فمَن لم يجمع بين الضدَّين فلا توحيد له كامل وفاته الإيمان بأحاديث كثيرة فإن الجمع بين الضدَّين من أقوى دليل على الوحدانية لأن مَن شهد نفسه موجودًا واجبًا فقد أشرك، ومَن لم يكن واجب الوجود فهو معدوم موجود في آنٍ واحد، ثم اعلم أنَّا لا نريد بالجمع بين الضدَّين إلا ما هو مُحال في العقل كأن يشهد الواحد كثيرًا والكثير واحدًا في آنٍ واحد بإدراك واحد من غير تأويل ولا تغيير مع اجتماع الشروط التي يتوقف عليها إثبات التناقض، وذلك لأن طور الولاية يخالف ما تألفه العلماء الذين لا يحكمون إلا بمقتضى عقولهم، فقد بانَ لك يا أخي بهذا التقرير أن الجمع بين الضدَّين مُحال لأنه لا موجود إلا الله فلا ضدَّ له فرجع الأمر إلى صورة اعتقاد المتكلمين لكن على ملحظ خلاف ما لحظوه فتأمل.

فقلت له: فإن لا بدَّ للمؤمن من عينين عين ينظر بها إلى أنه معدوم ليوفي الأحدية لله حقها، وعين يشهد بها نفسه موجودًا ليقوم بآداب العبودية؟ فقال رضي الله عنه: نعم، ثم ذلك متعيِّن.

فقلت له: فكيف صحَّ تكليفهم من حيث وجه العدم؟ فقال رضي الله عنه: ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير.

فقلت: نعم. فقال رضي الله عنه: فمن قدرته أنه أوجد الخلق وكلَّفهم وأمرهم ونهاهم ونعَّمهم وعذَّبهم وأمرضهم وفعل بهم جميع ما فعل في حال كونهم ليسوا موجودين لأنه تعالى لم يزل وحده أزلاً وأبدًا من حيث أحديَّته فإن ذاته لا تقبل الزيادة كما لا تقبل النقصان.

فقلت له: فكيف صحَّ شهود العدم للخلق؟ فقال رضي الله عنه: قد قلت لك إن القدرة صالحة، وتأمل السراب في البراري تنظره في اليوم الصائف تحسبه ماء وتحكم

بحسّك عليه فإذ جئت المكان الذي كنت رأيته فيه لم تجده ماء، وكذلك الينابيب التي تراهم في كوّة الشمس تراهم متحركين صاعدين وهابطين وإذا قبضت عليهم لم تجدهم فهم موجودون في الشهود مفقودون في الوجود، وكذلك صاحب علم السيميا يريك الأشياء المتنوعة من الأطعمة وغيرها وتشهدها بعينك وليس لها وجود، فكل هذه أمثال توضح لك شهود العدم.

فقلت له: فإذن العدم يطلق عليه شيء؟ فقال رضي الله عنه: نعم.

فقلت له: فقوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»[1] ينفي ذلك فإنه نفى كل شيء. وقلتم: إن العدم شيء. فقال رضي الله عنه: يفهم من كان المراد بها الماضية التي كانت قبل خلق الخلق حتى يكون الشأن أن معه الآن شيئًا أم المراد كان الوردية المستمرة أزلاً وأبدًا.

فقلت له: المستمرة هي المراد فإن كان إذا كانت فعلاً ماضيًا لا ينفي وجود الشيء الآن؟ فقال رضي الله عنه: أحسنت وأزيدك إيضاحًا وهو أن تعلم يا أخي أن العدم صفة للمدة المحكوم عليها بالخيال أنها كانت قبل وجود الخلق وهي عدمية عندنا لا وجود فيها: وأما بالنسبة إلى الله تعالى فهو إدراك لائق بذاته فلا يطلق على هذه المدة الموجود بالنسبة إلى عقولنا ولا يطلق عليها العدم لأنها حقيقة إدراك الحق تعالى فمَن قال إن العالم حادث حمل على حدوث ظهوره لنا، ومَن قال إنه قديم حمل على تعلّق العلم الإلـٰهي به فعلم أنه زمان إدراك للحق لا زمن حركة شمسية لائق بالخلق، ومثال ذلك النائم الناظر في نومه زمانًا ينطوي فيه مدة أيام وليالٍ بل شهور وسنين وهو في مقدار ساعة ولمحة فهو آن عدمي انطوى فيه مدة طويلة بالنسبة إلى النائم فقد فهي عدم بالنسبة إلى ساعة الحكم عند مَن كان مستيقظًا فالزمان الذي كان الله فيه ولا شيء مثل لهذا الزمان المعدوم المحكوم عليه بقطع المسافات التي تحتاج إلى طول مدة فالنائم في إدراكه مرور الأزمنة مثال الإدراك اللائق بالخلق فافهم.

فقلت له: فما المراد بقولهم كتب الله ذلك في الأزل مع أن الأزل لا يتعقل إلا أنه زمان والزمان مخلوق والكتابة الإلـٰهية قديمة فكيف الأمر؟ فقال رضي الله عنه: المراد بالكتابة الأزلية هي العلم الإلـٰهي الذي أحصى الله تعالى الأشياء كلها فيه، وأما الأزل فهو الزمان الذي بيّن وجود الله ووجود الموجودات المعقولة الآن فيه أخذ العهد على الوجود

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتّقين ٢/ ١٠٥)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٣)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ١٨٩).

فزمان هذا العهد لا بدّ أنه يباين زمان الله الذي لا يتعقل حتى يطلق عليه علم أو إرادة لأنه وجود عدمي يتعقّل كتعقّل العدم الذي قدّمنا ذكره آنفًا بخلاف هذا الزمان الأول الذي قبل وجود الموجودات فإن الله تعالى من حين أظهر الموجودات ظهر بزمان لائق بالظهور مائل إلى الوجود الظاهر لله تعالى من حيث العلم فلا بدّ لتعقّلك الكتابة القديمة من زمن لتحكم أن الكتابة قبلك في غير زمن فتأمل وهذا لا يعلمه إلا مَن أشهده الله تعالى حضرة أخذ الميثاق على عباده.

فقلت له: وهل شهد تلك الحضرة أحد من العارفين؟ فقال رضي الله عنه: نعم، شهدها كثير منهم سهل بن عبد الله التستري[1] رضي الله عنه فكان يقول: شهدت الحضرة الأولية عند أخذ العهد وسمعت قوله تعالى: ﴿ألست بربكم﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقول السامعين بلى وعرفت مَن كان هناك عن يميني ومَن كان عن شمالي وعرفت تلامذتي من ذلك اليوم ولم أزل أُلاحظهم في صلب آدم حين ردّوا إليه بعد أخذ العهد وفي أصلاب آبائهم حتى وصلوا إليّ في هذا الزمان. فقلت له: كيف كان سهل رضي الله عنه يلاحظ تلامذته في الأصلاب والأرواح الداركة قد رُدّت إلى مقرها وبقيت الذرّات التي ذرّة سهل منها في الأصلاب بلا أرواح؟ فقال رضي الله عنه: لم تزل الأرواح تشاهد ذرّاتها في الأصلاب حتى تنفخ فيها فيأتي بها الملك من مقرها بإلهام من الله تعالى حتى ينفخها في ذلك الجنين لا يغلط ولا يضلّ كما يعرف النحل بعد شتاته بيته من قرص الشمع إذا رجع من غيبته الطويلة.

فقلت له: فإذن الوجود المطلق لا يعقل له أول إلا بحسب الفروع المتعددة شيئًا فشيئًا؟ فقال رضي الله عنه: نعم وأول تعقّل ذلك من وجود آدم لاشتراط العقل بالإنسان فلا يعقل هذا الوجود إلا مَن صدق عليه هذا العقل إذ لا يتيقن وجود إلا بوجودنا. فقلت له: يؤخذ من هذا أنه لا يصحّ للعارف أن يشهد نفسه في الحضرة الأولية قبل الوجود الظاهر إلا أن خرج عن الزمان بفنائه في الله تعالى. فقال: مَن لم يحصل له الفناء فلا يتيقن أحديَّة الله تعالى مع شهود نفسه أبدًا فمَن فني شهد أخذ العهد عليه في غير زمان وكان الحق تعالى حينئذ تجلّى لصفاته وأخذ عليها العهد بالإقرار بالأحدية المباينة للثانوية

---

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري (٢٠٠ ـ ٢٨٣ هـ = ٨١٥ ـ ٨٩٦ م) أبو محمد أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في «تفسير القرآن» مختصر، وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك. الأعلام ٣/ ١٤٣، وطبقات الصوفية ٢٠٦، والوفيات ١/ ٢١٨، وحلية الأولياء ١٠/ ١٨٩.

فإن العهد الأول لم يكن فيه شاهد ولا مشهود إلا الحق تعالى إذ حقيقته عادت صفة في آن ذلك الإطلاق في آن ذلك الإطلاق العامّ.

فقلت له: هذا كلام نفيس. فقال رضي الله عنه: نعم، أمعن النظر فيه تُحِط بأسرار لا يعرفها إلا أكابر الرجال، وقد أطال الشيخ محي الدين رضي الله عنه في ذلك، ثم قال: فقد صدق والله مَن قال: إن العارفين لا يصحّ لهم الجمع بين الضدّين إذ كل مَن تصوّر العدم في الوجود فقد جمع بين الضدّين وتأمل إذا كنت في مكان مظلم وتمثّلت في خيالك خروجًا من ذلك المكان إلى مكان آخر يحتاج إلى سفر طويل ورجوع كيف تدرك نفسك موجودًا معدومًا في آنٍ واحد وتشهد نفسك في مكانين مختلفين وتشهد مسافة متخيلة وزمانًا واحدًا عدميًا بالنسبة للحركة الشمسية إذ الآن ينافي الزمان وقد وجد المدرك فيه مدة ومسافة ورجوعًا فهو وجود عدمي متخيل لهذا الوجود كالتخيل لعدم العدم في الوجود. فقلت له: فإذن لا يتخيل العدم المطلق إلا ضدًّا؟ فقال رضي الله عنه: وهو كذلك.

فقلت له: أُريد الدليل على الجمع بين الضدّين من السنة. فقال رضي الله عنه: مما يدلّ على أن الجسم الواحد يكون في موضعين وأكثر في آنٍ واحد رؤية رسول الله ﷺ لمّا أُسرِيَ به إلى السمٰوات العلى آدم وعيسى ويحيىٰ وإدريس وموسى وهارون وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام وما وقع له في شأن الصلوات من المراجعة لموسى عليه الصلاة والسلام مع أن موسى عليه الصلاة والسلام حين ذاك في قبره في الأرض قائمًا يصلي وقد قال ﷺ: «رأيت موسى»[١] وما قال رأيت روح موسى ولا جسد موسى فيا مَن يحيل الجمع بين الضدّين ما تقول في هذا الحديث فإن المسمّى بموسى إن لم يكن عينه فالإخبار عنه كذب وهو مُحال على الشارع ﷺ فما بقي إلا أن القدرة صالحة للجمع بين الضدّين خلاف ما يقتضيه النظر العقلي هذا والمقلّد المؤمن بهذا الحديث يقول لصاحبه رأيتك البارحة في النوم ومعلوم أن موسى كان في منزله على حالة غير الحالة التي رُؤي عليها وفي موطن آخر ولا يقول رأيت غيرك ويشهد لذلك أيضًا ما ورد في الصحيح في قصة آدم واليدين حين قال الله تعالى له وهو خارج عن القبضة: «اختر أيتهما شئت، قال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة»[٢] فبسط الحق تعالى يده كما يليق بجلاله فإذا آدم وذريّته فآدم عليه السلام في اليد مقبوض عليه حين اختار اليمين وليس في اليد هو عين آدم المقبوض عليه فيا مَن يدّعي معرفة الله بعقله والإيمان بما جاءت به الرُّسُل زيّن

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ١/ ٣٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي (نكاح ٣٤)، (تفسير ٢)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٤٦، ٤٤٧.

عقلك في هذه المسألة وأنت تقول الشيء الواحد لا يكون في مكانين وتقول هذا مُحال وهذا جائز انتهى.

قلت وقد وقع التبدّل لجماعة كثيرة من الأولياء كقضيب البان[1]، وسيدي حسين أبي علي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي عبد القادر الدشطوطي بمصر المحروسة رضي الله عنهم أجمعين فخطب سيدي إبراهيم الجمعة وصلّى بالناس في خمسين قرية في يوم واحد وآنٍ واحد وكذلك وقع لسيدي محمد الخضري بناحية تسهنا بالغربية أنه صلّى في سرس وفي عدة بلاد في يوم جمعة ووقع لسيدي عبد القادر الدشطوطي أنه بات عند إنسان في الجزيرة مقابل روضة المقياس بمصر وفي بلد آخر واستصحبه كل واحد إلى الصباح وعشّاه لبنًا ونام به على ظهر فرن وأخبر جماعة ممّن سافروا مع السلطان قايتباي[2] إلى نواحي بحر الفرات أن السلطان استأذن سيدي عبد القادر في السفر قبل أن يخرج من مصر فأذِنَ له فلما سافر السلطان دخل إلى مدينة حلب فوجد سيدي عبد القادر مريضًا في زاوية والناس حوله فقالوا: إن الشيخ له هنا نحو سنة ضعيف لا يستطيع المشي وكان للسلطان من حين فارقه في مصر صحيحًا نحو شهر وبالجملة فأخبار الأولياء لا ينتفع بها إلا أهل التسليم والسلام، وقد سألت شيخنا رضي الله عنه: هل يؤاخذ الولي بكل ما فعل صدره من هذه الأجسام التي تطور فيها على السواء أم لا يؤاخذ إلا على الجسم الأصلي دون الزائد؟ فقال رضي الله عنه: يؤاخذ ويُثاب بكل فعل صدر من جميع تلك الصور ولو بلغت ألف صورة له أجْرها وعليه وِزرها.

فقلت له: فكيف تدبر الروح الواحدة هذه الأجسام الكثيرة، وكيف يؤاخذ عليها كلها؟ فقال رضي الله عنه: كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن كذلك تدبر الروح هذه الأجساد وكما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ما يقع منها كذلك تؤاخذ الأجسام الكثيرة التي يديرها روح واحد فإن كل شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد.

---

(١) البانُ: ضرب من الشجر من فصيلة البيانيات طويل الأفنان ليّنها تشبّه به قدود الحسان في الطول واللين، ورقه كورق الصفصاف.

(٢) هو قايتباي المحمودي الأشرفي ثم الظاهري (٨١٥ ـ ٩٠١ هـ = ١٤١٢ ـ ١٤٩٦ م) أبو النصر سيف الدين سلطان الديار المصرية، من ملوك الجراكسة. كان من المماليك. اشتراه الأشرف برسباي بمصر صغيرًا من الخوجة محمود وصار إلى الظاهر جقمقق بالشراء فأعتقه واستخدمه في جيشه، فانتهى أمره إلى أن كان أتابك العساكر في عهد الظاهر تمربغا. وخلع المماليك تمربغا في السنة نفسها وبايعوا قايتباي بالسلطنة. وكانت مدته حافلة بالعظائم والحروب، واستمر إلى أن توفي بالقاهرة. الأعلام ٥/١٨٨، وتاريخ الكعبة لباسلامة ١٣٨، ووليم موير ١٥٧، وابن إياس ٢/ ٩٠ ـ ٣٠٣.

فقلت له: فهل تتّحد أفعال هذه الأجساد التي تطوّر الوليّ فيها حتى أنه إذا حرَّك يده مثلاً تتحرك يد من تلك الصور كلها؟ فقال رضي الله عنه: نعم، فما تقع من يد عين ما يقع من بقية الأيدي.

فقلت له: فما حكمة وقوع التطور في هذه الدار؟ فقال: ذلك إنما يكون بحكم خرق العادة حين يعطون حرف كن وفي الآخرة يكون نفس نشأة أهل الجنة تعطي ذلك.

فقلت له: فما سبب كون نشأتهم تعطي ذلك؟ فقال رضي الله عنه: ذهب بعض العارفين إلى أن روحانية أهل الجنة تغلب على جسدهم فيظهر حكمها عليه ولذلك يدخلون في أيِّ سورة شاؤوا والذي نذهب إليه أن الجسد يرجع إلى أصله فيقرب من إطلاقه.

فقلت: كيف؟ فقال رضي الله عنه: لأن العناصر المطلقة قبل أن تتشخص وتقبل هذه الصور المخصوصة كانت قابلة لكل صورة فلما تقيَّدت بهذه الصور المخصوصة وبعدت عن مرتبة النفس الكليَّة بنزولها إلى عالم الطبيعة تقيَّدت في المادة وانحبست عن الإطلاق فإذا استعملت الرياضة والمجاهدة للتخلّص ترقَّت صاعدة إلى عالمها العلوي فعلى قدر قربها من النفس الكلية تقرب من وصفها الأول القابل لكل صورة فيرجع الجسد بنفسه وحقيقته يتشكَّل ويتصوَّر ويقبل الصور لقربه من النفس الكلية وانظر إلى أجساد أهل النار كيف هي حاملة أثقال طبيعتهم لبُعدها من النفس ومقامها في ظلمة الطبيعة والله تعالى أعلم.

(**بلخش**): سألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه عن قوله تعالى في قصة أهل الكهف: ﴿**لو اطَّلعت عليهم لولَّيت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا**﴾ [الكهف: ١٨] كيف وقع ذلك لرسول الله ﷺ والأنبياء لا توصف بالانهزام ولا بالفرار من مصاف القتال وقول الله تعالى صدق؟ فقال رضي الله عنه: ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي[1] رضي الله

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ ـ ١٢٤٠ م) أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر. فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية وانتقل إلى إشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصرية «شطحات» صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحبس فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي فنجا واستقر في دمشق فتوفي فيها. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم» و«مفاتيح الغيب» و«القطب والنقباء» و«الحق» و«شجون المسجون» و«اللمعة النورانية» وغير ذلك. الأعلام ٦/ ٢٨١ ـ ٢٨٢، وفوات الوفيات ٢/ ٢٤١، وميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨، ولسان الميزان ٥/ ٣١١، وشذرات الذهب=

عنه ذلك وأطال في بيانه وملخص ذلك أنه ليس توليه ﷺ عن رؤيته أجسامهم فإنهم أُناس مثله وإنما هو لما أطلعه الله تعالى عليه حين رؤيتهم من العلم وقد روى أبو نعيم[١] في الحلية[٢] أن جبريل عليه السلام أسرى برسول الله ﷺ بعد البُراق في شجرة فيها كوكرى طائر فقعد جبريل عليه السلام في واحد وقعد رسول الله ﷺ في الواحد الآخر فلما وصلا إلى محل الرفرف تدلَّى لهما الرفرف درًا وياقوتًا فغشي على جبريل ولم يغشَ على رسول الله ﷺ بل بقي على حاله لم يتغيَّر منه شيء فقال رسول الله ﷺ:

فعلمت فضل جبريل عليَّ في العلم لأنه علم ما أرى وأنا ما علمته فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل إنما كانت من علمه بما تدلَّى إليه، فقلت لشيخنا: فإذن العظمة ليست وصفًا للعظيم لأنها لو كانت وصفًا له لعظَّمه كلّ مَن رآه ولم يعرفه وإنما قلب العبد هو الموصوف بتلك العظمة. فقال رضي الله عنه: نعم، وهو كذلك ويشهد له إنكار بعض الخلق للحق تعالى حين يقع التجلِّي في الآخرة وقولهم له حين قال لهم أنا ربكم لست ربنا ويستعيذون منه ولا يجدون له في قلوبهم تعظيمًا فإذا تجلَّى لهم في العلامة التي كانوا عرفوه بها في الدار الدنيا وجدوا عظمته في قلوبهم وخرّوا له ساجدين. فقلت له: فما معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «العظمة ردائي والكبرياء إزاري»[٣]؟ فقال رضي الله عنه: هما في الحقيقة للحق ثم يخلعهما على بعض عبيده ليعمل بهما في الموطن المشروع فقط فإذا خلعهما على القلوب العارفة به كانا عليها كالرداء على لابسه فما هما صفة للحق على التحقيق حين صارا على العبد فافهم.

= ١٩٠/٥، ونفح الطيب ٤٠٤/١.

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٣٣٦ ـ ٤٣٠ هـ = ٩٤٨ ـ ١٠٣٨ م) أبو نعيم، حافظ، مؤرِّخ من الثقاة في الحفظ والرواية ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» و«معرفة الصحابة» و«طبقات المحدّثين والرواة» و«دلائل النبوّة» و«ذكر أخبار أصبهان» وكتاب «الشعراء». الأعلام ١٥٧/١، وكشف الظنون ٦٨٩/١، وميزان الاعتدال ٥٢/١، ولسان الميزان ٢٠١/١، وابن خلّكان ٢٦/١.

(٢) كتاب «حلية الأولياء في الحديث» للحافظ أبي نعيم مجلد ضخم وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسماء جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحقِّقين والمتصرفة والنسَّاك وبعض أحاديثهم وكلامهم وصدر ذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب ثم جعل مَن سواهم إرسالاً لئلا يُستفاد منه تقديم فرد على فرد لكنه أطال فيه بالأسانيد وتكرير كثير من الحكايات وأمور أُخَر منافية لموضوعه. كشف الظنون ٦٨٩.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل ٢، ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢)، وأبو داود (لباس ٢٥)، وابن ماجه (زهد ١٦).

(زمرّد): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف فخذه فتموّله» ما الاستشراف[1]؟ فقال رضي الله عنه: من الإشراف أن تعلم بالمال قبل أن يحصل بين يديك فإن النفس تصير متشرِّفة لحضوره فلا ينبغي لك قبوله مع هذا الإشراف.

(درر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في معنى قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات»[2] اعلم أن لله عزَّ وجل عبيدًا في صورة أسياد وأسيادًا في صورة عبيد والله أعلم.

(زبرجدة)[3]: سمعت شيخنا رضي الله عنه، وقد سُئِلَ عن المقامات في الطريق تدوم على صاحبها إلى أيّ وقت؟ فقال رضي الله عنه: هي على أقسام منها ما يثبت بثبوت شروطها ويزول بزوالها كالورع مثلاً فإنه إنما يكون في المحظورات والمتشابهات فحيث فُقِدت فُقِد الورع، وكذلك التجريد إنما يكون بقطع الأسباب فمتى فُقِدت فُقِدَ التجريد ومنها ما يثبت إلى الموت ثم يزول كالمكتوبة والتكاليف المشروعة ومنها ما يثبت إلى حين دخول الجنة كالخوف

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٩/ ٨٥)، ومسلم في الصحيح (الزكاة ب ٣٧ رقم ١١٠، ١١١)، والنسائي في السُّنن (الزكاة ب ٩٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٧ ـ ٢١)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٤/ ١٩٨، ٦/ ١٨٤)، وابن خزيمة في (الصحيح ٢٣٦٥ ـ ٢٣٦٧)، وابن عبد البرّ في (التمهيد ٥/ ٨٥ ـ ٨٦)، والقرطبي في (التفسير ٣/ ٣٤٥)، (شرح معاني الآثار ٢/ ٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ٢، ٨/ ١٧٥، ٩/ ٢٩)، وأبو داود في (السنن ٢٢٠١)، والترمذي في (السنن ١٦٤٧)، والنسائي في السنن (الطهارة ب ٥٩)، (الإيمان والنذور ب ١٩)، وابن ماجه في (السنن ٤٢٢٧)، والشهاب في (المسند ١١٧١ ـ ١١٧٢ ـ ١١٧٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ١/ ٤١ ـ ٢١٥ ـ ٢٩٨، ٢/ ١٤، ٦/ ٣٣١، ٧/ ٣٤١)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ١/ ٥٦)، وابن كثير في (التفسير ٢/ ٣٤٥)، وابن عبد البر في (التمهيد ٧/ ١٠٦، ٩/ ٢٠١)، (شرح معاني الآثار ٣/ ٩٦)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٦/ ٣٤٢، ٨/ ٤٢)، (بغوي ١/ ٤٣١)، والحميدي في (المسند ٢٨)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ٩)، والبغوي في (شرح السُّنّة ١/ ٤٠١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١)، وابن المبارك في (الزهد ٦٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١، ٣/ ١٠٠ ـ ١٣٧، ٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ١/ ٥٥)، والعراقي في (المغني عن حمل اسفار ٤/ ٣٥١)، والشجري في (الأمالي ١/ ٩)، وابن كثير في (البداية والنهاية ١٠/ ١١٨، ١١/ ٥٥، ١٤/ ١٨٠)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله ٣/ ٩٦)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٤، ٦/ ١٥٣، ٩/ ٣٢٦)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ٢/ ١٥، ٢٢٧)، وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ٣٦٢).

(٣) الزبرجد: حجر كريم ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر والأصفر.

والرجاء ومنها ما يثبت مع الداخل فيها إلى الأبد كالإنس والبسط والظهور بصفات الجمال.

(فيروزج)[1]: سألت شيخنا رضي الله عنه: عن قوله ﷺ: «اللَّهمَّ إني أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك»[2]. فقال رضي الله عنه: في هذا الحديث إشارة إلى مراتب التوحيد الثلاثة وهي توحيد الأفعال، وتوحيد الصفات، وتوحيد الذات، فقوله ﷺ: «أعوذ بعفوك من عقابك» إشارة إلى توحيد الأفعال، وقوله: «وأعوذ برضاك من سخطك»[3] إشارة إلى توحيد الصفات، وقوله: «أعوذ بك منك»[4] إشارة إلى توحيد الذات، فقلت له: أيّ هذه الثلاثة أكمل؟ فقال رضي الله عنه: أكملها توحيد الذات، ويليه في الكمال توحيد الصفات، ويليه توحيد الأفعال كما نطق بها ﷺ فالذات محجوبة بالصفات، والصفات بالأفعال، والأفعال بالأكوان والآثار فمَن تجلَّت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل، ومَن تجلَّت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلَّم، ومَن تجلَّت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فني في الوحدة فصار يشهد نفسه موحدًا مطلقًا فاعلاً ما فعل وقارئًا ما قرأ هذا مشهده لا يذوق غيره والله أعلم.

(جوهر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: كثيرًا ما يقع للأولياء في عالم الخيال أمور فتخرج في الحسّ كذلك مثل مسألة الجوهري الذي غطس في البحر فرأى في غطسته أنه سافر إلى بغداد وتزوج بامرأة هناك فأقام معها ست سنين وأولدها أولادًا ثم رفع رأسه من الماء فوجد ثيابه فلبسها وحكى قصته للناس فكذبوه فلما كان بعد مدة سألت عنه امرأته وسافرت بأولادها إلى مصر وعرفها وعرف أولاده وأقرّه على ذلك

---

(١) الفَيْرُوزَجُ: حجر كريم غير شفّاف، أزرق اللون بلون السماء أو أميل إلى الخضرة يُتَحلّى به.

(٢) أخرجه الدارقطني (السنن ١/ ١٤٤).

(٣) أخرج أبو داود في السنن (استفتاح الصلاة ب ٣٧)، والترمذي في (السنن ٣٤٩٣)، والنسائي في (السُّنن ١/١٠٢)، وأحمد بن حنبل في(المسند ٦/٥٨)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ١١٦)، والحاكم في (المستدرك ١/٢٨٨)، والدارقطني في (السنن ١/١٤٣)، بغوي (١/ ٥٣٤)، وابن خزيمة في (الصحيح ٦٥٤)، والزيلعي في (نصب الراية ١/ ٧١)، والبغوي في (شرح السُّنّة ٥/ ١٦٦)، والطحاوي في (مشكل الآثار ١/ ٣٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٥٨)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٩٢)، وابن عبد البر في (تجريد التمهيد ٧٣٥)، والسيوطي في (الدرّ المنثور ٦/ ٢٧)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢١٣١ ـ ٢١٣٢)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٧١٩)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ٦٧)، ومالك في (الموطأ ٢١٤).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٥٨).

النكاح علماء عصره وهذه من مسائل ذي النون[1] الستة التي تحلّيها العقول فالأدب التسليم للأولياء فإنهم صادقون وقدرة الله أعظم من ذلك.

قلت: وقد حكى الشيخ جمال الدين الكردي من أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي[2] رضي الله عنه أنه وقع له مثل هذه الحكاية وأقام يخطب في بلاد الأكراد مدة ستة أشهر ثم رجع إلى مصر كل ذلك بعد صلاة العصر ثم إن والديه جاءا وأخبرا الفقراء بأنه مكث عندهم المدة التي ذكرها، وقالا للشيخ لولا خاطركم ما تركناه يجيء حتى يكمل سنة عندنا، وسمعته رضي الله عنه يقول: إن لم تتّقِ الله جهاته من كونه شديد العقاب لمَن عصاه وإن اتقيته كنت به أجهل من حيث جهلك بسعة رحمته التي غلبت غضبه ولا بدَّ لك من إحدى الخصلتين فمن نعمته عليك أن خلق لك الغفلة حتى تتعرّى عن حكم الضّدّين لأنه بدون الغفلة يظهر حكم أحدهما.

وسمعته رضي الله عنه يقول: من غوائل النفس شهود العبد أنه مُستَغنٍ بالله عن الناس لأن ذلك يحجبه عن شهود افتقاره إلى الله تعالى الذي هو صفة الخلق كلهم على الدوام حتى الملوك كل ذلك لمحبتها في اسم الفناء ومزاحمتها ومع ذلك فلم يتنبَّه أكثر الناس له ولا صغوا إليه فالكامل مَن أبقى عليه خلعة ربه ولقبه واسمه الذي لقّبه وسمّاه ولم يخرج عن وطنه والسلام.

(ياقوتة): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن الروح هل له كمية حتى يقبل الزيادة في جوهر ذاته؟ فقال رضي الله عنه: ليس للروح كمية بل هو فرد بسيط لا يصحّ أن يكون فيه تركيب إذ لو صحّ ذلك لجاز أن يقوم بجزء منه علم بأمر ما وبالجزء الآخر جهل بذلك الأمر عينه فيكون الإنسان عالمًا بما هو جاهل وذلك مُحال.

---

(١) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري (... ـ ٢٤٥ هـ = ... ـ ٨٥٩ م) أبو الفياض، أو أبو الفيض أحد الزهّاد العباد المشهورين، من أهل مصر. نوبي الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وهو أول مَن تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية». واتهمه المتوكل العباس بالزندقة فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه فعاد إلى مصر، وتوفي بجيزتها. الأعلام ٢/١٠٢، ووفيات الأعيان ١/١٠١، وميزان الاعتدال ١/٣٣١، ولسان الميزان ٢/٤٣٧، وحلية ٩/٣٣١، ١٠/٣.

(٢) هو إبراهيم بن علي بن عمر (.... ـ ٨٧٧ هـ = ... ـ ١٤٧٣ م) برهان الدين الأنصاري المتبولي صالح مصري. للعامّة فيه اعتقاد وغلوّ، كانت شفاعته عند السلطان والأمراء لا تردّ، وله برّ ومعروف وأنشأ أماكن منها جامع بطنطا وبرج بدمياط. توفي بأسدود. له كتاب «الأخلاق المتبولية». الأعلام ١/٥٢، والضوء اللامع ١/٨٥، وبدائع الزهور ٢/١٤٥، ومجمع اللغة العربية بدمشق ٤٨/٣٢٦.

فقلت له: هذا مُشكِل. فقال رضي الله عنه: إذا حصل الكشف فلا إشكال. فقلت له: فإذن الروح ما خلقه الله تعالى إلا كاملاً بالغًا عاقلاً عارفًا بتوحيد الله مُقِرًا بربوبيته. فقال رضي الله عنه: نعم، ولولا ذلك لما أقرَّ بالربوبية عند أخذ الميثاق ولا أجاب.

فقلت له: إذا كانت الروح من أمر الله كيف يؤخذ عليها ميثاق؟ فقال رضي الله عنه: الحق تعالى واسع الرحمة ومَن عرف وسع الرحمة عرف أنه من باب خطاب لصفة لموصوفها وعكسه ولم يزد على ذلك والله أعلم.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه: هل طمح بصر أحد من الأولياء حتى أحاط بالعرش؟ فقال رضي الله عنه: إذا حيط الحق أحدًا بشيء أحاط ولكن أيّ عرش تريد؟

فقلت: عرش الرحمٰن. فقال: نعم بخلاف عرش الذات فإنه طلسم[1] عن جميع العالم.

قلت له: فمَن هو الذي طمح بصره من الأولياء؟ قال رضي الله عنه: خلق كثير منهم الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه فإن له أبياتًا يقول فيها:

انظر إلى العرش على مائه	سفينة تجري بأسمائه
وأعجب له من مركب دائر	قد وسع الكون بأعبائه
يسبح في بحر بلا ساحل	في حندس الغيب وظلمائه
أمواجه أحوال عشّاقه	وريحه أنفاس أبنائه
يكرر الصبح على ليله	وليله يضحّي بإمسائه
فلو تراه بالورى سائرًا	من ألف الخط إليه يائه
ويرجع العود إلى بدئه	ولا نهايات لإبدائه
فالباء لا برّ ولا ساحل	والتاء تابوت وموسى به
إلى أن قال رضي الله عنه في آخره	مَن تاه في القول دارت به

سفينة في بحر غيبانه والله أعلم.

---

(١) الطلسم: السر المكتوم. أو نقوش تنقش على أجساد خاصة في أوقات مناسبة بكيفيات ملائمة لحوائج معلومة يزعمون أنها ترد الأذى (ج) طلاسم وطلسمات.

(مرجانة): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن معنى قوله ﷺ: «الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوّة»[1] لِمَ خصَّ هذه الأجزاء العددية؟ فقال رضي الله عنه: معناه جزء من نبوّتي لا من مطلق النبوّة الشاملة لسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فتخصيص هذا العدد لأنه ﷺ مكث يوحَى إليه في المنام ستة أشهر فأنسبها إلى مدة رسالته التي هي ثلاث وعشرون سنة تجد الرؤيا جزءًا من ستة وأربعين فلو أنه ﷺ كان أوحى إليه ثلاثين سنة مثلاً لقال الرؤيا جزء من ستين جزءًا من النبوّة.

فقلت له: فهل يطلق على الرؤيا وحي.

فقال رضي الله عنه: نعم. فقلت له: فهل يشترط فيها النوم؟

فقال رضي الله عنه: لا قد تكون في النوم وفي غير النوم وفي أيّ حال كانت فهي رؤيا في الخيال بالحسّ لا في الحسّ فافهم ثم المتخيل قد يكون مَن دخل في القوة وقد يكون من تخيّل والله أعلم.

(درّ): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كل حاكم محكوم عليه بما حكم به فحكمه حاكم عليه وتأمّل السلطان مع كماله يغضب من أدنى رعيته ويؤثر فيه الغضب ويرضى من بعضهم ويحكم عليه الحال بالرضا فهو مع كماله تحت حكم حاله سخطًا ورضًى فسقط ما يقوله بعضهم من أن من عباد الله مَن لا تحكم عليهم الأحوال إذ الوقت حاكم على صاحبه ولو بلغ أقصى الدرجات لأنه لا يخلو دائمًا عن حال يكون عليه به يعامل وقته.

وسمعته رضي الله عنه يقول: كلّ مَن نبّهته على نقص فيه فقال ولو في خاطره هذا لا يقال لمثلي فاعلم أنه سقط من رعاية الله عزَّ وجل فإنه تعالى يقول: **﴿وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾** [الذاريات: ٥٥] ومَن لم تنفعه الذكرى فليس عنده حقيقة إيمان والله أعلم.

(زمرّد): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: الأوائل في الأشياء كلها لها الحكم إذ هي الصدق الذي لا يدخله مين والقوة التي لا يشوبها تهافت وذلك كالخاطر الأول، والنظرة الأولى، والسماع الأول، والكلمة الأولى، والحركة الأولى، ومن هنا عمل

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (الرؤيا ٦ مكرر)، وابن ماجه في (السنن ٣٩١٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ١٠)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٩/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، وابن عبد البرّ في (التمهيد ١/ ٢٨٣)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١١/ ٥٠)، والبغوي في (شرح السُّنَّة ١٢/ ٢١٣).

الفقراء بالوارد الأول لأنه دائمًا محض لله تعالى لا يقع فيه اشتراك وأما غير الأول فقد يصدق وقد لا يصدق وكان بعضهم يقول: واردي هو شيخي والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: ليس للعلماء شيء بالله تعالى حالة عن إعراض عن العصاة أبدًا لأن العصاة ما خرجوا عن المقام الإلٰهي وإن خرجوا عن المقام السعادي فهم مُقبِلون على كل مُعرِض عن الله إقبال رحمة وإقبال علم ومعرفة إقبال رضى لشهودهم إن ناصيته بيد الله عزّ وجل وما أعطى الله عزّ وجل لأحد العلم والمعرفة والجاه إلا ليأخذ بيد الضعفاء وينقذهم من مواطن الهَلَكَة لا ليتركهم وينفر منهم فافهم.

(**ياقوتة**): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن الفخر في العباد هل هو بالذات أو بالعرض؟ فقال رضي الله عنه: ليس أحد فخره بالذات إلا الله وحده، وأما العباد فإنما فخرهم بالرتب فيقال مثلاً صفة العلم أفضل من صفة الجهل والرتب من حيث هي نسبة عدم حتى أن كل مَن افتخر يقال إن فخرك بالعدم وتأمّل قوله تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم**﴾ [الكهف: ١١٠] فأمر أن لا يرى له فضلاً على أمته من حيث الذات ثم ذكر شرف الرتبة بقوله يوحى إليّ فتأمل.

واعلم أن من كرم الله تعالى علينا أن خلقنا من تراب تطؤه الأقدام فنحن الأذلاء بالأصل لا نشبه مَن خلق من نور إذ النور له العزّة ما له الذلّة ولو أن الله تعالى أشهد الملائكة خلقهم في مقامات لم ينزلوا عنها ما طاقوا الوفاء بالعبادة إذ ليس عندهم ارتقاء في المقامات كما لنا.

فقلت له: فهل يصحّ للمخلوق أن يتكبر على ربه؟ فقال رضي الله عنه: لا، ولو بلغ أشدّ الكفر كالفراعنة إنما يقع منهم التكبّر على جنسهم من الخلق كالرُسل وأتباعهم.

فقلت له: لِمَ كان ذلك؟ فقال رضي الله عنه: لأن افتقار العبد إلى ربه افتقار ذاتي بخلاف افتقاره إلى رسوله مثلاً فإنه افتقار عرضي ولهذا تكبّر فرعون وأضرابه على رسلهم.

(**زمرّد**): سألت شيخنا رضي الله عنه: هل أقبل الهدية من أحد ممَّن أمرني الله تعالى بمُعاداته من الكفّار ومَن أُلحِقَ بهم؟ فقال رضي الله عنه: لا تقبل من أحد منهم شيئًا فإن القلوب جُبِلت على حب مَن أحسن إليها وللعطاء في النفوس أثر قادح في الإيمان ومن هنا حُرّمت الرشوة على القضاة والعمّال تحريمًا مغلظًا لأن مَن قبلها من خصم لم يقدر على العدل في الحكم ولو حرص لا بدّ أن يكون في نفسه ميل لترجيح

جانب مَن أخذ دراهمه رشوة كما أن مَن قَبِلَ إحسان مَن أمره الله بمُعاداته لا يقدر أن يدفع عن نفسه الميل إيثارًا للجناب الإلٰهي وامتثالاً لأمره أبدًا هذا هو الخروج عن الطبع وهو صعب يمكن أن لا يتصوَّر وقوعه من مؤمن.

فقلت له: فإذا شهدت أن الله تعالى هو المهدي ذلك لي؟ فقال رضي الله عنه: ولو شهدت ذلك فإن الجزء البشري موجود ما دمت موجودًا وإنما يدق ويرقّ فيظن غالب الناس أنه زال وهو باقٍ والله أعلم.

(زبرجدة): سمعت شيخنا رضي الله عنه: يقول مَن استحى من الله تعالى في هذه الدار استحى الله منه في الدار الآخرة. فقلت له: ما صفة استحياء الله من عبده؟ فقال رضي الله عنه: أن يباسطه ويقول: يا عبدي لا تخف مني فإن جميع ما كان وقع منك من المخالفات والتقصير في دار الدنيا إنما كان بقضائي وقدري وتنفيذ مشيئتي وإرادتي التي لم أُكلِّف أحدًا بمخالفتها فإنت يا عبدي كنت موضعًا لجريان أحكامي وظهور سلطاني فيأنس العبد بذلك ألذّ المؤانسة ولو أن العبد قال هو ذلك القول لربه في دار الدنيا أو الآخرة لأساء الأدب مع الله تعالى ولم يسمع منه فاعرف أدب الخطاب تفتح لك الأبواب. فقلت له: فما هي الأسباب الحافظة للعبد عن الوقوع فيما لا ينبغي؟ فقال رضي الله عنه: هي أربعة: الحياء، والخوف، والرجاء، والعصمة أو الحفظ في علم الله تعالى لهذا الشخص.

(كبريت أحمر): سألت شيخنا رضي الله عنه: هل خرج أحد من الكُمّل عن حجاب التقليد، فقال رضي الله عنه: التقليد هو الأصل الذي يرجع إليه كل علم نظري أو ضروري أو كشفي فإنهم في كل ذلك بحكم التبعيّة لما تجلّى لهم.

فقلت له: فما أعلى الناس مرتبة في التقليد؟ فقال رضي الله عنه: مَن قلَّد ربه فإن ذلك هو العلم الصحيح فإنه بنفسه عليم وما أضاف لنفسه وشرعه إلا ما هو الحق في نفسه. فقلت له: فمَن يليه في الرتبة؟ فقال رضي الله عنه: مَن قلَّد عقله في الأمور الضرورية.

فقلت له: فمَن يليه؟ قال رضي الله عنه: مَن قلَّد عقله فيما أعطاه فكره فما في الوجود أحد علم الأمور بذاته إلا الله تعالى وجميع الخلق ما عرفوا أمرًا من الأمور إلا بأمر زائد على ذاتهم ومَن كان علمه كذلك فليس بعالم حقيقة لتقليده لذلك الزائد على ذاته فيما أعطاه وجميع العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم علماء بما أعطاهم النظر والحسّ والعقل وهم في مقام التقليد لذلك ما برحوا فإنه ما من قوة من قواهم إلا ولها

غلط ولو أنهم تقرَّبوا إلى الله تعالى بالنوافل[1] كأهل الله تعالى حتى كان الحق تعالى سمعهم وبصرهم وجميع قواهم لعرفوا الأمور كلها بالله عرفوا الله بالله تقليد الله.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثَمَّ وجه الله إن الله تعالى قبلة﴾ [البقرة: ١١٥] لمَن لا يتقيد بالجهة كالحائر والمتنفّل في السفر وإن كان ذا جهة في نفس الأمر وإنما شرع للعبد جهة خاصة لا يتعدّاها إلا لضرورة ليكون العبد في تعبّده بحكم الاضطرار لا بحكم الاختيار، وسمعته يقول: مَن حصل له شهود الذات فهو مجهول في الدنيا والآخرة لا ينفع ولا يشفع فللّه الحمد، وسمعته يقول: العلم نور والنور حجاب والحجاب عمى والعمى والحيرة وقفة والوقفة هلاك نسأل الله اللطف.

وسمعته يقول: لو كان الإيمان يعطي بذاته مكارم الأخلاق لم يحتج مؤمن أن يقال له افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الأخلاق ولا إيمان وقد يوجد الإيمان ولا مكارم أخلاق فمن هنا قالوا الإيمان قول وعمل.

وسمعته مرارًا يقول: الجود على ضروبه كلها من الكرم والإيثار والسخاء لا حقيقة لشيء منها عند المحقِّقين لأن الكريم أو السخي مثلاً إنما هو مؤدٍّ أمانة لصاحبها لا غير فما أخذ أحد شيئًا من رزق أحد أبدًا فافهم.

(ياقوت): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا زلَّ الوليّ ولم يرجع من وقته عوقب بالحجاب وهو أن يحبب إليه إظهار خرق العوائد المسمّاة في لسان العامّة كرامات فيظهر بها، ويقول لو كنت مؤاخذًا بهذه الزلّة لقبض الحق عن التصريف وغاب عنه أن ذلك استدراج بل ولو سَلِمَ من الزلّة فالواجب خوفه من المكر والاستدراج.

فقلت له: فهل يجب على الأولياء ستر كراماتهم؟ فقال رضي الله عنه: هم بحسب مشاهدتهم وما يترتب على إظهارها وإخفائها من المنافع لأن الخلق في حجر الأولياء كالأطفال في يد وليّهم يخوفهم تارة ويفرحهم تارة ويخوفهم تارة ويقرّبهم تارة ومع هذه المنافع فلا بدّ من الأدب الإلٰهي في إظهار الكرامات. فقلت له: فماذا يفعل إذا عرض عليه التصريف ولم يؤمر به؟ فقال رضي الله عنه: يتركه كما أبَت السمٰوات والأرض والجبال حمل الأمانة إذا كان الأمر معروضًا عليه لا مأمورًا به وكما وقع لداود عليه السلام حين قال الله تعالى له: ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ [صَ: ٢٦] فأمره أن يتصرّف، ثم قال: ﴿ولا تتّبع الهوى﴾ [صَ: ٢٦] فنهاه عن التصرّف بغير إذن، وكذلك

---

(١) النوافل: (ج) نافلة: ما زاد على النصيب أو الحق أو الفرض.

قصة عثمان بن عفّان رضي الله عنه: نهاه رسول الله ﷺ أن يخلع ثوب الخلافة من عنقه حتى يقتل لعلمه بما للحق فيه فعلم أن كل مَن اقترن بحكمه أمر إلٰهي وجب عليه الظهور به ولا يزال مؤيدًا في ذلك ومَن لم يقترن به أمر إلٰهي فهو مُخَيَّر إن شاء ظهر به فيظهر بحق وإن شاء لم يظهر به فيستر بحق.

فقلت له: فهل ترك الظهور بالتحكّم أولى للأولياء في هذه الدار أم الظهور لهم أولى كالأنبياء عليهم السلام؟ فقال رضي الله عنه: الظهور أولى وأكثر نفعًا.

فقلت له: فهل أُعطي أحد التصرّف في جميع العالم على الكمال؟ فقال رضي الله عنه: لا، ذلك من خصائص الحق والله أعلم.

(زبرجدة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ [المائدة: ٢٧] لِمَ خصَّ المتقين بالقبول؟ فقال رضي الله عنه: لأن المتقّي صاحب دعوى أن معه شيئًا يعطيه لربه من الأعمال ويتقبله منه فقبل الحق تعالى ذلك منه عملاً بوهمه لأن جوده تعالى فيّاض على الخلق على اختلاف طبقاتهم، وأما العارف بالله فلا دعوى عنده لشيء فهو لا يرى له مع الله عملاً حتى يتقبله منه لأنه صاحب تجريد فيشهد الأعمال تجري منه وهو عنها بمعزل ولا يشهد له إليها نسبة إلا كونه محلاً لجريانها وظهور أعيانها فقط وإذا كانت الأعمال لم تزل عن عاملها الأصلي الذي هو الحق تعالى فلا يصحّ وصفها بقبول ولا ردّ وانظر إلى المتقي كيف يحشر إلى الرحمٰن والعارف في الحضرة ما زال عنها دنيًا ولا أخرى والله أعلم.

(زمرّد): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: الطاعة للعبد والمسارعة إليها للمحبّ والتلذّذ بها للعارف والفناء عنها مع المحافظة عليها للمحقق. فقلت له: فإذن المحقق لا أتعب قلبًا منه في العبادة. فقال رضي الله عنه: نعم ما خفّف الطاعات على العاملين إلا وجود اللذّة فيها فإذا انتفت اللذّة كانت أشقّ ما يكون ومن هنا تورّمت أقدامه ﷺ لأن تجلّي الحق تعالى بالأعمال في العبد أشدّ من تجلّيه فيه بالكلام وقد كان يتصدَع منه فكيف بالأعمال فتأمل.

وسمعته رضي الله عنه يقول: الأنبياء والأولياء أحوالهم فوق ما تقتضيه عقول الخلق لاشتغال قلوبهم بما يقضي به لهم ربهم فعقولهم معقولة عن سوى ربهم عقلها عن ذلك مطالعة بين القضاء الإلٰهي فهم قائمون بجريان الحكم لا بهم. وسمعته يقول: الأحوال نتائج أفكار القلوب والتأثير في العالم من نتائج الهِمَم والعارفون لا نعمة لهم فلا تأثير، وسمعته يقول: ليس الغيب الذي يعلم للعارفين غيبًا عندهم إنما هو من قسم

عالم الشهادة فيخبرون عمّا يشاهدونه فما سمّاه غيبًا إلا مَن كان محجوبًا عن ذلك من العامّة.

وسمعته يقول: وقد سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقال رضي الله عنه: عالم الأمر هو الوجه الذي يلي الحق في جميع الموجدات وما لم يخلق عن سبب وليس إلا الأمور الأول وعالم الخلق هو ما وجد عن الوسائط ولذلك ينسب إليها. وسمعته يقول: نوافل العبادات هو كل ما كان له أصل في الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم وما أشبه ذلك وما عدا ذلك فهو عمل وليس بنافلة.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن وصفه الملائكة بالخوف ووصف العلماء بالخشية في قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠]، وفي قوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] هل هما بمعنى واحد أو بينهما فرق؟ فقال رضي الله عنه: بين الخشية والخوف ما بين الإنسان والملك ولم يزد على ذلك.

وسمعته رضي الله عنه يقول: لا يمكن لكل مَن سوى الله من ملك وإنس وجان وحيوان أن يتحرك أو يسكن إلا لعلّة قائمة في الدنيا والآخرة وذلك لأن أصل الكون معلومًا وما ثَمَّ دواء يشفيه.

وسمعته رضي الله عنه يقول: من أعظم دليل على أن التجلّي الإلـٰهي لا يكون إلا في مادة دخول الأرواح في الذوات عند أخذ الميثاق الثاني فإن الروح من أمر الله وهي بسيطة لا تركيب فيها والبسائط لا يصحّ شهودها قطّ إلا في جسم فافهم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: لا يسمى الذكر ذكرًا إلا إن كان مشروعًا فإذا كان مشروعًا كان الجزاء من لازمه سواء نويت أنت ذلك أم لم تنوه ومن هنا لم يوجب بعض العلماء النيّة في الطهارة.

وسمعته رضي الله عنه يقول: مَن صحّ له التقريب الإلـٰهي لم يصح له شهود نفسه ولا أحد من الأغيار لأن القرب الإلـٰهي يذهب الأكوان. فقلت له: فهل ذلك نقص أم كمال؟ فقال رضي الله عنه: نقص، إذ الكامل مَن يشهد العالم مع الحق بالحق. فقلت له: فما سُلَّم الكمال؟ قال رضي الله عنه: معرفة العبد نفسه فإذا عرفها ترقّى منها لمعرفة الروح الكل لأن الجزء له معرفة تجاوزه وأنشدوا:

لا تلتفت يومًا لغيرك يا فتى ... فالكون أجمعه بذاتك قائم

والروح أمر الله فافهم لأمره ... لتعلم أن الروح بالسرّ عالم

ثم إنه إذا عرفه لم ينحجب عن العالم الذي كان واسطة في ترقّيه فمَن طلب الله وجد نفسه ومَن طلب نفسه وجد الله كسراب بقيعة فافهم واعتبر. فقلت له: فهل المشرّع طريق إلى الله تعالى؟ فقال رضي الله عنه: لا إنما هو طريق إلى النجاة والسعادة لأن الله تعالى لا يوصل إليه إلا بطريق من الطرق.

وسمعته رضي الله عنه يقول: مشاهدة الخلق لربهم في هذه الدار برزخ[1] بين الحسّ والغيب. فقلت له: وفي الآخرة؟ فقال رضي الله عنه: لا يكون في الآخرة للمؤمنين إلا الرؤية التي هي أعلى من المشاهدة والله أعلم.

(فيروزج): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: من عباد الله تعالى مَن لا يستره حجاب ومع ذلك فلا يعرف ما في جيبه وربما يتكلم على الخواطر وما هو مع الخاطر وإن من عباد الله مَن تقودهم المعرفة إليه به وهم يجولون في ميادين المخالفات وإن من عباد الله مَن تهبّ على قلوبهم نفحات إلٰهية لو نطقوا بها كفّرهم المؤمن وجهّلهم صاحب الدليل.

وسمعته رضي الله عنه يقول: الأجل المسمّى هو مسمى لانقطاع الأنفاس لأنها من أهل طريقه فمَن لا نفس له لا يضرب له أجل كعالم الملائكة النورانية. وسمعته يقول: العارف بالله مركب أدبه من شرع وحقيقة يأكل بعضه بعضًا وإن أحسّ بالألم لم يقدر على النطق فهو إن نطق هلك إن سكت هلك يشكو إلى الله بباطنه أن يأذن له في النفس مثل ما استأذنت النار حين أكل بعضها بعضًا فأذِنَ الحق لها بنَفَسين سعير وزمهرير[2] فأهلكت الخلق بما كادت تهلك به في نفسها وكذلك العارف إذا تنفس استراح في نفسه وأهلك الخلق بكلامه إلا مَن حفظه الله فإن لم يحفظه كفر وتزندق وربما قتل. فقلت له: فإذن هلاك الخلق أولى من إهلاك الإنسان نفسه على يده. فقال رضي الله عنه: نعم، ألا ترى إلى مَن قتل نفسه في نار جهنم كما جاءت به الأخبار ومَن قتل غيره تحت المشيئة وإن مَن قتل غيره له كفّارة ومَن قتل نفسه لا كفّارة له فافهم.

وسمعته يقول: في حديث «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»[3]، المراد به حصول الشبع والرّيّ كما يحصل لمَن أكل أو شرب فكان ﷺ يبيت جائعًا عطشانًا بلا شك فيرى

---

(١) البرزخ: الحاجز بين الشيئين. و ـ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى يوم البعث.
(٢) الزمهرير: شدّة البرد.
(٣) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ٤/٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وسعيد بن منصور في (السنن ١/٢٠١)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٢٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٣٨٩٦).

في منامه كأنه يأكل ويشرب فيصبح كذلك شبعانًا ريّانًا. وقد حكى الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه: أنه وقع له ذلك بحكم الإرث لرسول الله ﷺ بقيت رائحة ذلك الطعام أكله في النوم بعد أن استيقظ ثلاثة أيام وأصحابه يشمّونها منه وأما مَن ليس له هذا المقم فإنه يرى في منامه أنه يأكل ويصبح جيعانًا كما أمسى والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: لا تتقرب بالأعمال إلا لعاملها لكي تحفظ فيها فتنبَّه وتفطن. وسمعته يقول: في معرفة الأُلوهية أنت الأصل فما عرفها سواك وفي عين الوجود هو الأصل وفي معرفة الذات لا أنت أصل ولا فرع.

وسمعته يقول: إن من عباد الله مَن تغلب عليه هيبة الله حتى يصير خامدًا لا حركة له أصلاً في شيء من أمر الدنيا والآخرة.

فقلت له: فهل هو مخاطب بالتكليف في تلك الحالة؟ فقال رضي الله عنه: نعم، هو مكلَّف في تلك الحضرة بحسب استطاعته لقول الله عزَّ وجل: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦] وقوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(١) وقد مكث أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه: نحو أربعين يومًا لا يستطيع أن يمثّل أنه بين يديّ الله أبدًا وكان يحسّ بأن مفاصله تخلعّت من شدّة الهيبة. فقلت له: فهل يقضي إذا أفاق من ذلك على الكمال؟ فقال رضي الله عنه: ينبغي ذلك فإن حكم الشريعة نافذ على عاقل ولم يزد على ذلك.

قلت: وقد سمعت سيدي الشيخ عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه: بمصر المحروسة يقول: بلاء أهون على العارف من صلاة ركعتين مع هيبة والله أعلم.

(كبريت أحمر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يحكي عن الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أنه كان يقول: ليس الرجل مَن إذا انصرف من صلاته انصرف معه سبعون ألف صف من الملائكة يشيِّعونه إنما الرجل مَن ينصرف ولم يشيِّعه أحد، وليس الرجل مَن يتعلق بالقرآن إنما الرجل مَن يتعلق به القرآن، وليس الرجل مَن يبايع الحجر الأسود إنما الرجل من الحجر يبايعه، وليس الرجل مَن يشتهي أنه لا يفارق صلاته إنما الرجل مَن تشتهي صلاته أن لا تفارقه، وليس الرجل مَن فرض عليه الحج إنما الرجل مَن كان فرضًا على الحج.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٩/ ١١٧)، ومسلم في الصحيح (الحج ٤١٢)، (الفضائل ١٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢، ٥٠٨)، والدارقطني في (السنن ٢/ ٢٨١)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ١/ ١٥٦)، وابن حجر في (فتح الباري ١٣/ ٢٦١، ٢/ ٥٨٨).

وسمعته رضي الله عنه يقول: إن من عباد الله مَن تكن الذرّة من عمره مقام العمر الكامل من غيره وإن من عباد الله مَن غمسه الله في بحر الرحمة فلم يبقَ عليه من درن المخالفة شيء، وسمعته مرارًا يقول إذا رمى العبد نفسه بين يدي ربه فقيرًا ذليلاً فهو مرحوم بلا شك والله أعلم.

(جوهر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول لقارىء وكان ذلك القارىء من العارفين: اقرأ القرآن من حيث ما هو كلام الله لا من حيث ما تدلّ عليه الآيات من الأحكام والقصص فإنها هي الران على قلبك والحجاب. فقلت له: كيف؟

فقال رضي الله عنه: المراد بتدبّر القرآن الذي أمرك الله به أن يجمعك تدبّرك على صاحب الكلام، وأما تدبّر الأحكام والقصص فإنه يفرّقك فآية تذهب بك إلى الجنة فتشهد ما فيها وآية تذهب بك إلى النار فتشهد ما فيها فيحجبك ذلك الشهود عن الحق تعالى فرجع تدبّرك إلى شهود الأكوان الدنيوية أو الأُخروية ومَن كان مع الكون لم يحظَ بشهود المكون وفي بعض الكتب الإلـٰهية يقول الله عزَّ وجل: يا عبدي جعلت النهار لمعاشك وجعلت الليل للسَّمر والحديث معي فاشتغلت بمعاشك في النهار ونمت عن مجالستي في الليل فخسرتني في الدارين لأنك لا تُحشَر إلا ما مُتَّ عليه انتهى.

فانظر ما يحكيه عنك وما يخبرك به عنه فخذ مالك ورُدَّ إليه ماله تأمّل لأيّ شيء أخبرك عنك أنت تعلم خبرك.

وسمعته رضي الله عنه يقول: الحضور مع السوابق يرفع اللوم عن اللواحق ثم الحكم بعد للسوابق وما بينهما من اللواحق ساقط.

(ياقوتة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: **﴿إلا مَن تاب آمن وعمل صالحًا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات﴾** [الفرقان: ٧٠] هل يصحّ لأحد في هذه الدار أن يعلم أن سيآته قد بدلت حسنات؟ فقال رضي الله عنه: نعم، وعلامة تبديلها أن يُذهِب عنه تذكّرها فلا يصير عنده علم بأنها وقعت منه أبدًا ولذلك قالوا: من علامة الصادق في توبته أن لا يعود لذكر ذنبه إذ التوبة إذا قبلت لا يبقى للذنب صورة تشهد في مخيلته لتبديله بالنص المعصوم فمتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة وإيمانه مختلّ وهي ترك لا توبة.

فقلت: فهل تبديل السيئات بالحسنات أن يقسم له أعمال صالحة بعد تلك التوبة أم هو بأن تكتب الملائكة في صحيفته بدل تلك السيئة حسنة تشاكلها وتوازنها بحكم المقابلة؟ فقال رضي الله عنه: يُكتَب للتائب موضع كل سيئة عملها حسنة وتكون الأعمال الصالحة التي عملها بعد التوبة رفع درجات عند الله عزَّ وجل.

(درَّة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: طهارة الأسرار ذاتية وطهارة الطبيعة عرضية فقدّس طبيعتك فإن سرَّك مقدس وتحصيل الحاصل تضييع للوقت.

(زمرّد): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: اجتهد أن تعرف من أين جئت وكيف جئت لتعرف إلى أين ترجع، وكيف ترجع؟

وسمعته يقول: ما دامت العقول المركبة من الأمزجة باقية فالتكليف قائم فإذا غلبت العقول الإلٰهية ارتفع التكليف فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك.

وسمعته يقول: واجب على كل مَن طلب الحق تعالى لزوم الحق.

وسمعته يقول: المؤمن وجه بلا قفا فمن أيِّ وجه شاء أبصر لأن مرآة قلبه لا جهة فيها ولذلك كانت للحق مجلى الذي لا يتَّصف بالجهات.

وسمعت جماعة من أهل الشطح مرارًا يقولون: مَن فهم هذا علم معنى قوله ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن»[(١)] بجعل اسم المؤمن مشتركًا بين الحق والعبد فإن الله سمَّى نفسه المؤمن وسمَّى عبده كذلك فالمؤمن الذي هو الحق مرآة للمؤمن الذي هو العبد ولا يرى العبد في المرآة إلا صورة نفسه دون جرم المرآة والمؤمن الذي هو العبد مرآة للحق ينظر فيها أسماءه وصفاته فإن الإنسان حامل أعباء المملكة وما يعقلها إلا العالمون انتهى وهو كلام غوره بعيد والله أعلم.

(درَّة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: من أصعب الأمور على النفوس العبادة على الغيب لأنها لم تزل متطلِّبة لمعرفة مَن تعبده ومن هنا اتخذ مَن اتخذ من المشركين إلٰهًا يعبده على الشهود حتى تسكن نفسه ومنشأ ذلك الجهل بالحق تعالى وصفاته ولما علم الشارع ﷺ أن هذا الأمر يطرق الأمة قال لجابر[(٢)] رضي الله عنه: «اعبد الله كأنك تراه»[(٣)] أي أحضر في نفسك أنك تراه فعلم أن العبادة لا تكون إلا مع التعلّق بمعبود هو

---

(١) أخرجه أبو داود (أدب ٤٩)، والترمذي (برّ ١٨).

(٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي (١٦ ق.هـ ـ ٧٨ هـ = ٦٠٧ ـ ٦٩٧ م) صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة. غزا تسع عشر غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثًا. وله «مسند». الأعلام ٢/ ١٠٤، والإصابة ١/ ٢١٣، وتهذيب الأسماء ١/ ١٤٢.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ١٣٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/ ٤٠، ٤/ ٢١٨)، وابن حجر في (المطالب العالية ٣٠٩٦ ـ ٣٠٩٧)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ١/ ٢٦٨)،=

كالمشهود لا سبيل إلى الغيب جملة وهذا من رحمة الله التي رحم بها عباده وإلا انفطرت مرائرهم فالحمد لله ربّ العالمين.

(بلخشة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن إفاضة المسمّيات إلى اسم الله تعالى من الشياطين هل الأدب ترك الإضافة؟ فقال رضي الله عنه: الأدب ترك ذلك فلا يقال قزش غليوش ونحو ذلك من أسماء المردة[1] من الشياطين بخلاف مَن كان من عالم النور من الجن فإن أسماءهم تُضاف إلى إيل كما أُضيف إلى أسماء الملائكة من جبر وميك إلى إيل الذي هو بالعبرانية الله وقد أقام الله تعالى هذا الاسم مقام البسملة في التوراة فقال عزَّ وجل إيل راحون شداي والله تعالى أعلم.

(مرجانة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الجزاء على الأعمال هل هو من حيث النيّة أو من حيث الأعمال، فقال رضي الله عنه: لا بدَّ لصور الأعمال من القيام في محل الجزاء وقيامها بذاتها أو بمَن ظهرت عنه غير ممكن فتبيَّن أن قيامها بالنيّة حيث جعلها الشّارع روح العمل ومن هنا كان الجزاء من حيث النيّة لا من حيث الأعمال قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرىء ما نوى»[2] ما قال ما عمل فعلّق حصول الأعمال بالنيّات إكرامًا لهذه الأمة، ثم قال: «فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله»[3] الحديث.

(ياقوتة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول بعضهم: إذا لم يؤثر كلام الواعظ في قلب السامعين فهو دليل على عدم صدقه هل ذلك صحيح؟ فقال رضي الله عنه: ليس بصحيح فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صادقون بلا شك وقد دعوا الناس إلى الله تعالى ولم يؤثّر كلامهم إلا في قليل من الناس والتحقيق أن كل داعٍ إلى الله تعالى لا بدَّ أن الناس في دعائه قسمان: قسم يقولون: سمعنا وأطعنا، وقسم يقولون: عصينا وأبينا بحكم القبضتين والله أعلم.

= ٣/ ٥٩٢، ٤/ ٢٤٧)، وابن كثير في (التفسير ٢/ ١٧٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٦/ ١١٥)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٢٣٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٢٤، ٧/ ٤٥٣، ١٠/ ٥٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٠٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ١/ ٢٩٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٢٥٠ ـ ٥٢٥١ ـ ٥٢٥٦ ـ ٥٢٧٩ ـ ٤٤١٥٤)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٣/ ٢٢٥).

(١) المردة: (ج) مارد: العاتي الشديد العتوّ والطاغية.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (إيمان ٤١)،(عتق ٦)، (مناقب الأنصار ٤٥)، (نكاح، ٥)، (أيمان ٤١) ومسلم (إمارة ١٥٥)، وأبو داود (طلاق ١١)، والترمذي (فضائل الجهاد ١٦)، والنسائي (طهارة ٥٦)=

(جوهرة): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن قوله ﷺ: «والصدقة برهان»[1] ما المراد به؟ فقال رضي الله عنه: اعلم أن الشحّ في الإنسان وصف جبلي لا يمكن زواله بالكليّة ولكن يتعطّل بعناية الله تعالى استعماله لا غير ولذلك قال تعالى: **﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** [التغابن: ١٦] فأثبت الشحّ في النفس إلا أن العبد يوقاه بفضله وبرحمته وقال تعالى: **﴿إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسّه الشرّ جزوعًا وإذا مسّه الخير منوعًا﴾** [المعارج: ١٩] وأصل ذلك كله أن الإنسان استفاد وجوده من الحق تعالى فهو مفطور على الاستفادة لا على الإفادة فلا تعطيه حقيقته أن يتصدّق أو يعطي أحدًا شيئًا ومن هنا كانت الصدقة برهانًا يعني دليلاً على أن الإنسان وُقّيَ بها شُحّ النفس والله أعلم.

(درّة): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن قوله ﷺ: «مَن أقسم على أخيه في فعل شيء فليقسم بالله عزّ وجل»، وفي رواية «مَن كان حالفًا فليحلف بالله»[2] وقد أقسم الله تعالى بمخلوقاته في أماكن كثيرة فهل ذلك مناقضة؟ فقال رضي الله عنه: معاذ الله أن يكون شيء من قول رسول الله ﷺ مناقضًا للقرآن ولكن التحقيق أن للعارف بالله تعالى أن يقسم بكل معلوم لشهوده أنه تعالى مع كل شيء وهو أحد الوجوه في قسم الله تعالى بالأشياء نحو قوله والشمس، والليل، والضحى، والتين يريد تعالى وربّ الشمس ربّ الليل ربّ الضحى ربّ التين فما أقسم الحق تعالى حقيقة إلا بنفسه، سمعت بعض أهل الشطح يقول الوجود المستفاد كله عين الحق تعالى وإن كان الأمر بخلاف ذلك عند المحجوبين وقد قال تعالى مقسمًا وشاهد ومشهود لا يصحّ أن يقسم تعالى بما ليس هو لأن المقسوم به هو الذي ينبغي له العظمة فما أقسم بشيء ليس هو.

فقلت له: قد قال المحقّقون أن وجود المستفاد هو على أصله ما انتقل عن إمكانه فكيف قلتم إنه ما ثَمّ إلا وجودًا الحق فقال: عفى عنه حكم الممكن باقٍ وعينه ثابتة وما

= (طلاق ٢٤)، (أيمان ١٩)، وابن ماجه (زهد ٢٦)، وأحمد بن حنبل ١، ٢٥، ٤٣.

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (الطهارة ب ١ رقم ١)، والترمذي في (السنن ٣٥١٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٤٢ - ٣٤٣)، والدارمي في (السنن ١/ ١٦٧)، والبيهقي في (السنن الكبرى ١/ ٤٢)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٦١ - ٢٣٣٦ - ٢٥٥٣)، والسيوطي في (الدر المنثور ١/ ١٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٣٠٤، ٥/ ١٥).

(٢) أخرجه البخاري (مناقب الأنصار ٢٦)، (أدب ٧٤)، (أيمان ٤)، (توحيد ١٣)، وأبو داود(أيمان ٤)، والترمذي (نذور ٩)، والنسائي (أيمان ٤)، وابن ماجه (كفّارات ٢)، والدارمي (نذور ٦)، والموطأ (نذور ١٤)، وأحمد بن حنبل ١، ٤٧، ٢، ١١، ٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٧، ٩٨، ١٢٥، ١٤٢، ٣، ٤٨٧.

استفاد إلا حكم المظهرية فقط لأنه تعالى عين كل شيء في الظهور وما هو عين الأشياء في ذواتها بل هو هو والأشياء أشياء.

فقلت له: فإذن ما خاطب الحق تعالى بقوله كن إلا موجودًا في علمه فقال رضي الله عنه: نعم، وليس ذلك إلا هو والقدرة صالحة تسمع المعدوم الخطاب. فقلت له: فما التحقيق إن قبول الممكن للتكوين ما هو كما عند المحجوبين وإنما قبوله للتكوين أن يكون مظهرًا للحق فقط لا أنه استفاد وجودًا لم يكن عنده، قال: عفى عنه ولقد نبَّهتك على أمر عظيم إن عقلته انتهى كلام هذا الشاطح وهو كلام غوره بعيد وهو يشير إلى العارف بالله ما أقسم حقيقة إلا بربّه لأنه إذا قرن الحادث بالقديم لم يبقَ للحادث أثر بخلاف غير العارف بالله فليس له أن يقسم بشيء من المخلوقات والله أعلم.

(زمرّدة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم: ٦] هل ذلك عامٌ في جميع الملائكة أو خاص بطائفة منهم؟ فقال رضي الله عنه: جميع ملائكة السمٰوات معصومون لأنهم عقول مجرَّدة بلا منازل ولا شهوة فهم مطيعون بالذات لا يعرفون للمخالفة طعمًا وأما الملائكة الأرضية الذين لا يصعدون إلى السماء فهم غير معصومين ولذلك وقع إبليس فيما وقع إذ كان من ملائكة الأرض الساكنين بجبل الياقوت بالمشرق عند خط الاستواء وهناك جنة البرزخ التي خرج منها آدم وأهبط فهي جنة يدخلها العارفون الآن بأرواحهم لا بأجسامهم فعلم أن ملائكة الأرض مكلّفون بالأمر والنهي كالثقلين ولذلك حازوا أجر عبادة لأمر وأجر اجتناب النهي بخلاف ملائكة السمٰوات ليس لهم إلا أجر امتثال الأمر لا غير وهل الأمر للملائكة بواسطة رسول أم من الله بلا واسطة الذي أعطاه الكشف أن ذلك بواسطة رسول الله ﷺ لعموم رسالته في عالم الأرواح وفي عالم الأجسام فأرسل إلى ملائكة السماء بالأمر فقط وإلى ملائكة الأرض بالأمر والنهي كالثقلين ولنا ملائكة لم يتوجّه عليهم رسول قطّ وهم الملائكة العالون كما مرَّ تقريره والله أعلم.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله ﷺ: «لا تنازعوا الأمر أهله»[1] هل يدخل في ذلك السلطان الجائر لكونه أهلاً للأمر الذي أُقيم فيه والخلق يستحقونه لما هم عليه من الخروج عن طاعة الله عزَّ وجل؟ فقال رضي الله عنه: نعم، يدخل الجائر في ذلك ولولا استحقاق الخلق له ما ولاّه الحق عليهم فإياك والاعتراض في تولية مَن ولاّه الحق تعالى على الناس من قاضٍ أو أمير أو وزير فإن المولى له هو الله عزَّ وجل

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ١/ ٩٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٢٨٠).

وإن كان ولا بدَّ لك من منازعته فاعرف مَن ولاَّه ثم نازع بشرطه، وكان حذيفة[1] رضي الله عنه يقول: إن عدل السلطان فلنا وله وإن جارَ فلنا وعليه فنحن في الحالين سعداء إن شاء الله تعالى، وأما إذا تكلمنا في ولاتنا بما هم عليه من الجور فليس لنا هذا المقام لأنه سقط ما كان لنا في جورهم من الأجر لعدم صبرنا عليهم فتأمل والله أعلم.

(درّ): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿قل إنما حرَّم ربِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأعراف: ٣٣] هل المراد بالبطون معاصي الباطن أو غموض تلك الفواحش حتى لا تظهر إلا لأهل الكشف والتعريف ولا تظهر لأحد من الخلق فقال رضي الله عنه: الآية تشمل ذلك كله فمعنى الآية إن ربي حرَّم الفواحش ما علم منها وشاع وما لم يعلم إلا بالتعريف الإلهي لغموض إدراك فحشه كما إذا حرَّم الله تعالى على عباده شيئًا فما هو عين ما أحلَّه في زمان آخر أو شرع آخر فمثل هذا مما بطن علمه فحكمه في التحريم حكم ما لم يطَّلع عليه أحد مطلقًا والله أعلم.

(زبرجد): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: من كمال الرجل أن يخاف مما خوَّفه الله منه في الدنيا والآخرة وهذا أمر قلَّ أن يتفطَّن له لا سيما القائلون بالوحدة المطلقة بحكم الوهم.

فقلت له: قد ذكروا أن من شرط العارف أن يكون على بصيرة من أمره ومَن هو كذلك فكيف يخاف؟ فقال رضي الله عنه: ليس أحد على بصيرة من أمره إلا في مرتبة التقييد، أما مرتبة الإطلاق التي منها يغفر لمَن يشاء ويعذِّب مَن يشاء فالخوف واقع وبتقدير انتفاء الخوف في مرتبة الإطلاق فالأدب أن يخاف من الله تعالى امتثالاً لأمره في قوله تعالى وخافون إن كنتم مؤمنين. فقلت له: قد علَّق الله تعالى الخوف منه بمَن كان مؤمنًا والإيمان حجاب والعارف قد رفع حجابه بدخول حضرة الإحسان وصار الأمر كشفًا له. فقال رضي الله عنه: ولو صار الأمر كشفًا له فلا بدَّ من الحجاب غاية الأمر أن الحجاب رقَّ عند الكشف كما يرى الإنسان ما في الزجاج الصافي مع حجاب الزجاج

---

(١) هو حذيفة بن حِسل بن جابر العبسي (... ـ ٣٦ هـ = ... ـ ٦٥٦ م) أبو عبد الله، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سرّ النبي ﷺ في المنافقين، ولاَّه عمر على المدائن فأقام بينهم وأصلح بلادهم، وهاجم نهاوند فصالحه صاحبها على مال يؤدِّيه في كل سنة، وغزا الدينور، وماه سندان فافتتحهما عنوة، ثم غزا همذان والري فافتتحهما عنوة، واستقدمه عمر إلى المدين فرآه على الحال التي خرج بها، فعانقه وسُرّ بعفَّته، ثم أعاده إلى المدائن، فتوفي فيها. له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثًا. الأعلام ٢/١٧١، وتهذيب التهذيب ٢/٢١٩، وحلية الأولياء ١/ ٢٧٠، وصفة الصفوة ١/٢٤٩.

وإيضاح ذلك أن الإيمان مُصاحب لسائر المراتب كمصاحبة الواحد في مراتب العدد وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى خفني وخف نفسك يعني هواك وخف مَن لا يخافني وهم أعداء الله فأمره بالخوف من غيره وهو من أُولي العزم من الرسل فامتثل الأدباء أمر الله وخافوا من أعداء الله كما شكروا غير الله من المحسنين بأمر الله تعالى.

فقلت له: فإذن العارف في عبادة إلٰهية في حال خوفه من الخلق وفي حال شكره لهم؟ فقال رضي الله عنه: نعم، وهو صراط دقيق قلّ سالكه لا سيما أرباب الأحوال فإنهم لا يعرفون له طعمًا ونظير ما قرّرناه أيضًا قوله تعالى: **﴿فأعرض عمَّن تولَّى عن ذكرنا﴾** [النجم: ٢٩] والعارفون يعلمون أنه ما ثَمّ إلا وجودًا الحق تعالى فأعرضوا بأمره عن فعله وعن سماع كلامه الواقع على ألسنة الخلق وأثنى الله عزّ وجل عليهم بقوله: **﴿والذين هم عن اللغو مُعرِضون﴾** [النجم: ٢٩] مع علمهم بأنه ما ثَمّ في الكون ناطق إلا الله فكانوا بذلك أدباء زمانهم حيث وقفوا مع الله حيث أوقفهم ﷺ أجمعين.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول المعتزلة[1]: إن القاتل قطع عمر المقتول ولو تركه لعاش كيف ذلك؟ فقال رضي الله عنه: هذا القول منهم وهم وهو نظير قوله تعالى: **﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾** [الحشر: ٥] إذ الإذن هو الأمر الإلٰهي أمر بعض الشجر أن يقوم فقامت وأمر بعضها أن تنقطع فانقطعت بإذن الله لا بقطع النجار وتركت بإذن الله لا بإذن النجار مع كون النجار يصحّ وصفه بالقطع والترك في ظاهر الأمر فافهم فإن الفاعل حقيقة هو الله وقد أراد أخذ روح المقتول فلم يتخلّف عن إرادته لا يصحّ أن يكون له أجل بعد ذلك لأنّا لا نعرف انتهاء عبد إلا بخروج روحه فلما خرجت تبيّن أن ذلك هو أجلها ولن يؤخّر نفسًا إذا جاء أجلها فإن أراد المعتزلة أن القاطع للعمر هو الله فهو صحيح فإنه لو أراد بقاءه لم يقتل وإن أرادوا أن القاطع هو القاتل من الخلق فذلك شرك وإن كان الشريك لا وجود له فافهم.

فقلت له: فما صورة إضافة القتل لله على يد العبد؟ فقال رضي الله عنه: صورته أن المقتول حين ضربه بالسيف مثلاً انتهى أجله فقبل القتل بما فيه من استعداد الموت كما قبلت الشجرة المقطوعة القطع من القاطع حين كانت مستعدة للقطع فكما أن القطع بإذن

---

(١) المعتزلة: فرقة من المتكلمين، تؤمن بالعقل، وتحاول التوفيق بينه وبين النقل، وتلجأ إلى التأويل ما وسعها، وفي هذا ما باعد بينها وبين السلف وأهل السُّنّة. أسّسها واصل بن عطاء الذي اعتزل بأصحابه حلقة الحسن البصري، ومن أكبر رجالها إبراهيم النظام وأبو هذيل.

الله كذلك القتل بإذن الله ونظير ذلك في الحياة قوله تعالى: ﴿فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله﴾ [آل عمران: ٤٩] لأن النفخ من عيسى ما دخل في جسم الطائر إلا بعد استعداد الحياة في الطائر فقبل الحياة بالنفخ كما قبل الحياة مما رمى فيه السامري فطار الطائر بإذن الله كما خارَ العجل بإذن الله تعالى فاعلم ذلك فإنه نفيس.

(كافور)[1]: سألت شيخنا رضي الله عنه، عن العلم والمعرفة والإدراك والفهم والتميز هل هم أوصاف للنفس أو أوصاف للعقل؟

فقال رضي الله عنه: هم أوصاف للعقل. فقلت له: فما تقولون في السمع، والبصر، والحاسّة، والذوق، والشمّ، والشهوة، والغضب.

فقال رضي الله عنه: هم أوصاف للنفس. فقلت له: فما تقولون في التذكّر والمحبة والتسليم والانقياد والصبر؟ فقال رضي الله عنه: هم أوصاف للروح. فقلت له: فما تقولون في الفطرة والسعادة والإيمان والنور والهدى واليقين؟ فقال رضي الله عنه: هم أوصاف للسرّ ومجموع العقل، والنفس، والروح، والسرّ أوصاف للمعنى المسمّى بالإنسان وهي حقيقة واحدة غير متميزة وهذه الحقيقة وأوصافها روح هذا القالب المتحرك المتحيّز والجميع روح صورة هذا القالب والمجموع من الجميع روح جميع العالم وصحّ حينئذ قول الإمام عليّ رضي الله عنه: وفيك انطوى العالم الأكبر والله أعلم.

(درّ): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: الفطنة والفراسة[2] والإلهام من علوم الأولياء الأكابر ولكنها مع ذلك تشير بذاتها إلى جهل وعجز وغفلة سوابق عليها.

(ياقوتة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: مَن كوشف بنزوله إحدى الدارين أدّاه إلى تعطيل العبادات إلا أن يتداركه الله بكرمه ورحمته فصحّ قول مَن قال العلم حجاب عن الله كما أن الجهل حجاب عنه والله أعلم.

(بلخش): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: العبادات كالحلوى المعجونة بالسّمّ فكما لا ترضى النفس بالقليل منها فتسلم فكذلك لا تصبر على فعل الكثير منها فتغنم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: أشد العذاب سلب الروح وأكمل النعيم سلب النفس وألذّ العلوم معرفة الحق وأفضل الأعمال الأدب وبداية الإسلام التسليم وبداية الإيمان

---

(١) الكافور: شجر كبير من الفصيلة النارية، ينبت في الهند والصين، تُتَّخذ منه مادة عطرية بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض تستعمل في الطب، وهو أصناف كثيرة (ج) كوافير.

(٢) الفِراسة: المهارة في تعرّف بواطن الأمور من ظواهرها. أو هي الرأي المبني على التفرّس.

الرضا. وسمعته رضي الله عنه يقول: الروح يتلوّن بحسب الجسد، والجسد بحسب المضغة والمضغة بحسب إصلاح الطعمة ومَن قال بخلاف ذلك فليس عنده تحقيق. وسمعته رضي الله عنه يقول: علامة الراسخ في العلم أن يزداد تمكينًا عند السلب لأنه مع الحق تعالى بما أحب لا مع نفسه بما يحب فمَن وجد اللذّة في حال معرفته وفقدها عند السلب فهو مع نفسه غيبة وحضورًا.

(زمرّد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الحس هل يغلط؟ فقال رضي الله عنه: لا، إنما يغلط الحاكم على الحس لا الحس نفسه وذلك كصاحب المرة الصفراء إذا غلبت عليه وأكل العسل يجده مرًا فإذا سُئِل الحس قال: أجد مرارة وهو صادق فإن محل الإدراك إنما أدرك المانع وهو المرة التي منعت من إدراك حلاوة العسل ومن هنا تعرف أن غلط الدليل لا يوجب فساد المدلول كما نبّه عليه بعض المحقّقين والله أعلم.

(درّ): سألت شيخنا رضي الله عنه، عمّا يقع لبعض الصالحين من نتائج أعمالهم الصالحة في هذه الدار هل هو كمال أو نقص؟ فقال رضي الله عنه: هو نقص لا سيما إن كان ذلك بميل منهم وذلك لأن الدنيا ليست بمحل لنتيجة الثواب وإنما محلها الدار الآخرة وعند الموت يشرف عليها كلها ولا فرق حينئذ بين مَن كوشف بها ذلك الوقت وبين مَن كوشف بالاطّلاع عليها طول عمره إنما هو تقديم وتأخير فعلم أن الذي ينبغي طلبه في الدنيا إنما هو تنظيف المحل وتهيئته لقبول الواردات الربانية لا غير ليترقى العبد في المقامات فقلت له: فما تقولون فيمن صدق في شيء وتعلقت همّته بحصوله.

فهل يكون له في الآخرة؟ فقال رضي الله عنه: نعم، يكون له ذلك إما عاجلاً وإما آجلاً فإن لم يصل إليه في الدنيا كان مدّخرًا له في الآخرة. فقلت له: فما حال مَن مات قبل الفتح؟ فقال رضي الله عنه: يرفع إلى محل همّته لأن همّته تجذبه. فقلت له: فمَن لم يتحقّق بمقام في الدنيا هل يعطاه في الآخرة؟ فقال رضي الله عنه: إن كان من باب المنّة فجائز وإن كان من باب الجزاء فلا إذ الترقّي في الآخرة لا يكون إلا في أعمال حصّلها المكلّف هنا ولو في البرزخ كما مرّ في قصة ثابت البناني وصلاته في قبره والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن حقيقة التواضع؟ فقال رضي الله عنه: حقيقته أن يرى نفسه دون كل جليس ذوقًا لا يصير عند صاحبه بقية كبر ولا يتكدر قطّ ممّن يزدريه بخلاف مَن كان تواضعه لجليسه علمًا فإنه يطرقه الكبر في بعض الأوقات ويتكدّر ممّن ينقصه وقد بسطنا الكلام في ذلك في أول عهد من كتابنا المسمّى بالبحر

المورود في المواثيق والعهود[1]. وقد جاء رجل إلى سيدي علي الخوَّاص رحمه الله فقال: يا سيدي مَن شيخكم في الطريق؟ فقال: يا أخي وهل يحصي الإنسان مشايخه إذا كان يرى نفسه دون كل جليس من ناطق وصامت؟ فقلت له: فإذن مَن تواضع هذا التواضع صار الوجود كله شيخًا له يمدّه فقال رضي الله عنه: نعم لكن في شهود التواضع دقيقة ينبغي التفطّن لها. فقلت: وما هي؟ فقال رضي الله عنه: شروط التواضع الغيبة عن التواضع وذلك لأن مَن يشهد تواضعه لا بدَّ أن يكون أثبت لنفسه مقامًا عاليًا تواضع وتناول منه لأخيه وكفى بذلك كبرًا. وفي الحديث «لا يدخل الجنة مَن في قلبه مثقال ذرّة من كبر»[2] فافهم. فقلت له: إن الكُمَّل يشهدون كمالهم ليشكروا الله تعالى على ذلك. فقال رضي الله عنه: لا كلام لنا مع الكُمَّل لأن الكامل يسمى أبا العيون فعين ينظر بها نقصه ليعترف بعجزه عن القيام بآداب العبودية وعين ينظر بها إلى صفات الكمالات ليشكر الله على ما أعطاه.

وإن تنزّل للخلق فإنما هو لأجل الاقتداء به لا غير لأن الإنسان الكامل خلق على صورة الأخلاق الإلٰهية فإن تنزّل فإنما هو شفقة ورحمة على العقول ولو أن رسول الله ﷺ وقف في مقامه الشريف ولم يتنزّل إلى أُمته ما عرف أحد يأخذ عنه علمًا ولا أدبًا لا سيما مقامه في الباطن فعلم أن التواضع عارض من الكامل لأن الأصل في الصفات الإلٰهية الكبرياء والعظمة والعزّة فأعلى الناس درجة في الجنة أكثرهم تواضعًا وأسفل الناس درجة في الجنة أكثرهم كبرًا وقد سمعت شخصًا من الفقهاء يقول ما أعلم الآن في مصر أحدًا مع علم زائد على ما علمت أستفيده منه فنبَّهته على أنه يصير في أسفل درجات الجنة فلم يرجع وحلف لي بالله أنه لا يعلم أحدًا قطّ فوقه نسأل الله العافية آمين.

(زبرجد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن حكم أهل الفترات الذين نشأوا زمان الفترة بين رسولين فلم يعلموا بشريعة النبي المتقدّم لاندراسها ولن يشرع بعد شرع النبي الآن؟ فقال رضي الله عنه: لا أعلم. فقلت له: قد ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في ذلك تقسيمًا. فقال رضي الله عنه: ما هو؟ فقلت: إنهم متنوّعون في أعمالهم واعتقاداتهم بحسب ما تجلّى لقلوبهم من الأسماء الإلٰهية عن علم منهم بذلك وعن غير علم فإن مدار السعادة على التوحيد لا على الإيمان إذ ليس من شرط السعادة الأُخروية إلا في حق مَن بعث إليه رسول أو أدرك شرعه من غير تبديل وأما غيره فيكفيه حصول

---

(١) انظر كشف الظنون ١/٢٢٧.

(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/٣٦١)، (الأذكار النووية ٣١٢).

التوحيد له بأيّ طريق كان ثم أهل الفترات على أقسام فقسم وحد الله تعالى بما تجلّى لقلبه عند فكره فهذا صاحب دليل ممتزج يكون من أجل فكره كقس بن ساعدة[1] وأضرابه فإنه ذكر في خطبته لما خطب ما يدلّ على ذلك فإنه ذكر المخلوقات واعتباره فيها فقال: حين سُئِلَ عن الصانع الحكيم البعرة تدلّ على البعير وأثر الأقدام على المسير فسماء ذات أبراج، وأبحر ذات أمواج، وأرض ذات فجاج ألا تدلّ على العليم القدير وهذا هو الدليل الفكري وصاحبه سعيد ولكن يبعث أمة وحده لأنه غير تابع في أعماله لشريعة نبي من الأنبياء وكذلك ورد عن رسول الله ﷺ في شأن زيد بن عمرو بن نفيل[2] حين أخبروه عنه أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول علمت أن إلٰهي إلٰه إبراهيم وديني دين إبراهيم ويسجد.

وقسم وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا رَوِيّة ولا نظر في أدلة فهو على نور من ربه خالص غير ممتزج يكون أهل هذا القسم يحشرون أحفياء أبرياء وقسم ألقي في نفسه كشف فاطّلع مَن كشفه على منزلة محمد ﷺ فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبيّنة من ربه فهذا يُحشَر يوم القيامة في ضنائن خلقه وفي باطنية محمد ﷺ لعلمه بعموم رسالته من آدم عليه السلام إلى وقت هذا المكاشف من شدة صفاء سرّه وخلوص يقينه وقسم تبع ملّة حق ممّن تقدّمه كمن تهوّد أو تنصّر أو اتّبع ملّة إبراهيم.

أو كان من الأنبياء لما علم أو علم أنهم رُسُل الله يدعون إلى الله لطائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سُنَّتهم فحرَّم على نفسه ما حرّم ذلك الرسول وتعبّد نفسه لله

---

(١) هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك (....ـ نحو ٢٣ ق.هـ = ...ـ نحو ٦٠٠ م) من بني إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية. كان أسقف نجران. ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئًا على سيف أو عصا، وأول مَن قال في كلامه «أما بعد»، وكان يَفِد على قيصر الروم زائرًا فيكرمه ويعظّمه وهو معدود في المعمّرين، طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النبوّة، ورآه في عكاظ. الأعلام ١٩٦/٥، والبيان والتبيين ٢٧/١، وخزانة البغدادي ٢٦٧/١، والمرزباني ٣٣٨.

(٢) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى (....ـ ١٧ ق.هـ = ...ـ ٦٠٦ م) القرشي العدوي، نصير المرأة في الجاهلية وأحد الحكماء، لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها، ورحل إلى الشام باحثًا عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم، وجاهر بعداء الأوثان فتألّب عليه جمع من قريش فأخرجوه من مكة، وكان عدوًا لوأد البنات. رآه النبي ﷺ قبل النبوة. توفي بعد مبعث النبي ﷺ بخمسين سنة، وله شعر قليل. الأعلام ٦٠/٣، والأغاني ١٥/٣، وخزانة البغدادي ٩٩/٣.

تعالى بشريعته وإن كان ذلك غير واجب عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثًا إليه فهذا يحشر مع مَن تبعه يوم القيامة ويتميّز في زمرته.

وقسم طالع في كتب الأنبياء شرف محمد ﷺ وعرف دينه وثواب مَن اتّبعه إذا ظهر بالرسالة فآمن به وصدَّق على علم وأتى مكارم الأخلاق فهذا يُحشَر مع المؤمنين بمحمد ﷺ لا في العالمين سواء كان دخل في شرح نبي ممَّن تقدَّمه أم لا، وقسم آمن بنبيّه وأدرك نبوّة محمد ﷺ وآمن به فله أجران وهؤلاء الأقسام الستة كلهم سعداء عند الله تعالى إن شاء الله.

وقسم عطّل فلم يقرّ بوجود الحق عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر إليه لضعف في مزاجه عن قوة غيره من النظّار فهو المشيئة.

وقسم أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته فهو تحت المشيئة كذلك.

وقسم عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها من الضعف فهو تحت المشيئة وذهب بعض أهل الشطح إلى أن أهل هذه الثلاثة أقسام سعداء لبذلهم وسعهم.

وقسم عطل لا عن نظر بل عن تقليد شقي مطلق.

وقسم أشرك لا عن استقصاء في النظر أو عن تقليد فذلك شقي فهذا ما فتح الله تعالى به علينا من حكم أهل الفترات بين إدريس ونوح وبين عيسى ومحمد ﷺ وفوق كل ذي علم عليم.

(ماسة): سألت شيخنا رضي الله عنه هل ما وقع من مقلدة المذاهب من الاستنباط أكمل أو ما عليه أهل الله تعالى من الوقوف على حدّ ما ورد في الشريعة؟ فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

قلت: قد ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أن ما عليه أهل الله أكمل قال: لأن من شرط كل عبد عدم مشاركة سيده في التشريع فيقف على حدّ ما رسم له سيده ولا يتعدّاه ولا يتمنى قطُّ تحريم ما أحلّ الله فيقول لو كان لي قدرة لمنعت الناس من كذ كما يقع فيه كثير من الناس فأنفت نفوسهم الوقوف عند صريح الأحكام ولم تكتف بتشريع الحق تعالى بل زادت أحكامًا وعِللاً وجعلتها مقصودة للشارع وطردتها وألحقت المسكوت عنه في الحكم بالمنطوق لعلّة اقتضاها نظر الجاعل وسمّوها شريعة ولو لم

يفعلوا ما ذكر لبقي المسكوت عنه على أصله من الإباحة والعافية فكثرت الأحكام على الخلق بما زادوه من طريق العلّة والقياس والاستحسان وكانوا من أصحاب الرأي لو تبرؤوا من ذلك بألسنتهم وما كان ربك نسيًا وفي ذلك رحمة خفيّة بالعامّة لتوسعة الأمر عليهم بكثرة .لمذاهب ولو لم يقصدها الناس لكن ما تركتها على هذه التوسعة من إلزام العامّة أن يتقيدوا بمذهب معين من علماء زماننا وهذا الإلزام لم يدلّ عليه ظاهر كتاب ولا سُنّة صحيحة ولا ضعيفة وهذا من أعظم الطوام وأشد التكلّف على الخلق ومَن شقّ على الأمة شقّ الله عليه.

قال رحمه الله تعالى: ثم المولّدون للأحكام رجلان إما مغلب لجانب الحرمة، وإما مغلب لرفع الحرج عن الأمة رجوعًا إلى الأصل وهذا الأخير عند الله أقرب إلى الحق وأعظم منزلة من الذي يغلب جانب الحرمة إذ الحرمة أمر عارض عرضي الأصل ورافع الحرج دار مع الأصل الذي يؤول إليه حال الناس في الجنان فيتبوؤون من الجنة حيث يشاؤون والله تعالى أعلم.

انتهى كلام الشيخ محيي الدين بحروفه وقد تقدّم بأوراق يسيرة نحو ذلك عن بعض أهل الشطح والله أعلم.

(جوهرة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن ركون النفس والقلب وميلهما إلى خرق العوائد فقال رضي الله عنه: عيب أن تؤلّف النعمة دون المنعم فإن الله تعالى ما أعطاك النّعم إلا لترجع بها إليه ذليلاً ليكون لك ربًا كفيلاً والحق تعالى لا يكون ربًا كفيلاً إلا لمَن يكون عبدًا ذليلاً ومَن لم يكن كذلك فهو عبد نفسه أو ديناره أو درهمه فانظر بأيّ شيء استبدلت ربك **﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلّة والمسكنة﴾** [البقرة: ٦١]، ثم قال رضي الله عنه: المألوفات إلى كل شيء من جليل وحقير مذمومة عند الله إلا في حقوق الله فإنها محمودة عنده.

فقلت له: وإن كل شيء غير الحق مجهول معدوم إلا الحق فإنه معروف موجود على الدوام فمن أين جاء للعبد أن يألف أو يركن إلى الجهل والعدم دون المعرفة والوجود، فقال رضي الله عنه: الجهل والعدم أصل لظهورنا والمعرفة والوجود أصل لظهور الحق وما حصل بأيدي عباده من المعرفة والوجود ففضل منه ورحمة وما حصل بأيدي عباده من الجهل والعدم فعدل ونقمة ولا يظلم ربك أحدًا ثم إلى ربهم يحشرون فافهم ذلك.

(مرجانة): سأل أخونا سيدي أفضل الدين رحمه الله شيخنا سيدي عليًا الخوّاص رضي الله عنه هل أتوقّى المآكل المبعوثة إليّ من الأصحاب خوف الوقوع في الحرام؟ فقال رضي الله عنه: العبد لا ينبغي أن يكون له مع الله اختيار عند وجود المختار فكيف يكون له اختيار مع عدم المختار فكل مما يرسله الله إليك بقدر حاجتك وادفع ما بقي بعد ذلك إلى مَن شاء الله ولا تدبر لنفسك حالاً محمودًا تخرج عن رتبة المحقّقين واسأله أن يدبرك بأحسن التدبير وأن يسترك في الدنيا والآخرة بالجود والكرم.

(درة): أوصاني شيخنا رضي الله عنه وقال: إياك والجزع في مواطن الامتحان. فقلت له: الصبر لا يكون إلا عند حصول الاستعداد. فقال رضي الله عنه: لا تقييد على الحق فإن الطرق إليه أوسع من مظاهره وشؤونه وأسمائه وصفاته والاستعداد طريق واحدة.

(عقيقة)[1]: سأل بعض الفقراء شيخنا رضي الله عنه، عن تفسير منام، وقال: شاهدت نفسي ميتًا وأنا أغسل جسدي حتى فرغت ثم حملت نصفي الأسفل وشيخي حمل نصفي الأعلى إلى القبر. ثم سألت نفسي عِوضًا عن المَلَكين.

فقال الشيخ رضي الله عنه: عالم الشهادة لا ينبغي الركون إليه فكيف بعالم الخيال. فقال الرائي: لا بدَّ لكل منام من تفسير. فقال الشيخ رضي الله عنه: كل شيء يُفسَّر في الآخرة، فقال الشيخ: التقصير في الحمل منك لِمَ لا تحمل نفسك كلها فتكون كاملاً. فقال الفقير: الحول والقوة لله. فقال رضي الله عنه: لا تَرْمِ ما عليك من الأثقال على شيخك فإنه سوء أدب فإذا حمل عنك ربما تألف نفسك الراحة في الكون فيضرّك ذلك وشيخك ليس بمقيم لك فقاتِل نفسك بالمدافعة ما استطعت وشيخك مُساعِد لك عند العجز ولا عجز إن شاء الله تعالى. فقال له: مطلقًا؟ قال الشيخ رضي الله عنه: ومقيدًا، فمنهم مَن يمشي على رِجلين ومنهم مَن يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء.

(لؤلؤة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الميزان الذي يوزَن بها الرجال، أهي واحدة أم كثيرة؟ فقال رضي الله عنه: الأصل في الوجود التوحيد وإنما تكثرت الموازين لتفاوت الموزون من الخلق والأصل واحد بُنِيَ الإسلام على خمس فافهم، فميزان الحق واحد في الدنيا والآخرة حاوٍ لسائر الموازين والله عليم حكيم.

---

(١) العقيقة: واحدة العقيق: حجر كريم، تُعمَل منه الفصوص.

(مرجانة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن ملازمة الأحوال التي يغيب معها الحال، هل هي نقص أو كمال؟ فقال رضي الله عنه: كلما خفّ الحال وأبطأ وجوده كان في حق صاحبه خيرًا كثيرًا وأين الحاضر من الغائب وأين الموجود من المعدوم.

فقلت له: فإذن غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة؟ فقال رضي الله عنه: المعرفة نتيجة الثوب ونتيجة لابسه ولكن إذا سَلِمَ من الآفات وحال عن الحال بملكه للحال كان نفسه حالاً لا صاحب حال وحينئذ يسمى عبد الله فإن شاء تعالى صرفه في ملكه وإن شاء قبض عنه التصريف وإن شاء كشف له عن الأمور وإن شاء لم يكشف ولكن لم يخرج أحد من الدنيا حتى يتساوى مع أهل الكشف حين يكشف عن بصره الغطاء والله أعلم.

(زمرّدة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الوليّ إذا كشف له عن حُسْن خاتمته، هل له الركون إلى ذلك الأمان؟ فقال رضي الله عنه: لا أمان مع الحق وهو يفعل ما يشاء ونهاية الكشف أن يطّلع العبد على ما كتب في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة علم الحق تعالى وللحق من رتبة الإطلاق أن يغيّر ما كتبه فيه بل لو رأى العارف الباري جلّ وعلا، وقال له: رضيت عنك رضًا لا سخط بعده فلا ينبغي للعاقل الركون والله أعلم.

(ماسة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن تفسير قوله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾** [فصّلت: ٣٠] الآية؟ فقال رضي الله عنه: إن الذين قالوا ربنا الله كُمّل الأنبياء ثم استقاموا محمد ﷺ تتنزّل عليهم الملائكة عامّة النبيين أن لا تخافوا كُمّل الأولياء ولا تحزنوا عامّة الأولياء وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون المؤمنون فتأمّل ذلك فإنه تفسير غريب ما أظنك سمعته قطُّ.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله ﷺ: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[1]، ما المراد بالعندية هنا، فإن الناس قد اختلفوا في معنى

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ٣٤، ٧/ ٢١١، ٩/ ٧٥، ١٩٢)، ومسلم في الصحيح (الصيام ب ٣٠ رقم ١٦٣ ـ ١٦٥)، وأحمد بن حنبل (المسند ١/ ٤٤٦، ٢/ ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٨١، ٢/ ٣١٣ ـ ٣٩٥، ٤١٤ ـ ٤٤٣ ـ ٤٥٨ ـ ٤٦١ ـ ٤٦٧ ـ ٤٧٥ ـ ٤٧٧ ـ ٤٨٥ ـ ٥٠١ ـ ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ـ ٥١٦ ـ ٣/ ٤٠، ٦/ ٤٠)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٤/ ٢٣٥ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ـ ٣٠٥)، والألباني في (السلسلة الضعيفة ٤٠٢)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٠/ ١٢٠)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٣/ ٥)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ١/ ٦١، ٢/ ٢٠١)، والسيوطي في (الدرّ المنثور ١/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، وابن كثير في (التفسير ١/ ٤٦٨)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٣/ ١٦٥ ـ ١٨٠ ـ ١٨١)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٧/ ١٧٢)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٧/ ٢١٣)، البيهقي في (الأسماء والصفات ٢١٢)، والخطابي في (إصلاح خطأ المحدثين ٢٠).

ذلك؟ فقال رضي الله عنه: المراد بها هنا يوم القيامة كما ورد فتتغير هناك رائحة الخلوف برائحة المسك فما هو هناك خلوف حقيقة ويشهد لذلك أيضًا دم الشهيد فإنه يفوح هناك مسكًا.

فقلت له: فإذن ما أنكر ﷺ عدم السِّواك[1] إلا من حيث حظّ البصر لا حظّ الشمّ؟ فقال رضي الله عنه: نعم أما ترى إلى قوله ﷺ: «ما لكم تدخلون عليَّ قلحًا استوِكوا»[2]. والقلح في الفم هو قبح لونه وإيضاح ذلك أن كل مَن ذاق الإيمان لا يتأذّى من رائحة الخلوف لأنه نشأ من مرضاة الله فهو يشم من الخلوف رائحة المسك من هذه الدر فضلاً عن القيامة فمَن تأذّى من رائحة الخلوف والصنان ونحوهما إذا كانا ناشئين من مرضاة الله إلا مَن لم يكمل إيمانه.

فقلت له: فلِمَ راعى الشَّارع خاطر مَن لم يكمل إيمانه وأمر الصائم بإزالة تلك الرائحة العظيمة عند الله؟ فقال رضي الله عنه: إنما أمر بذلك لغلبة الرحمة على عوامّ الأمة الذين هم في حجاب عن أسرار الله تعالى.

فقلت له: فهل تتأذّى الملائكة من رائحة الخلوف كما ورد أن الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه بنو آدم؟ وفي الحديث «إن الثوم في شفاء من سبعين داء ولولا أن المَلَك ليأتيني لأكلته»؟ فقال رضي الله عنه لا تتأذّى الملائكة بشيء من الروائح إلا إن كان في غير مرضاة الله كالثوم والبصل والفجل، أما ما كان من مرضاة الله فلا يشمّون منه إلا الرائحة الطيبة والله أعلم.

(درّ): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في قولة عائشة رضي الله عنه: «السُّنّة للمعتكف أن لا يشهد جنازة ولا يعود مريضًا»[3]: إن ذلك خاصٌّ بمن كان في حجاب عن الحق ويتفرّق عنه بشهود الخلق ويطلبه تعالى في جهة مخصوصة أما العارف فله الخروج إلى أيّ مكان شاء لأنه يشهد أن الله تعالى معه حيث ما كان كما أشار إليه خبر كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه وكان يقول ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا جليس مَن ذكرني»[4] فافهم. فقلت له: فكيف ألزم العلماء المعتكف بعدم الخروج وكل

---

(١) السِّواك: عود الأراك الذي تُنظّف به الأسنان بالدلك (ج) سوك.

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٢/ ٥٤ مكرر)، (ميزان الاعتدال ٣٥٠١)، وابن حجر في (لسان الميزان ٣/ ٣٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود في (السنن ٢٤٧٣)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢١٠٦).

(٤) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٣٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٨٧)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٢٤).

مؤمن يعلم أن الله معه أينما كان؟ فقال رضي الله عنه: ما ألزموه بذلك إلا لكونه أقام في ذلك المكان الذي عيَّنه بنفسه لا بالله فألزم الإقامة بنفسه بذلك المكان حتى يتجلَّى له الحق تعالى في غير ما ألزمها به ويصير خروجه إلى الطريق كاعتكافه في حرم مكة سواء والله تعالى أعلم.

(جوهرة نفيسة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن تفسير سورة التكوير؟ فقال رضي الله عنه: **﴿إذا الشمس كُوِّرت﴾** [التكوير: ١] بطنت وباسمه الباطن ظهرت ولم تظهر ولم تبطن إنك لعلى خلق عظيم وانقسمت بعد ما توحَّدت ثم تعدَّدت وانعدمت بظهور المعدود والقمر إذا تلاها ثم تنزَّلت بما عنه انفصلت لما به اتصلت واتَّحدت **﴿والنجم إذا هوى﴾** [النجم: ١] ثم تنوَّعت بالأسماء واتَّحدت بالمسمَّى وظهرت من أعلى علِّيِّين إلى أسفل سافلين ثم رجعت على نحو ما تنزَّلت ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وبالجبال يسكن ميدها ولا شك أن ميدها فسادها ثم اتَّصفت وتعدَّت بما وصفت عمَّا به اتَّصفت وما اتَّصفت إلا بما له خلقت فخلقت ثم انحرفت فحُشِرت وبأعمالها انحشرت ولوحوشها اتَّحدت كلٌّ مُيَسَّر لما خلق له قل كلٌّ يعمل على شاكلته ثم انعدم التقييد بوجود الإطلاق وانخرق الحجاب وتعطَّلت الأسباب وطلبت القلوب ظهور المحبوب ليكون معهم كما كان وهو الآن على ما عليه كان يوم **﴿يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾** [البقرة: ٢١٠] **﴿وإذا النفوس زُوِّجت﴾** [التكوير: ٧] ولزوجها تعلقت ولجنتها تشوَّقت ولحقائقها اتصلت ولظاهرها تعدَّدت وبها تنعَّمت **﴿والتفَّت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾** [التكوير: ٨، ٩] **﴿وإذا الموؤدة سُئِلَت بأيِّ ذنب قتلت﴾** [التكوير: ٨، ٩] الروح لم تُقتَل لأنها حيَّة وإن قتلت فيه قتلت وإن سُئِلت فيه سُئِلت فقاتلها مُحبيها بقتلها ومماتها والموت عدم العلم والعلم عند الله لأنه عالم بالقاتل وما يستحقه فجزاؤه عليه ورجوعه إليه قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم **﴿وإذا الصحف نشرت﴾** [التكوير: ١٠] والأعمال علوم القلب المُفاضة على الجوارح، فالعمل صورة كما أنه روحه فمَن لا روح لصوره لا نشر لصُحُفه وسيرى الله عملكم ورسوله يرى عملكم لأنه العلم والله العامل والله المُنَزَّه عن الرؤية بالأبصار والقلوب المقيَّدات بغيره يُحشَر المرء على دين خليله **﴿وإذا السماء كشطت﴾** [التكوير: ١١] فالسماء عدم والوجود يومئذ للأعمال ووجدوا ما عملوا حاضرًا والحكم يومئذ لله باسمه الله لا باسمه الرب فحكم الله يعمّ وحكم الرب يخصّ ثم إلى ربهم يرجعون ولا وجود لصفة مع ذاتها **﴿وإذا الجحيم سُعِّرت﴾** [التكوير: ١٢] نار الخلاف اشتعلت والأعمال المظلمة عُذِّبت إنما يريد الله أن يعذبهم بذنوبهم فما عذَّبهم إلا بهم وما رحمهم إلا به والواحد ليس من العدد لأن الواحد موجود مستور والعدد معدوم مشهور **﴿وإذا الجنة أُزلفت علمت نفس ما أحضرت﴾**

[التكوير: ١٣، ١٤] كذلك ﴿فلا أقسم بالخنّس الجواري الكُنَّس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٩] فالرسول هو المستوي بنبوّته على عرش ولايته وهم العيون الأربعة تُسقى بماء واحد ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾ [التكوير: ٢٢] العرش المطلق لذلك اليوم المطلق يتجلى المعبود المطلق على العابد المطلق وهذا الإطلاق إطلاق المقيّدات كما بدأنا أول خلق نعيده ﴿مطاع ثَمَّ أمين﴾ [التكوير: ٢١] إلى آخرها صفات ونعوت وأسماء للموصوف المنعوت بالأسماء انتهى.

وسألته رضي الله عنه أيضًا عن تفسير سورة الانفطار؟ فقال رضي الله عنه: هي كذلك إلا أنه في البرزخ مع بقاء نسب وحجب ليست كهذه ولا تلك لأنه عالم خيال لا حقيقة له ثابتة وهو محل تجلّي الصفات الإلـٰهية كما أن الدار الآخرة محل لتجلّي الذات الغنية لقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم»[1] الحديث وأما الدار الأولى التي نحن فيها الآن فهي محل تجلّي أسماء الربوبية فكل عالم من هذه العوالم قيُوم به مظهر فرد من الأفراد الثلاثة الذين هم آدم وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، فالأول: خصيص بالأسماء، والثاني: خصيص بالصفات، والثالث: خصيص بالذات. فآدم عليه السلام فاتق لرتق المسميات والمقيّدات بصورة الأسماء، وعيسى عليه السلام فاتق لرتق الصفات البرزخيات بصورة الصفات، ومحمد ﷺ فاتق لرتق الذات وراتق لفتق الأسماء والصفات، لأن الخصيص بالمظهر الآدمي الآثار الكونية فظهرت عمايته وتنوّعت حقائقه ورقائقه والخصيص بالمظهر العيسوي المعارف الإلـٰهية والكشوفات البرزخية والتنوّعات الملكية والنفاثات الروحية والخصيص بالمظهر المحمدي سرّ الجمع والوجود والإطلاق عن الصفات والحدود لعدم انحصاره بحقيقة أو تلبسه بضدّ شريعة بل سرّه جامع ومظهره لامع فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وقد ولج كلٌ من هذه الأفراد الثلاثة عوالمه المختصّة به في هياكلهم التي هم عليها الآن ولم يكن ذلك لغيرهم فآدم عليه السلام تحقّق ببرزخيته أولاً قبل نزوله إلى هذا العالم وعيسى عليه الصلاة والسلام كذلك وإلى الآن في المحل الذي ولجه آدم مع ما اختصّ به عليه من حقائق الصفات وإحاطتها على عوالم الأسماء فلذلك طال مكثه بضعفي ما مكثه آدم في جنته ومحمد ﷺ قد ولج العوالم الثلاث لأنه مُظهِر سرّ الجمع والوجود حين أُسرِيَ به من عالم الأسماء الذي أولها مركز الأرض وآخرها السماء الدنيا بجميع أحكامها وتعلقاتها ثم ولج البرزخ باستفتاحه السماء الدنيا إلى

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢١٦/١)، وابن أبي عاصم في (السنة ١/ ١٩٤ ـ ٢٨٢)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٤٦٠).

انتهائه وهو السماء السابعة ثم ولج باستفتاحه عالم العرش إلى ما لا نهاية إليه ولا يمكن التعبير عنه إلا بالوصول إليه فلا يعبّر عنه لحقيقة إطلاقه فلذلك ادُّخر دعواته ومعجزاته الخصيصة به لذلك اليوم المطلق الذي لا يسعه غيره فإنه لو ظهر ذرّة من معجزاته التي من خصائصه هنا لتلاشى العالم بأسره فإنها كلها تجليات ليس فيها رائحة من الكون والتقييد لبراءته عن المثلية وما ظهر هنا من معجزاته فهي مما شاركه فيها خصوص المرسلين لأنها كلها كونيات ومرئيات ومتحيّزات ومنقطعات بخلاف ما سيظهر حكمه عنه في ذلك المحل الذي لا يظهر فيه إلا ما يناسبه من الإطلاق وعدم الانقطاع فيوم آدم عليه السلام ألف سنة ابتداء يومه وآخره كونه شفعًا وذلك من سرّ أوّليته وأصل نشء العوالم وظهورها كالواحد من الأعداد ويوم عيسى عليه السلام سبعة آلاف سنة ابتداء يومه ونهايته خمسون وذلك لكونه بعث آخر الدنيا وأول البرزخ وهي سبعة أيام ويوم محمد ﷺ خمسون ألف سنة ابتداؤه ولا نهاية له لأنه حقيقة الروح الكل الذي انفتح في برزخيته تصوّر العوالم الإلـٰهية والكونية فلذلك قال: ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ [المعارج: ٤] فمَن أمعن النظر علم حقائق الكون ومراتبه علمًا يقينيًا وعلم ما يمكن تغيّره هنا ولا يمكن تغيّره هناك والله على كل شيء شهيد.

(**ياقوتة**): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله ﷺ: «فمَن وافق تأمين الملائكة غفر له»[1] لِمَ لَمْ يقل أُجيب دعاؤه؟ فقال رضي الله عنه: ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه إنما لم يقل ﷺ أجيب دعاؤه لأنه لو أُجيب لما بقي يقع قائل ذلك في ذنب وتعطّلت غالب حضرات الأسماء ولَمَا بقي للخلق ما يغفر لهم لعدم الذنب حينئذ لأن المهدي إلى الصراط المستقيم حكمه كحكم الأنبياء في ترك المعاصي فما له ذنب يغفر. فقيل له: فما المراد بالموافقة؟ فقال رضي الله عنه: كلام الشّارع مطلق فيحتمل أن يكون المراد بها أن يؤمن مثل تأمينهم فيكون حاله كحالهم من طهارة الباطن حتى يخرج عن عالم العصيان فلا يردّ له دعاء ويحتمل الموافقة الزمانية فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين ومبنى الاحتمالين على الحالين اللذين يكونان للملك فإنه لا يخلو حال قوله آمين من أن يقول متجسّدًا لها فالمراد بالموافقة الزمانية خاصة إذا المتجسّد يحكم عليه بالإتيان

---

(١) أخرجه البخاري (أذان ١١١ ـ ١١٣ ـ ١٢٥)، (بدء الخلق ٧)، (تفسير سورة ١، ٢)، ومسلم (صلاة ٧١ ـ ٧٢)، وأبو داود (صلاة ١٤٠ ـ ١٦٨)، والترمذي (مواقيت ٧١ ـ ٨٣)، والنسائي (افتتاح ٣٣ ـ ٣٤) (تطبيق ٢٣)، وابن ماجه (إقامة ١٤)، والدارمي (صلاة ٣٨)، والموطأ (نداء ٤٤ ـ ٤٥)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٧٠، ٣٨٧، ٤١٧، ٤٥٩، ٤٦٧).

بلفظ آمين بترتيب النطق بالحروف فإن قالها غير متجسد فالمراد الموافقة في الحال التي يقولها الملك فيها فمَن جمع بين الحالين اللذين هما الحال في الزمن غفر له ولا بدَّ وقد يكون العبد في حياته الدنيا غير مهدي والعناية قد سبقت فيجني ثمرة الهداية فهذا حكمة قوله: «غفر له» لأن كل داعٍ يستجيب الله له ويسعده كيف شاء ولا يتوقف على تعيين الداعي فالسعادة هي مطلوب كل داعٍ والسلام فعلم أن مَن اتَّصف من المؤمنين بترك المعاصي لم تُرَدّ له دعوة كالملائكة لا بحكم التبعية للملائكة بل أمر مستقل، فإذن الاستجابة لنا بحكم التبعية لا يكون في حقنا إلا في وقت لا إجابة لنا فيه أما في وقت يكون لنا فيه الإجابة جزاء لما امتثلناه من أمر الحق في وقت ما فلا تكون إجابتنا فيه بحكم التبعية للملائكة فعلى قدر طاعتنا على قدر استجابته تعالى لنا كثرة وقلّة والسلام.

(جوهرة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: مَن أراد أن يكون إيمانه بنبيِّه وبما جاء به محفوظًا من دخول الشبه فيه فليصدق المخبر بما أعطاه ذوقه من الإيمان الكشفي النوري وذلك لأن الصدق متعلقه الخبر ومحله الصادق والإيمان الكشفي نور يظهر على قلب العبد يصدق به المخبر في الأمر بشيء والرجوع عنه فإن النور تابع للمخبر حيث مشى فيثبته ما دام المخبر يثبته ويرفعه ما دام المخبر يرفعه ولا يتَّصف الحق في ذلك بالبداء وهو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون نسخ الأحكام، وأما الصادق فما أكذب نفسه في الخبر الأول وإنما أخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق فعلم أن مَن قال يصدق المخبر لما أعطاه الدليل العقلي أو السمعي وآمن به لما رأى على يديه من المعجزات الدّالّة على صدقه فإيمانه مدخول يقبل الشبه القادحة ثم لا بدَّ أن يرده هذا الدخل إلى محل النظر والشك والحيرة نسأل الله العافية.

(ياقوتة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن المكاشف إذا أطلعه الله تعالى على شيء من الأقدار الجارية على العباد في المستقبل ماذا يفعل؟ فقال رضي الله عنه: أدبه التسليم لله والتفويض إليه ثم ينظر في ذلك الأمر فإن شهد فيه منفعة للعباد شكر الله وسكت وإن شهده عقوبة وبلاء نزل على عامّة الناس أو على أشخاص معينين سأل الله في صرفه عنهم وشفع فيهم فإن الله يحب سؤاله وإذا رأى من العباد ضجرًا من نزول البلاء فليحبب الحق تعالى إليهم ويعلمهم بأن الحق تعالى أشفق عليهم من والدتهم فمَن فعل ذلك مع الخلق فقد فتح باب اصطفاء الحق له وجعله بين الأئمة الذين يهدون بأمره وجعله رحمة من العباد والله غفور رحيم.

(زمرّدة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الحكمة في كون يحيىٰ عليه السلام هو الذي يذبح الموت يوم القيامة إذا أُتِيَ به في صورة كبش؟ فقال رضي الله عنه: الحكمة

في ذلك البشارة لأهل الجنان وذلك لأن ضدّه لا يبقى معه هناك فإنها دار الحيوان فلا بدّ من إزالة الموت ولا مُزيل له سوى يحييٰ عليه السلام.

فقلت له: مسلم ذلك ولكن يحييٰ في العالم كثير؟ فقال رضي الله عنه: مرتبة الأوّلية في هذا الاسم له فيه يحييٰ كل مَن يحييٰ من الناس مَن تقدّم ومَن تأخّر فإن الله تعالى ما جعل له من قبل سَمِيًا وكل يحييٰ تبع والله أعلم.

(درّ): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: مَن أحبّ الله لإحسانه فهو عبد الإحسان لا عبد الله تعالى وفي ذلك ما لا يخفى من استهضام الجناب الإلٰهي ولذلك مال الشّارع إلى الرحمة بأهل هذا المقام وقال حبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه فجعل الإحسان هو سبب محبتهم له وإلا فهو ﷺ كان لا يعامل الله هذه المعاملة وكذلك كُمَّل ورثته والله أعلم.

(زمرّد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود: ٥٦] ما هذا الصراط الذي عليه الربّ تبارك وتعالى؟ فقال رضي الله عنه: ما جاء به محمد ﷺ من الصفات والأخلاق والأحكام فإذا مشى العبد على هذا الصراط كان الحق تعالى أمامه وكان العبد تابعًا للحق على ذلك الصراط ولذلك قال تعالى: ما من دابّة إلا هو آخذ بناصيتها فدخل فيها جميع ما دبّ علوًا وسفلاً ما عدا الإنس والجن فإنه ما دخل منهم إلا الصالحون فقط، ولذلك قال تعالى في حقهم على طريق الوعد والتهديد حيث لم يجعلوا نواصيهم بيده: سنفرغ لكم أيه الثقلان. فقلت له: فإذن الدواب أمكن في الانقياد منّا؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لا تعرف الدواب للمخالفة طعمًا. فقلت له: فهل للعارف أن يتّبع الحق تعالى في صراط إرادته المجرودة عن الأمر؟ فقال رضي الله عنه: لا ذلك صراط لا يضاف إلى الله تعالى إنما يُضاف إلى إبليس لأن هودًا عليه الصلاة والسلام ما ذكر ذلك إلا على وجه المدح والثناء للحق فاعلم ذلك.

(لؤلؤة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: إياك أن تترك الدعاء اتّكالاً على ما سبق به القدر فتفوتك السُنّة فإن الدعاء نفسه عبادة وسُنّة سواء أُجيب الدعاء أم لم يُجَب فاعلم ذلك.

(جوهر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: مَن ألهاه شيء من الدنيا عن ذكر الله أو عن صلاة الجماعة ونحوها فلا كفّارة له إلا التصدّق بذلك الشيء الذي ألهاه كائنًا ما كان ولو ألف دينار. وقد صلّى بعض الأنصار في حديقته فطار طير ليخرج فما قدر من التفاف أشجارها فأعجبته فلم يعرف كم صلّى فتصدّق بها كلها. ويشهد لذلك أيضًا قصة

سليمان حين طفق مسحًا بالسوق والأعناق حين ألهاه عرض الخيل عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ولا يقدر على العمل بهذا إلا مَن آثر جناب الحق تعالى على جنابه.

فقلت له: فلِمَ لم يتصدَّق سليمان بالخيل كما فعل هذا الأنصاري؟ فقال رضي الله عنه: لم يتمالك عليه السلام عقله في التأخير تعظيمًا لأمر الله. ونظير ذلك ما وقع لإبراهيم الخليل حين اختتن الناس بالفأس، فقيل له: هلاَّ صبرت حتى نأتيك بالموسى؟ فقال عليه السلام: أمر الله عظيم فبادرت إليه وكان الشبلي[1] رحمه الله يحرق بالنار كل ثوب ألهاه وأعجبه فكان سليماني المقام والله أعلم.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، هل هذه الرحمة التي خلعت على محمد ﷺ هي الرحمة التي وَسِعَت كل شيء من مطيع وعاصٍ ومؤمن ومكذِّب وموحِّد ومُشرِك وغير ذلك، أم هي رحمة أخرى مخصوصة بقوم دون آخرين؟ فقال رضي الله عنه: هي رحمة مخصوصة، ولذلك جاء بها بعزَّة إذ لا يمكن أن تعمّ رحمة المحدَث كعموم رحمة القديم وذلك لأن الحق تعالى يعمّ علمه كل معلوم ولا يحيط أحد بعلم الحق إلا بما شاء فهو ﷺ يرحم الخلق على قدر علمه والحق تعالى يرحمهم على قدر علمه فالرحمة تابعة للعلم في العموم. وسمعت بعض أهل الشطح يقول: هذه الرحمة التي خصَّ بها محمد ﷺ محلها مقامه الإيماني، أما مقامه الإحساني فلا لأنه حينئذ لا يرى إلا الله فلا يجد مَن يرسل رحمته عليه، وكذلك ضربه بالسيف في سبيل الله خاص بمقامه الإيماني أما الإحساني فيضرب بالسيف من ولا مشهود هناك إلا الله. فقلت له: فإذن ما انتقم ﷺ من أحدة غيرة لله وعلى جنابه إلا وهو في حجاب الإيمان؟ فقال: نعم، لولا الحجاب المذكور لما انتقم فإذا رفع الحجاب فمَن ينتقم منه أو له؟ فقلت له: فإذًا الكامل مُراعٍ حضرات الأسماء في النزع؟ فقال: نعم، لا يكون الكامل إلا على هذه الصورة فكان منْ كماله وقوعه في الحجاب في بعض الأوقات وإن لم يكن ذلك حجابًا حقيقة فهو متمكِّن في مراتب التلوين ولكن رحمة الكامل غلبت غضبه كما أن رحمة الحق غلبت غضبه.

---

(١) هو دلف بن جحدر الشبلي (٢٤٧ ـ ٣٣٤ هـ = ٨٦١ ـ ٩٤٦ م) ناسك. كان في مبدأ أمره واليًا في دنباوند، وولي الحجابة للموفق العباسي، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان ونسبته إلى قرية «شبلة»، ومولده بسُرَّ مَن رأى، ووفاته ببغداد. اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه. الأعلام ٢/ ٣٤١، ووفيات الأعيان ١/ ١٨٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦.

فقلت له: كيف قنت[1] ﷺ شهرًا يدعو على قوم مع هذا الكمال؟ فقال رضي الله عنه: دعا عليهم قبل أن ينزل عليه: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكان ذلك كالعتاب له في دعائه على مَن قتل رُعاة إبله ﷺ لأن فيه رائحة الانتصار للنفس لا الجناب ولذلك ترك الدعاء على الناس بعد نزول هذه الآية ولو كان ذلك غيرة لانتهاك الجناب الإلٰهي ما عاتبه علي ذلك فافهم فنبُّهه تعالى بقوله: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] على أن الدعاء عليهم ولو على وجه الانتصار مخالف لما أرسلتك به من الرحمة فإني ما أرسلتك سبابًا ولا لعانًا ولا منازعًا في الكون بغير إذني وإنما أرسلتك لترحم عبادي وتسألني أوفّقهم لطاعتي لأستجيب دعاءك وأوفّقهم فترى سرور عينيك وقرَّتها في طاعتهم وإلا فإذا دعوت عليهم وأجبت دعاءك فيهم فكأنك أمرتهم بالزيادة في الطغيان فإني لا آخذهم بالعذاب حتى يزدادوا طغيانًا وإثمًا مبينًا فتنبَّه النبي ﷺ وترك الدعاء على قريش وصار يقول: «اللَّهمَّ قريش»، وصار يقول: «اللَّهمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[2]، وكان يقول: «إن الله أدَّبني فأحسن تأديبي»[3]، والله أعلم.

(**بلخش**): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري مَن نازعني واحدًا منها قصمته»[4]، كيف صحَّت للعبد منازعة للحق وهو لا يتحرك إلا إن حرَّكه الله تعالى؟ فقال رضي الله عنه: اعلم أن لله تعالى صفات وأسماء ومراتب وللعبد التخلّق بها ولكن على حدٍّ مخصوص ونعت منصوص فإذا تعدَّى العبد ذلك الحال الذي عيَّنه الحق سُمِّي منازعًا في حديث بادرني عبدي مبادرة وإن كان العبد لا ينازع الحق إلا بالحق فافهم. ونظير ذلك أيضًا غالبت

---

(١) القنوت: الطاعة والسكوت والدعاء.

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ٢١٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٤٤١)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/ ١١٧)، والطبري في (التفسير ١/ ١٣)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٤١٩)، والقرطبي في (التفسير ٤/ ١٩٩، ٨/ ٢٧٣، ١٤/ ١٥٦)، والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٢٢٢)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٣/ ١٨٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣١٣، ٣/ ٦٨، ٢٨٣)، (مناهل الصفا ١٦)، والآجري في (الشريعة ٤٦٠)، والسيوطي في (الدرّ المنثور ٣/ ٩٥)، والطبراني في (المعجم الكبير ٦/ ١٤٦ ـ ٢٠١)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٤، ٧/ ٩٣، ١٠٨ ـ ٣٦٠، ٨/ ٢٥٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٩٨٨٣ ـ ٣٥٥٦٣)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٧٩٩ ـ ٩٨٧٢)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٣٧٣، ١٢/ ٢٨٢)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٣/ ٢١٥).

(٣) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٦٧٣).

(٤) سبق تخريجه.

عبدي فغلبني فإنه تعالى سمّى زمان الإمهال للعبد والحلم عليه مغالبة، ولذلك قال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ [الأنفال: ٦١] أي رُدَّ الأمر كله لله تعالى ولا تخرج عن التخلّق بصفاته فإن من صفاته الحلم ومَن جاء خصمه بالحلم والرفق وطلب هو معاملته بالحرب والقهر وعدم الرحمة خرج عن صفة الحق التي أمره بالتخلّق بها.

فقلت له: الراحمون يرحمهم الرحمٰن ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء، هل لذكر الاسم الرحمٰن خصوصية على الرحيم أم هما بمعنى واحد؟ فقال رضي الله عنه: كل اسم إلٰهي له خصوصية على بقية إخوانه ووجه خصوصية الرحمٰن هنا أن الأمر لنا بالرحمة إنما هو في هذه الدار ورحمة الرحمٰن تشمل الدنيا والآخرة دون الاسم الرحيم فإن رحمته خاصة بالآخرة فما جاء بالاسم الرحمٰن هنا إلا لينبّه الراحم منّا على أن جزاءه إذا رحم مَن في الأرض يصحّ تعجيله في الدنيا قبل الآخرة فيقوى عزمه على رحمة العباد لهذا الجزء المعجّل ولو قال الرحيم لم يصل إليه شيء من رحمة الله فكان يفتر عزم الراحم منّا لعدم مشاهدة تعجيل الجزاء وما كل وقت يكون ثواب الآخرة مشهودًا للمؤمن فافهم فعلم إن كل مَن رحم عباد الله أسرع الله إليه بالرحمة عندما يرحم فما رحم مَن رحم خلق الله حقيقة إلا نفسه وإنما هي أعمالكم تُرَدّ عليكم، وأما معنى قوله: «ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء»[1] أي ارحموا أهل البلايا والرزايا وتجاوزوا عنهم يرحمكم مَن في السماء يعني الملائكة بالاستغفار لكم وهو قوله تعالى: ﴿ويستغفرون لمَن في الأرض﴾ [الشورى: ٥]، ثم قال تعالى: ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ [الشورى: ٥] إشارة إلى أن الرحمة التي يرحم الخلق بعضهم بها هي رحمة الله لا رحمتهم وإن ظهرت في صورة مخلوق كما قال ﷺ: «إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمَن حمده»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (برّ ١٦).

(٢) أخرجه البخاري (أذان ٥٢ ـ ٧٤ ـ ٨٢ ـ ٨٦ ـ ١١٧ ـ ١٢٤ ـ ١٢٦ ـ ١٢٨ ـ ١٣٣)، (كسوف ٤ ـ ٥ ـ ١٩) (تقصير ١٧)، (بدء الخلق ٤ ـ ٧)، (مغازي ٢١)، (تفسير سورة ٣ ـ ٩ ـ ٤ ـ ٢١)، (دعوات ٥٩)، ومسلم (صلاة ٢٥ ـ ٢٨ ـ ٥٥ ـ ٦٢ ـ ٦٤ ـ ٧١ ـ ٧٧ ـ ٨٦ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ١٩٦ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٢)، (مسافرين ٢٠٢ ـ ٢٠٣)، كسوف ٣ ـ ٦)، وأبو داود (صلاة ٦٨ ـ ٧٤ ـ ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١١٩ ـ ١٣٦ ـ ١٤٠ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٧٨)، (استسقاء ٣ ـ ٤ ـ ٩)، (وتر ١٠)، والترمذي (صلاة ٨٢ ـ ٨٣ ـ ١١٠)، (دعوات ٢٧)، والنسائي (افتتاح ١ ـ ٣ ـ ٣٠ ـ ٨٤)، (إمامة ١٦ ـ ٣٨ ـ ٤٠)، (تطبيق ٣ ـ ١٧ ـ ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٤٩ ـ ٧٤ ـ ٧٧ ـ ٩٠ ـ ٩٤ ـ ١٠١)، (سهو ٤٤)، (كسوف ١٠ ـ ١١ ـ ١٣ ـ ١٨ ـ ٢١)، وابن ماجه (إقامة ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٧٢ ـ ١٤٤ ـ ١٥٢)، والدارمي (صلاة ٤٠ ـ ٤٤ ـ ٧١ ـ ٧٨ ـ ٩٢ ـ ٢١٦)، والموطأ (نداء ١٦ ـ ٤٧)، (جماعة ١٦)، (قرآن ٢٥)، وأحمد بن حنبل (١ ـ ٩٥ ـ ١٠٢ ـ ١٤٣ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٥ =

فقلت له: فأيّ الرحمتين أكمل: ما ظهرت في المخلوق، أم الرحمة التي صدرت عن الحق بلا واسطة أكمل؟ كما أن ما سمعه موسى عليه السلام من كلام الله عزَّ وجل أكمل مما سمعه على لسان عبده؟ فقلت له: وبهذا التقرير يصحّ وصفه تعالى بأفعل التفضيل في قوله أرحم الراحمين وأحسن الخالقين. فقال رضي الله عنه: نعم، لأن رحمته من حيث ظهورها من مخلوق أدنى من رحمته بعبده من غير صورة مخلوق وإن كان الكل منه، وكذلك خلقه تعالى لشيء بلا واسطة مشهودة أكمل مما خلقه بالوسائط التي أضاف التخليق إليها في قوله: **﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾** [المائدة: ١١٠]، وفي قوله: **﴿وتخلقون إفكًا﴾** [العنكبوت: ١٧] فلما أضاف الخلق إلى عباده سمّى نفسه أحسن الخالقين يعني بإذن الله لا بحكم الاستقلال لأنه ليس كذلك وجود في الكون حتى يفاضل الحق تعالى بينه وبينهم فافهم ذلك فإنه نفيس ما أظنك رأيته في تفسير قطّ والله أعلم.

(جوهر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: لولا حجاب الجاهل ما تنعّم بجهله.

فقلت له: لِم؟ فقال رضي الله عنه: لأنه لو علم أن ثَمّ شيئًا آخر فوق ما يعلمه لتنغّص عيشه فالجاهل متنعّم بجهله كما أن العالم متنعّم بعلمه، قال تعالى: **﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾** [الروم: ٣٢]. فقلت له: إن حقيقة الجهل ترجع إلى اسم العلم أيضًا عند العالم فنفس علمه بأن الشيء الفلاني جهل علم. فقال رضي الله عنه: نعم، هو علم ولكن أين العلم الشرعي من مقابله الذي هو الجهل؟ فقلت له: فإذن لا شيء أقبح من الجهل. فقال رضي الله عنه: نعم، لأن العبد إذا جهل وقع في ما لا ينبغي من حيث لا يشعر عكس حال العالم ثم أقل ما في الجهل إن صاحبه يحتقر شعائر الله تعالى التي جعل الله تعظيمها من تقوى القلوب ومعلوم عند كل عارف أنه ما في الوجود قطّ شيء إلا وهو من شعائر الله تعالى فنسبة البعوضة إلى الحق كنسبة العرش العظيم سواء فافهم، فما أظهر الحق تعالى كل شيء في الوجود إلا لحكمة والحكيم سبحانه ما يُظهِر إلا ما ينبغي لما ينبغي فمَن لم يطّلع على الحكمة في الأشياء ربما وقع في الاعتراض والجهل وعلم خالقه سبحانه وتعالى الواضع لذلك والله غفور رحيم.

= ٣٠١ ـ ٣٣٣ ـ ٢ ـ ١٨ ـ ٢٣٠ ـ ٢٥٥ ـ ٢٧٠ ـ ٣١٤ ـ ٣١٩ ـ ٣٣٧ ـ ٣٤١ ـ ٣٧٦ ـ ٣٨٧ ـ ٤١١ ـ ٤١٦ ـ ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤٤٠ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٤ ـ ٤٥٧ ـ ٤٥٩ ـ ٤٧٠ ـ ٥٢١ ـ ٣٠٣ ـ ١٨ ـ ٨٧ ـ ١١٠ ـ ١٦٢ ـ ٤ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ١١٩ ـ ٣١٧ ـ ٣١٨ ـ ٣٤٠ ـ ٣٩٤ ـ ٤٠١ ـ ٤٠٥ ـ ٤٠٩ ـ ٥ ـ ٣٤٣ ـ ٣٨٨ ـ ٣٩٧ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠١ ـ ٤٢٤ ـ ٦ ـ ٨٧ ـ ٩٨ ـ ١٥٨.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن كيفية كتابة الأقلام في ألواح المحو والإثبات؟ فقال رضي الله عنه: هو أن القلم يكتب في اللوح أمرًا ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الأمر ثم إنه يمحي تلك الكتابة فيزول ذلك الخاطر من هذا الشخص لأنه ثَمَّ رقيقة من هذا اللوح تمتد إلى نفس هذا الشخص في عالم الغيب، فإن الرقائق إلى هذه النفوس من الأرواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فإذا أبصر القلم موضوعها من اللوح يمحو كتب غيرها مما يتعلق بذلك الأمر من الفعل أو الترك فيمتد من تلك الكتابة رقيقة إلى نفس هذا الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لذلك الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الأول فإذا أراد الحق تعالى إثباته لم يمحه فإذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت فيفعل ذلك الشخص ذلك الأمر أو يتركه بحسب ما يثبت في اللوح.

فإذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكومًا بفعله وأثبته صورة عمل صالح أو قبيح على قدر ما يكون ثم إن القلم يكتب أمرًا آخر هكذا الأمر على الدوام فالقلم الأعلى أثبت على الوجه كل شيء يجري من هذه الأقلام من محو وإثبات ففي اللوح المحفوظ إثبات المحو في هذه الألواح وإثبات الإثبات ومحو الإثبات عند وقوع الحكم وإنشاء حكم آخر فهو لوح مقدس على المحو.

فقلت له: فإذن للعارف بهذا الأمر الذي قدَّرناه أن يقول أنا أعرف الآن ما تكتب الأقلام الإلـٰهية في شأني ويكون صادقًا. فقال رضي الله عنه: نعم، له ذلك كشفًا أو تقليدًا لصاحب الكشف إذ الكامل قلبه مرآة للوجود العلوي والسفلي كله على التفصيل ومن هناك كشف مَن كشف عمَّن انقطع خبره في الهند أو أقصى البلاد وقال فلان في البلد الفلاني.

فقلت له: فإذن تنزل الوقائع والنوائب التي تحصل للخلق كلهم من الخير والشر على أنفسهم وأموالهم وزروعهم وأديانهم. فقال رضي الله عنه: ألقِ بالك لما أقول لك.

فقلت: نعم. فقال: ذكر أهل الكشف الصحيح أن الحق تعالى إذا أراد أن يُجري في عالم العناصر أمرًا من الأمور عرج إليه الأرواح المسخَّرة من الكرسي على حسب ما يكون بالأوامر الإلـٰهية الخاصَّة بكل سماء أو فلك لينصبغ ذلك الأمر في كل منزلة صبغة ثم بعد ذلك ينزل في الرقائق النفيسة بصورة نفسية لها ظاهر وباطن وغيب وشهادة فتتلقاه الرقائق العرشية فتأخذه فينصبغ في العرش صورة عرشية فينزل في المعراج إلى الكرسي على أيدي الملائكة فينصبغ في الكرسي بصورة غير الصورة التي كان عليها فينزل الأمر

الإلـٰهي من الكرسي على معارجه إلى السّدرة[1] فتتلقاه ملائكة السّدرة فتأخذه من الملائكة النازلة به فلا تزال الملائكة صاعدة وهابطة بالأمر الإلـٰهي في السّدرة وفروعها حتى ينصبغ ذلك الأمر الإلـٰهي بصورة السّدرة فينزل إلى معراج السماء الأولى فيتلقاه أهلها بالترحيب وحُسْن القبول وكذلك يتلقاه أرواح الأنبياء فإن مقرّ أرواحهم هناك عند نهر الحياة المتصل بجنة البرزخ فافهم فإن أرواح الأنبياء وأرواح الكُمَّل باقية على الخدمة في جنة البرزخ لكن خدمتها هناك دون خدمتها في الدار الدنيا وذلك لأن البرزخ له وجه واحد إلى طلب التكليف وهو الذي يلي الدنيا، وأما الوجه الآخر فهو إلى الآخرة ولا تكليف هناك فافهم. ثم إنه كان كنهر الحياة أمانة عند ذلك الأمر النازل ألقت الملائكة الأمر في ذلك النهر فيجري ذلك النهر إلى نهر النيل والفرات فتلقي الأمر إلى هذين النهرين فتنزل تلك البركة التي هي في ذلك الأمر أو البلاء الذي فيه فيشرب أهل الأرض فيحصل لهم ما قدَّره الحق تعالى لهم أو عليهم وكثيرًا ما ينزل ذلك أيضًا مع المطر نسأل الله اللطف فقلت له: حكي عن الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: أنه كان يقول رضي الله عنه: لا ينزل أمر من السمٰوات فيه رحمة بالخلق إلا بعد أن تأخذه الملائكة ويدخلون به البيت المعمور فتسطع الأنوار من جوانبه ويبتهج البيت بذلك. فقال رضي الله عنه: هو كلام موافق للكشف ثم لا يزال الأمر ينزل من سماء إلى سماء وينصبغ في كل سماء بصورة السلم حتى ينتهي إلى السماء السابعة التي هي سماء الدنيا فتفتح أبواب السماء لنزوله وينزل معه قوى جميع الكواكب الثابتة والسيَّارة وقوى الأفلاك كلها فيخرق الكور حتى ينتهي إلى الأرض فلو برز هذا الأمر الإلـٰهي للحق بلا واسطة هذه الأفلاك لذابوا من صورة الخطاب الإلـٰهي فكان انسحاقه في كل سماء وفلك رحمة بالعباد ثم إذا وصل إلى الأرض إن كان خيرًا تجلَّى لقلوب الخلق فيقبله كل أحد بحسب استعداده وشاكلته من النور فينشأ منه الأعمال الصالحة وإن كان غير ذلك قبلته القلوب بحسب شاكلتها أيضًا فينشأ منها الأعمال القبيحة. فقلت له: فإذن الخواطر كلها تنشأ من هذا التجلِّي. فقال رضي الله عنه: نعم، جميع حركات العالم من إنسان وحيوان وملك ومعدن ونبات من هذا التجلّي الذي يكون من هذا الأمر النازل إلى الأرض وبهذه الخواطر التي يجدونها في قلوبهم يسعون ويتحركون طاعة كانت الحركة أو معصية أو مُباحة وكثيرًا ما يجد العبد خواطر لا يعرف أصلها فهذا أصلها. فقلت له: هذا كلام نفيس. فقال رضي الله عنه: والعالم به أنفس فإنه مبني على الكشف الصحيح والله تعالى أعلم.

---

(١) السدرة: شجرة في الجنة.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول بعض المحقِّقين: إن الشأن الإلٰهي أو الحكم إذا وقع لا يرتفع وأنه لا بدَّ له من قائم يقوم به ما بقيت الدنيا ونرى الوحي والأحكام ترتفع أيام الفترات فما حقيقة هذا الأمر الذي لا يرتفع؟ فقال رضي الله عنه: روح الوحي إنما هو ما فيه من جميع نظام العالم إذا فقدت الشرائع فالناموس قائم مقامها في كل عصر فقدت فيه وهو المعبّر عنه الآن في دولة بني عثمان بالقانون لكن جواز استعماله إنما هو في بلاد ليس فيها شرائع أما مثل مصر والشام وبغداد والمغرب ونحوها من بلاد الإسلام فلا يجوز استعمال القانون فيه لأنه غير معصوم وربما كان واضعه ملوك الكفّار وقد أوضح ذلك الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في الفتوحات قبيل الباب السبعين وثلاثمائة والله تعالى أعلم.

وإيضاح ذلك أن جميع الحدود التي حدَّها الرب تبارك وتعالى لا تخرج عن قسمين قسم يسمى سياسة حكيمة بكسر الحاء، وقسم يسمى شريعة، وكِلا القسمين إنما جاء لمصلحة بقاء الأعيان الممكنات في هذه الدار. فأما القسم الأول فطريقة الإلقاء بمثابة الإلهام عندنا وذلك لعدم وجود شريعة بين ظهر واضعه كما مرَّ فكأن الحق تعالى يلقي في فِطَر نفوس الأكابر من الناس الحكمة فيحدّون الحدود ويضعون النواميس في كل مدينة وإقليم بحسب مزاج ما يقتضيه أهل تلك الناحية وطِباعهم فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم كما انحفظت هذه الأمور بالشريعة الآن وسمّوا تلك الحكمة في عُرفهم نواميس خير أي أسباب خير لأن الناموس في العُرْف الاصطلاحي هو الذي يأتي بالخير عكس الجاسوس فهذه هي النواميس الحكمية التي وضعها العقلاء عن إلهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لمصالح العباد ونظمه وارتباطه.

فقلت له: فهل كان لواضعي هذه النواميس علم بأن هذه الأمور مقرّبة إلى الله تعالى أم لا؟ فقال رضي الله عنه: لم يكن لواضعيها علم بذلك بل ولا علم لهم بأن ثَمَّ جنة، ولا نارًا، ولا بَعْثًا، ولا نشورًا، ولا حسابًا، ولا شيئًا من أمور الآخرة لأن ذلك ممكن وعدمه كذلك ممكن ولا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين. بل رهبانية ابتدعوها للمصالح المشهودة في هذه الدار لا غير. فقلت له: فهل كانوا يعلمون علم التوحيد وما ينبغي لجلال الله من التعظيم والتقديس وصفات التنزيه وعدم المثل والشبيه؟ فقال رضي الله عنه: نعم، وكان علماؤهم يعرفون ذلك بل أكثر اشتغالهم كان فيه وكانوا يحرِّضون الناس على النظر الصحيح زيادة على ما فُطِروا عليه، كما كان علماؤنا اليوم. فقلت له: فهل كان أحد منهم يعرف ربه من نفسه كما هم الصوفية اليوم؟

فقال رضي الله عنه: نعم، وذلك لأنهم بحثوا عن حقائق نفوسهم حين رأوا أن الصورة الجسدية إذا ماتت تبطل حركاتها مع أنه ما نقص من أعضائها شيء فعلموا أن المدرك والمحرّك لهذا الجسم إنما هو آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الزائد فعرفوا نفوسهم معرفة صفات لا معرفة ذات فافهم. ثم إن ذلك أورثهم التردّد بين التشبيه والتنزيه فدخلوا في الحيرة بين سلب معرفة الله تعالى وبين إثباتها فلما أورثهم ذلك ما ذكر أقام الحق تعالى لهذا الجنس الإنساني شخصًا ذكر أنه جاء إليهم من عند الله تعالى برسالة يخبرهم بها فنظروا وبالقوة المفكِّرة التي أعطاها الله تعالى لهم فرأوا أن الأمر جائز ممكن فلم يقدموا على تكذيبه.

ولا رأوا علامة تدلّ على صدقه فسألوه هل جئت بعلامة من عند الله حتى نعلم أنك صادق في رسالتك فإنه لا فرق بيننا وبينك، وما رأينا أمرًا يميِّزك عنّا وباب الدعوى مفتوح ومن الدعوى ما يصدق ومنها ما لا يصدق فجاءهم بالمعجزات فنظروا فيها نظر إنصاف وهي لا تخلو عن أمرين: إما أن تكون مقدورة لهم فادّعى الصرف عنها مطلقًا فلا يظهر إلا على يدي مَن هو رسول إلى يوم القيامة، وإما أن تكون أي المعجزة خارجة عن مقدور البشر بالحس والهمّة معًا فإذا أتى بأحد هذين الأمرين وتحقَّقه الناظر آمن برسالته وصدق بلا شك. فقلت له: فمن أين جاء بعضهم عدم التصديق مع شهود المعجزة؟ فقال رضي الله عنه: جاءهم عدم التصديق من ضعف عقولهم وذلك بحكم القبضتين قال تعالى: ﴿**ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك**﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا**﴾ [النمل: ١٤]، فإذا قلت لأحدهم انظر إلى هذه المعجزة الدَّالَّة على صدق هذا الرسول يقول لك ألست تعلم أن السحر حق؟ فتقول له: نعم، فيقول: فهذه من ذلك القبيل، هذا جواب العوام منهم. فإن كان من الحكماء العالمين بقوى النفوس، قال: هذه المعجزة من قبيل القوى النفسانية فإنها تؤثر في جميع أجرام العالم بأعظم من ذلك وإن كان من علماء النجوم، يقول: إن الطالع الفلاني أعطاه ذلك.

فقلت له: فإذن العلوم التي لا تؤيد الشرائع كلها بلاء ومحنة، فقال رضي الله عنه: نعم، وقد حكى الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى أنه كان يقول: نحن لا نشترط المعجزة في حق الرسول لأنها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق إلا بإيجاد الممكنات وإذا أتى الرسول بالممكن فإنما يكون المعجز في ذلك عدم الإتيان ممَن أرسل إليهم بمثل ذلك الذي تحدّى به الرسول مع كون ذلك ممكنًا ووقوعه في نفس الأمر، قال: ثم نظرت إلى الذين انساقوا بالمعجزة إلى الإيمان فرأينا إنما كان

ذلك لاستقرار الإيمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف تصديقهم وغيرهم ما احتاج إلى ظهور ذلك بل آمن برسوله من أول وهلة لقوة نصيبه من الإيمان فاستجاب بالسرج بسببه، وأما مَن ليس له نصيب في الإيمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها.

فقلت له: فلِمَ اختلفت معجزات الأنبياء، ولأي شيء لم تكن واحدة لا يقدر عليها في كل عصر إلا نبي؟ فقال رضي الله عنه: إنما اختلفت معجزات الأنبياء لاختلاف ما كان عليه أُممهم من الأحوال فأتى موسى عليه السلام بما يبطل السحر لغلبته على قومه وأتى عيسى عليه السلام بإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى لغلبة اشتغال قومه بالطلب وأتى محمد ﷺ بجميع معجزات الأنبياء كما يعرف ذلك مَن تتبَّع سيرته ﷺ واختصَّ بمعجزة فصاحة القرآن لغلبة التفاخر بالفصاحة والبلاغة على قومه.

فقلت له: فهل قولهم ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ صحيح أم لا؟ فقال رضي الله عنه: هو صحيح وبه قال جمهور المحقِّقين وخالف في ذلك الشيخ أبو إسحٰق الإسفرايني[1] فمنع ذلك ووافقه عليه الشيخ محيي الدين بن العربي إلا أن الشيخ محيي الدين اشترط أمرًا آخر لم يذكره الشيخ ونصيحة أبو إسحٰق وهو أن شرط المنع أن يقوم ذلك الولي بذلك المعجز على وجه الكرامة لنفسه فإن قام به على وجه التأييد لنبيِّه الذي هو تابع له فلا منع بل هو واقع اللَّهمَّ إلا أن يقول الرسول في وقت تحدِّيه بالمنع في ذلك الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصَّة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد مضي الزمان الذي اشترطه، وأما قبل مضيِّه فإنه غير جائز.

فقلت له: فإذن يصحّ من كلام الجمهور على ما إذا أطلق الرسول وقت تحدّيه ولم يتعرَّض لوقوع تلك المعجزة على يد غيره ولا جوازها وحمل كلام الشيخ أبي إسحٰق على ما إذا تعرَّض في وقت تحدِّيه لمنع وقوعها بعده؟ فقال رضي الله عنه: نعم، يصحّ ذلك وهو محمل الثاني المسمَّى بالشريعة فهو كلما جاء على لسان الصادق المصدوق المؤيّد بالمعجزات كما مرَّ من أحوال الدنيا والبرزخ والآخرة فلولا إعلام الأنبياء لنا بما

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحٰق (. . .ـ ٤١٨ هـ = . . .ـ ١٠٢٧ م) عالم بالفقه والأصول كان لقب بركن الدين. نشأ بأسفرايين، ثم خرج إلى نيسابور وبُنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرَّس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق فاشتهر. له كتاب «الجامع» في أصول الدين، و«رسالة» في أصول الفقه، وكان ثقة في رواية الحديث، وله مناظرات مع المعتزلة. مات في نيسابور، ودفن في أسفرايين. الأعلام ١/ ٦١، ووفيات الأعيان ١/ ٤، وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٩، وطبقات السبكي ٣/ ١١١.

غاب عنّا من أحوال البرزخ والآخرة ما علمنا ذلك ولا كانت عقولنا تستقلّ بدركه من حيث نظرها لأن أمور الموت وما بعده من وراء طور العقول.

وقد تتابعت الرُسُل كلهم على اختلاف الأحوال والأزمان يصدق كل رسول صاحبه وما اختلفوا قطُّ في الأصول التي استندوا إليها ولو أن العقول استقلت بأمور سعادتها لكان وجود الرُسُل عبثًا فإن كل إنسان يجهل بالضرورة مآله وعاقبته وإلى أين ينتقل ويجهل سبب سعادته إن سعد أو شقاوته إن شقي كل ذلك لجهله بعلم الله فيه يريده به ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة إلى التعريف الإلـٰهي بذلك بما عرف الخلق كلهم موازين أعمالهم طاعة كانت أو معصية إلا مما جاءت به الرُسُل ولولا ذلك ما تميَّز أهل القبضتين وكان الأمر واحد والقبضة واحدًا. فقلت له: فهل المرسل أثَّر في سعادة أحد؟ فقال رضي الله عنه: لا ما سعد من سعد إلا بالقسمة أن لا تهدي مَن أحببت ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكوننَّ من الجاهلين بأن السعادة بيدي دون خلقي ثم إنه تعالى تلطَّف به مداواة لخاطر. فقال: إنما يستجيب الذين يسمعون والله أعلم.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن عمومِ رسالة محمد ﷺ هل هو خاص بالأمة التي بُعِثَ فيها أم ذلك عامٌ في سائر الأرواح والأمم السالفة؟ فقال رضي الله عنه: هي عامَّة في الأرواح والأُمم السالفة، فجميع الرُسُل من آدم إلى زمن بعثته نوّابه ﷺ على ترتيب وزراء المملكة وأُمراء العساكر. فقلت له: فهل يعطي الله ذلك النبي أجْر جميع مَن أُرسِلَ إليهم من الأمة وأجْر إيمانهم ولو لم يؤمنوا أم لا يعطي سبحانه وتعالى ذلك الرسول إلا أجْر مَن آمن به واتَّبعه فقط؟ فقال رضي الله عنه: يعطي الله تعالى كل رسول أجْر أُمته ولو لم يؤمنوا لأنه كان يودّ أنه لم يتخلّف منهم أحد عن العمل بشرعه فهم متساوون في أجْر التمنّي.

ويتميَّز كل واحد عن صاحبه بكثرة أتباعه أو قلتهم لا غير لأن أجْر المباشرة أعظم من أجْر التمنّي فافهم. وقد كان ﷺ يقول: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتِّباعي»[1]، فكل نبي ممَّن تقدَّم كان يُبعَث بطائفة من شرع نبيِّنا محمد ﷺ على قدر مرتبته وعزمه فهو ﷺ السيد الأعظم في جميع العالم روحانية وجسمًا فكما أنه ﷺ هو الملك الأعظم في عالم الأجسام كذلك الحكم في روحانيته في عالم الأرواح إذ روحانيته ﷺ ممدَّة لسائرة أرواح العالم من ناطق وصامت فهو أب جميع الروحانيات كما أن آدم أب جميع الجسمانيات.

---

(١) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ٨٣ ـ ٢٩٢).

وقد أخبرنا ﷺ أنه كان نبيًا وآدم بين الماء والطين وكان ﷺ يقول: يوشك أن ينزل فينا عيسى ابن مريم حَكَمًا مُقسِطًا يؤمّنا منّا يعني بشرعنا لا بشريعته هو»[1]. فقلت له: فهل يعرف عيسى شرع محمد ﷺ بالوحي أو بالتعريف الإلـهي من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربّه عزّ وجل؟ فقال رضي الله عنه: يكون له إذا نزل كلٌّ من الأمرين إذ الرسول لا يأخذ علمه من غير مرسله أبدًا فتارة يأتيه الملك فيخبره بشرع محمد ﷺ الذي جاء به إلى الناس وتارة يُلهَم ذلك إلهامًا فلا يحكم على الأشياء بتحليل أو تحريم إلا بما كان يحكم به رسول الله ﷺ لو كان بين أظهرنا. فقلت له: فهل يرتفع بنزوله جميع مذاهب المجتهدين أم تكون المذاهب معمولاً بها في عصره؟ فقال رضي الله عنه: ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: أنه يرتفع بنزوله إلى الأرض جميع مذاهب المجتهدين حتى لا يبقى على وجه الأرض مذهب لمجتهد فلا يكون في زمنه إلا الشرع المعصوم إذ غاية علوم المجتهدين الظن لا اليقين وعلوم الأولياء تجلّ عن ذلك فضلاً عن الأنبياء إذ هي من حق اليقين. فقلت له: فهل له أن يحكم بشرعه الذي كان عليه قبل رفعه إلى السماء من حيث إنه معدود من شرح محمد ﷺ الباطن.

فقال رضي الله عنه: لا يحكم بشرعه الخاص به وإن كان من شريعة محمد ﷺ بحكم التضمين لأن ذلك الشرع كان لطائفة مخصوصة وقد مضت قبل بعثته الظاهرة فما بقي لتلك الشريعة حكم بالنسبة إلى هذه الأمة إلا أن قرّرها شرعها هي. فقلت له: فإذن عيسى عليه السلام في ذلك رسول من وجه وتابع من وجه؟ فقال رضي الله عنه: نعم، ولذلك يكون له يوم القيامة حَشْران تابعًا ومتبوعًا لأن لنبيّنا ﷺ ختام نبوّة التشريع فلا نبي بعده مستقلاً ولو قدر أن يكون جسمه الشريف موجودًا من زمان آدم إلى زمان وجوده ورسالته لكان آدم وجميع بنيه تحت شريعته حسًا ومعدودين من أُمته. فقلت له: حتى الخضر وإلياس عليهما السلام.

فقال رضي الله عنه: نعم، فإنهما من أمته الظاهرة والباطنة لكونهما كانا قبل بعثته ﷺ وأدركا زمنه ولذلك قال تعالى لمحمد ﷺ في حق مَن سبقه من الأنبياء في الظهور: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠]، وإنما قال فبهداهم فأعلمنا بذلك أن هدى جميع الأنبياء هو هداه بالأصالة الذي سرى إليهم في الباطن من حقيقته ﷺ فهو النبي بالسابقة، وهوالنبي بالخاتمة. فقلت له: متى عرف ﷺ نبوّته الباطنة

---

(١) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ٦/١٠١).

أقبل أخذ الله الميثاق أم بعده؟ فقال رضي الله عنه: عرفها قبل أخذ الميثاق وقبل نفخ الروح في آدم فكان له التعريف من ذلك الوقت.

فقلت له: كيف عرف ذلك؟ فقال رضي الله عنه: لأن النشأة الإنسانية لم تزل مبثوثة في العناصر ومراتبها مدركة لأرواحها ومن هناك قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[1]، ولولا شهوده نفسه وعلمه بأعلى غاياتها ما قال ذلك. ثم لمَّا شهد مرتبته أيام رسالته قال: «إنما أنا بشر مثلكم»[2]، ولم تحجبه المرتبة عن معرفته نشأته فقلت له: فهل كان أحد من الأنبياء كذلك نبيًا وآدم بين الماء والطين؟ فقال رضي الله عنه: ما كانوا أنبياء إلا في حال نبوّتهم وزمان رسالتهم، ولو كانوا أطفالاً. فقلت له: ولو أطفالاً؟ فقال رضي الله عنه: نعم، إن كنت تفهم القرآن، فلما رآني بُهِتُّ في ذلك قال: وإنما قلنا ولو أطفالاً لأجل عيسى عليه الصلاة والسلام فإنه نبي في بطن أُمه بقوله لها: ﴿لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا﴾ [مريم: ٢٤]، وبقوله في المهد: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني الله نبيًا﴾ [مريم: ٣٠] الآية، فكانت نبوّته عليه السلام فطرية بخلاف غيره من الأنبياء. فقلت له: فهل يقدح في كون الأنبياء نوّابًا لرسول الله ﷺ كون شريعته ناسخة لشريعتهم؟

فقال رضي الله عنه: لا يقدح ذلك لأن الله تعالى قد أشهدنا النسخ في شرعه الظاهر به ﷺ مع إجماعنا واتفاقنا على أنه شرعه الذي نزل به جبريل فنسخ المتقدّم بالمتأخّر ولكن بعد ظهور شرعه ﷺ لم يكن لشرع غيره حكم إلا ما قدّرته شريعته فقط. فقلت له: فإذن لنا أن نتعبّد بكل شريعة أقرّتها شريعته؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لكن من حيث تقرير نبيّنا محمد ﷺ لا من حيث تقرير ذلك النبي المنسوب إليه تلك الشريعة ولهذا كان ﷺ يقول: «أُوتيت جوامع الكَلِم» واختصر لي الكلام اختصارًا فاعلم ذلك.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن هؤلاء الرهبان المعتزلين في الصوامع هل حكمهم حكم النصارى[3] من كل وجه، أم من بعض الوجوه فإن رسول الله ﷺ رفع عنهم الجزية ونهى الصحابة عن قتلهم، وقال: «إنكم ستمرّون على قوم يحبسون نفوسهم في الصوامع فلا تتعرّضوا لهم ودعوهم وما انقطعوا إليه».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (المساجد ٩٢ ـ ٩٣)، والربيع بن حبيب في (المسند ٢/٤٦)، والشافعي في (المسند ٢٦٥)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٢/٢/٤٥).

(٣) النصارى: أتباع المسيح عليه السلام.

فقال رضي الله عنه: الذي عليه الجمهور من العلماء أن حكمهم حكم النصارى من سائر الوجوه وإنما نهى ﷺ الصحابة عن قتلهم رجاء إسلامهم بغير قتال وكذلك رفعه الجزية عنهم فاستمر ذلك الحكم بهم ولم يتعرّض لهم أحد من الخلفاء الراشدين أدبًا مع رسول الله ﷺ فإن من شأن الرهبان في كل عصر عدم سبّ الأنبياء وعدم معاونة النصارى على المسلمين ولو رأوا الغلبة على أهل دينهم ومن شأن كل إمام أن يبدأ بقتال الأهم فالأهم وذهب بعض أهل الشطح إلى قوله ﷺ: «دعوا الرهبان وما انقطعوا إليه» تقرير لهم على ما هم عليه من حيث عموم رسالته ﷺ كما قرّر أهل الكتاب على سكنى دار الإسلام بالجزية. قالوا: وهي مسألة خفيّة جليلة في عموم رسالته ﷺ لا يتنبّه لها إلا الغوّاصون على الدقائق الحق ما ذكرناه أولاً وأن حكمهم حكم بقية النصارى حتى يتدينوا والله أعلم فاعلم ذلك فإنه نفيس.

(كبريت أحمر): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن سبب مشروعية جميع التكاليف في كل عصر على ألسنة الرُّسُل هل هي كفّارة لما سيقع منّا من المعاصي أو لما وقع من أرواحنا قبل البلوغ؟ فقال رضي الله عنه: سبب مشروعية جميع التكاليف التي كلّف الله تعالى بها سائر الخلق في سائر الأدوار بالأصالة بالأكلة التي أكلها آدم عليه السلام من الشجرة وانسحب حكمًا على جميع بنيه إلى يوم القيامة فما منهم من أحد إلا وقد أكل من الشجرة بالنسبة إلى مقامه من حرام ومكروه أو خلاف الأولى فلذلك اسمه شجرة من باب حسنات الأبرار سيآت المقرّبين فكانت التكاليف كلها في مقابلة تلك الأكلة كفّارة لها فإن آدم عليه السلام لمّا أكل من الشجرة بغير إذن حال نسيانه جعل الله له مذكّرًا من نفسه لما وقع منه وهو البطنة القذرة المُنتِنة على خلاف ما كان عليه في الجنة البرزخية التي خلقها الله عزّ وجل فوق رأس جبل الياقوت كما صرّح به المجريطي[1] والشيخ صفيّ الدين بن أبي المنصور وغيرهما ولكن الجمهور على خلافه فإن آدم عليه السلام لمّا أخذته البطنة[2] تذكّر واستغفر وكذلك أخذت حوّاء عليها السلام الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة لمساعدتها لآدم عليه السلام في ذلك بالتزيّن والتحسين وقطعها الثمرة لآدم حتى أكل ولا شك أن إثم مَن يأتي المخالفة وهو مستحسن لها أعظم إثمًا وندمًا ممّن يأتيها مستقبحًا لها ثم لا يخفى أن تلك الجنة ليست محلاً للقذر الذي حصل من تلك الأكلة فلذلك أُنزِلا إلى الأرض لقربها من تلك الجنة البرزخية الروحانية الشبيهة بالجنة الكبرى المدَّخرة في علم الله. فقلت له: إن العلماء يقولون إن الجنة التي وقع لآدم فيها ما وقع في السماء؟ فقال رضي الله عنه: لا خلاف بيننا.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٧/ ٢٢٤.

(٢) البطنة: امتلاء البطن من الطعام.

فإن كل ما علا فوق رأسك يسمى سماء كما يسمّى سقف البيت عرشًا وهذه الجنة كذلك ثم إن آدم وحوّاء عليهما السلام لمّا نزلا إلى الأرض تولّد من تلك الأكلة التي أكلاها في الجنة البول، والغائط، والدم، والنوم، واللذّة باللمس، والجماع تولد في ذريتهما بسبب أكلهم من شجرتهم زيادة على ما تولّد من أبويهما الجنون، والإغماء بغير مرض، والمُخاط والصنان، والقهقهة في الصلاة أو مطلقًا والتبخير، والتكبّر، والإسبال في الإزار، والسراويل، والقميص، والعمامة، والغيبة، والنميمة، والبرص، والجذام[1]، والكفر، والشرك وسائر المعاصي، وغير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار أنه ينقض الوضوء فإن هذه الأمور كلها قد ورد النقض بها كما بيّنّاه في باب الأحداث من كتابنا «كشف الغمّة عن جميع الأمة»[2] وكلها متولّدة من الأكل إذ ليس لنا ناقض قطُ للطهارة متولّدة من غير علّة الأكل أبدًا لأن مَن لا يأكل كالملائكة لا يقع منه ناقض قطُ مما تقدّم ذكره ومما لم نذكره فإن الملائكة لا تبول، ولا يجري لها دم ولا تشتهي النساء ولا الرجال، ولا تجن، ولا يغمى عليها، ولا تعصي ولا تكفر فإن العبد لولا أكل ما حجب ولولا حجب ما عصى فلذلك أمرنا الشّارع وأتباعه بالطهارة بالماء المطلق وبالتنزّه عن كل ما تولّد من تلك الأكلة حتى عن مسّ المحل الخارج منه البول والغائط وغيرهما من النواقض حتى عن مسّ الأُنثيين المجاورتين للمحل الخارج منه البول والغائط حتى عن مسّ السراويل الملاصقة لذلك المحل فإنه ﷺ «كان ينضح سراويله بالماء كلما توضأ ويقول بذلك أمرني جبريل عليه السلام» وذلك لملامسة السراويل المحل الملامس لتلك الفضلات لا دفعًا للوسواس كما فهمه بعضهم فإن الأنبياء منزّهون عن الوسواس إذ قيل إنه نوع من الجنون فافهم ثم إن أقوال المجتهدين جاءت على وفق أدلتها استندت إليها في النقض فمنهم المخفّف ومنهم المشدّد في الناقض ومنهم المتوسّط فيه وفي الماء الذي يتطهّر به كما أوضحنا ذلك في رسالة أسرار الدين فمنها ما اتفقوا على النقض به كالبول والغائط والجماع ومنها ما اختلفوا في النقض به كمسّ الفرج، ولمس المحارم، والنوم

---

(١) الجذام: علة تتأكّل منها الأعضاء وتتساقط.

(٢) كتاب «كشف الغمّة عن جميع الأمة» في الحديث للشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفّى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة. ذُكر أنه جمعه من كتب الحفّاظ المعتمدة كالستة ومعاجم الطبراني ومجاميع السيوطي مرتبًا على أبواب كتب الفقه ولم يُعزِ فيه الأحاديث إلى مخرجيها وإنه لا يذكر فيه إلا محل الاستدلال فقال: كان رسول الله ﷺ يفعل كذا أو يقول كذا أو يقرّ أصحابه على كذا أو يسكت على كذا ولا يذكر القصة إلا إن اشتملت على موعظة أو اعتبار أو أدب. قال في آخره: اجتهدت في تحريره وراعيت فيه أدلة مذاهب الأربعة وغيرهم فلا يوجد منها مذهب إلا وأدلته في هذا الكتاب، وكان الفراغ من تبييضه مستهلّ رجب سنة ٩٣٦ بمصر. كشف الظنون ١٤٩٢.

ولمس العجوز، وخروج الدم من البدن، والقهقهة، والغيبة، ونحو ذلك، ومعلوم أن مَن أخذ بالأشدّ والأحوط أخذ بالجزم.

وكان سيدي علي الخوَّاص رحمه الله يقول: الفرج بضعة من الإنسان كما صرَّحت به السُّنَّة وما دخل النقض به إلا من كونه محلاً لخروج الناقض لا لذاته إذ لو كان النقض به لذاته من حيث كونه متولِّدًا من الأكل لكان حكم جميع الأعضاء كذلك إذ البدن كله قد تولَّد من الأكل فافهم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: النقض بالفرج خاصٌ بأكابر الناس كالعلماء والصالحين وعدم النقض به خاصٌ بعوامّ الناس كالأراذل ورُعاة الجاموس(١) والتراسين، وكذلك القول في كل ما رخّص فيه الشَّارع أو المجتهد وشدَّد فيه. فقلت له: فما وجه قول بعضهم بالنقض بخروج حصاة أو عود وهما غير متولّدين من الأكل فقال رضي الله عنه: وجه النقض ليس لذاتهما وإنما هو لما عليهما من الطبيعة فهذا كان أصل الحدث. فقلت له: فلِمَ وجب علينا تعميم البدن بخروج المني مع أنه دون الغائط في الاستقذار بيقين؟ فقال رضي الله عنه: إنما وجب تعميم البدن بخروج المني لأنه فرع أقوى لذَّة من خروج الطبيعة فاللذَّة فيه أعظم حتى أن المُجامع يحسّ بأن اللذَّة عمَّت بدنه كلها فكانت الغفلة فيه عن الله أكثر ولذلك نقضت القهقهة كما مرَّ لأنها لا تقع قطُّ من قلب حاضر مع ربه. وكذلك سائر النواقض التي تقدَّمت لأن حضرة الرب منزَّهة عن وقوع ذلك فيها إذ هي حضرة أدب وبهت وذبول أعضاء. فقلت له: فلِمَ وجب الغسل على الحائض والنفساء؟ فقال رضي الله عنه: إنما وجب تعميم بدنهما لزيادة القذر الحاصل منهما وكثرة انتشار الدم وأثره في محلات البدن وبعد الزمن المتخلّل من الحيضات فلا يشقّ بخلاف الحدث الأصغر خفّف علينا بغسل الأعضاء المعروفة لتكرّر سببه كثيرًا في الليل والنهار وأيضًا فإنها آلات لغالب المعاصي والمخالفات فإذا غسل المتوضيء الحاضر للقلب عضوًا منها تذكر سبب الأمر بغسله وهو العصيان به فاستغفر ربه فطهّر ذلك العضو ظاهرًا وباطنًا بالماء والتوبة لأن التوبة تجبّ ما قبلها والخطايا كلها تخرج مع الماء فيدخل ذلك العبد حضرة ربه على أكمل حالة. فقلت له: فلِمَ اتفق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمي دون البهائم مع أن الآدمي أشرف منها؟ فقال رضي الله عنه: وما جاء الاتفاق على نجاسة بوله وغائطه إلا من شرفه لأنه هو الخليفة الأعظم في الأرض فكان من شأنه أن يطهّر كل شيء خالطه والقاعدة أن

---

(١) الجاموس: حيوان أهلي، من جنس البقر والفصيلة البقرية ورتبة مزدوجات الأصابع المجترّة، يُربّى للحرث ودرّ اللبن، (ج) جواميس.

كلّ مَن شرفت مرتبته عظمت صغيرته فلما غفل عن ربه واشتغل بطبيعته وشهوته انعكس حكمه فلذلك صاحبتها الأشياء الطاهرة من المطاعم والمشارب فصار طيبها نجسًا قذرًا بولاً وغائطًا ودمًا ومخاطًا وصنانًا فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. فقلت له: فلِمَ لم يتفق العلماء على نجاسة فضلاته كلها؟ فقال رضي الله عنه: لخفَّة القبح والقذر فيها، ولذلك كان النقض بالمخاط ومسّ الإبط والدم خاصًا بالأكابر كما مرّ، وأما الأصاغر فيسامحون بذلك لبُعْد هذه الأمور عن صورة طعم الطعام ولونه وريحه بخلاف البول والغائط فيهما الشبيه بصورة الطعام والشراب فافهم.

فقلت له: هذا وجه تعلّق النواقض والطهارة منها بالأكل من الشجرة، فما وجه تعلّق مشروعية الصلاة بالأكل؟ فقال رضي الله عنه: وجه تعلّق مشروعية جميع الصلوات بجميع أنواعها بالأكل كون ذلك توبة واستغفارًا وقربانًا إلى الله تعالى وفتحًا لباب الرِّضا عنَّا بعد الغضب علينا بتناول شهوات الأكل وما تولَّد منه، وفي الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة: «يا بني آدم قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها». فقلت له: فلِمَ تكرَّرت في الليل والنهار؟

فقال رضي الله عنه: ليتذكر العبد ما جناه من المعاصي، والغفلات، والشهوات من الصلاة إلى الصلاة فيتوب ويستغفر ثم يتطهّر بالماء المنعش لذلك البدن الذي مات بكثرة المعاصي، أو ضعف، أو فتر أو غفل عن مقام ذلك المصلّي ثم يدخل حضرة الصلاة مكبّرًا لله حامدًا له مُثنيًا عليه بما هو أهله سائلاً من فضله المعونة على أداء ما كُلِّف به في هذه الدار والهداية إلى الصراط المستقيم فلو كوشف للمؤمن عن حاله في صلاته فرأى ذنوبه تنحدر يمينًا وشمالاً عنه في حال قيامه وركوعه فلا يصل إلى حضرة السجود التي هي أقرب ما يكون من ربه وعليه خطيئة واحدة لأنها كلها سقطت بالوضوء والصلاة وإنما قلنا ببقاء الذنوب في حال الصلاة مع الوضوء لأن الوضوء لا يخرّبه ألا معاصٍ مخصوصة إذ لو كفَّر المعاصي كلها لم يبقَ لغيره من المكفِّرات الواردة في السُّنَّة فائدة فافهم.

فقلت له: فإذن كلما كانت معاصي العبد أكثر طُولِب بنظافة الماء أكثر. فقال رضي الله عنه: نعم، فإن توضأ من لبس عليه خطيئة بأنظف المياه كان نورًا على نور كما أن مَن كثرت ذنوبه إذا توضأ بالماء الذي لم يستعمل كان إحياء لجسمه من المستعمل ولعل هذا ملحظ الإمام أبي حنيفة[1] رضي الله عنه: في تشديده في نظافة الماء في الغسل

---

(١) هو النعمان بن ثابت (٨٠ ـ ١٥٠ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) التيمي بالولاء، الكوفي أبو حنيفة إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقّق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة. ولد ونشأ بالكوفة، وكان يبيع=

والوضوء فإن له رضي الله عنه في الماء المستعمل ثلاث روايات، فالرواية الأولى: أن المستعمل كالنجاسة المغلظة سواء. الثانية: أنه كبول البهائم سواء. الثالثة: أنه طاهر غير مطهر.

فقلت له: ما وجه الرواية الأولى؟ فقال رضي الله عنه: وجهه أنه غسالة ذنوب الناس التي خرّت في مطاهرهم من زنًا ولواط وشرب خمر وأكل حرام وغير ذلك من الكبائر ومَن حقّق النظر وجد هذه الأمور أقذر وأخبث من التضمخ بالبول والغائط لأن أصل الأكل مُبَاح وأصل هذه الأمور حرام وأثر الحرام بيقين أنجس من أثر المباح. فقلت له: فإن كان الأكل كذلك حرامًا كالرشا والبلص والغصب والأكل باليدين كالذي يطعم لأجل اعتقاد الناس فيه الصلاح وهو على غير ذلك. فقال رضي الله عنه: مثل هؤلاء لا يكون ماء طهارتهم أخبث من الخبث فيجب اجتنابه أكثر من ماء المعاصي بغير الأكل. فقلت له: فإذا كان المتطهِّر قريب عهد بالإسلام ولم يذنب بعده فما حكمه؟ قال رضي الله عنه: لا ينبغي القول بأن ماءه نجس قولاً واحدًا.

فقلت له: فما وجه كون المستعمل كبول البهائم؟ فقال رضي الله عنه: وجهه أن غالب معاصي العباد الصغائر ووقوعهم في الكبائر نادر بالنسبة للصغائر ومعلوم أن الصغائر حالة متوسطة بين الكبائر والمكروهات كما أن بول البهائم حالة متوسطة بين النجاسة المغلظة والمعفو عنها، وأما وجه الرواية الثالثة فلأن الأصل عدم ارتكاب المتطهِّرين بذلك الماء للكبائر والصغائر عملاً بما أمرنا الله به من حُسْن الظن بالمسلمين وأنهم ارتكبوها وكفّرت عنهم بأفعال أُخر فما جاؤوا للوضوء والغسل إلا وليس عليهم خطيئة فرضي الله عنهم وعن الإمام أبي حنيفة ما كان أدقّ نظره وما كان أكثر ورعه ورضي الله عن بقية المجتهدين.

فقلت له: فإذا كانت الصلوات الخمس كفّارات لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر فلِمَ أمرنا رسول الله ﷺ بالنوافل المشهورة هل هي كفّارة لما يتوقع من الكبائر أو جوابر للخلل الواقع في الفرائض؟ فقال: نعم، هي جوابر ولذلك ورد أن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة.

= الخزّ ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، أراده عمر بن هبيرة والمنصور العباسي على القضاء فامتنع ورعًا. فحبسه المنصور إلى أن مات. له «مسند» في الحديث، و«المخارج» في الفقه. توفي ببغداد الأعلام ٨/٣٦، وتاريخ بغداد ١٣/٣٢٣ ـ ٤٢٣، وابن خلكان ٢/١٦٣، والبداية والنهاية ١٠/١٠٧، والنجوم الزاهرة ٢/١٢.

فقلت له: قد ورد إن الصوم لا يكمل فرائضه بنوافله لكونه تعالى قال الصوم لي وأنا أجزي به. فقال رضي الله عنه: ورد أن فرض الصوم يكمل بنافلته يوم القيامة ولعل الخلق في ذلك قسمان عملاً بالحديثين. فقلت له: فلِمَ أكد الشَّارع بعض النوافل دون بعض؟ فقال رضي الله عنه: فعل ذلك توسعة لأمته فإن منهم مَن يشهد كثرة الخلل في عباداته فيتأكد عليه فعل الجوابر لذلك الخلل.

ومنهم مَن يمنّ الله تعالى عليه بشهود تمام الصلاة حقيقة أو في شهوده هو فلا يتأكد في حقه الجوابر ولكن إن فعلها حاز الخير بكلتا يديه ولكل مقام رجال. فقلت له: فلِمَ شرعت النوافل ذوات الأسباب كالخسوف والاستسقاء والجنازة والعيدين وغيرها. فقال رضي الله عنه: إنما شرّعت لحجاب العبد بالأكل عن شهود الآيات العظام التي يخوف الله بها عباده لا سيما مَن يأكل الحرام والشُّبهات فما احتجنا للتخويف إلا من غفلتنا وحجابنا الناشىء من الأكل فشرع هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن أن يخرج عن طاعته شيء في الوجوب ولنؤدّي بعض حقوق إخواننا المسلمين الأحياء والأموات التي أضعناها حين غفلنا وحجبنا بالشهوات ويزيد العيدان على ما ذكر بأنهما شرعا أيضًا تأليفًا للقلوب المتنافرة من المزاحمة في الأغراض النفسانية ليجتمع شمل شعار الدين فإن التنافر يضعفه وهما أقوى من الجمعة في الفرح والسرور كما هو مُشاهَد في الرجال والأطفال والنساء والبنات والخدم والغلمان فلا ينبغي لمؤمن أن يفارق صلاة العيدين وفي قلبه كراهية لأحد من المسلمين.

وهذا وإن كان مطلوبًا في غير العيد ففي العيد آكد لا سيما العيد الأكبر للحجاج فإنهم في حضرة الله الخاصة فيخشى على العبد المقت والشقاء نسأل الله العافية.

فقلت له: فما وجه تعلّق الزكاة بأنواعها بالأكل؟ فقال رضي الله عنه: وجهه أنه لمَّا أكلنا ما لا ينبغي لنا شرعًا حجبنا عن شهود توحيد الله تعالى في الملك وذلك أننا لمَّا أكلنا المال بشَرَه نفس وجمعنا المال والأقوات ضيّقنا على الفقراء والمساكين وجميع المحتاجين وادّعينا المُلْك لما بأيدينا من الأموال ونسينا قوله تعالى: ﴿**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ [الحديد: ٧] فأمرنا بإخراج نصيب مفروض في كل صنف من أموال الزكاة تطهيرًا لنا ولأموالنا من الرجس الحاصل من منعها بسواد القلب وقلّة البركة في الرزق كما أشار إليه حديث «اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا وأعطِ ممسكًا تلفًا»[1].

---

(١) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢١٢)، والمتقي الهندي في(كنز العمال ١٦٠١٦، ١٦١١٨، ١٦١١٩)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٤٨)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٧٢).

وأما نوافل الزكاة من سائر الصدقات فإنما هي جبر للخلل الواقع في فرض الزكاة كالصلاة وكذا القول في نوافل الصوم والحج، فقلت له: فما وجه تعلّق الصوم بالأكل المذكور؟ فقال رضي الله عنه: وجهه أن الصوم تطهير وقوة استعداد للتوجّه إلى الله تعالى في قبول التوبة لما فيه من رقّة القلب وذبول الجسد وسدّ مجاري الشيطان التي تنفتح بالأكل حتى يصير البدن كطاقات الشبكة فإذا صام العبد ضاق على الشيطان المسالك حتى لا يجد له مسلكًا يدخل منه إلى باطن الصائم حتى يوسوس له مما يريد ولذلك ورد الصوم جنة فافهم.

فقلت له: فلِمَ كان الصوم المفروض ثلاثين أو تسعًا وعشرين فقط؟ فقال رضي الله عنه: إنما كان كذلك لأنه ورد أن الأكلة التي أكلها آدم من الشجرة مكثت في بطنه تلك المدة فانتهى خروجها بانتهائها واستمر الحكم في بنيه كذلك فلولا تلك الأكلة ما وجب الصوم.

ولمّا علم الشّارع أننا نقع في الأكل المنهي عنه كثيرًا شرع لنا زيادة على ذلك من الصوم الخميس والاثنين وأيام البيض وغير ذلك وقد ورد إن بدن آدم اسودّ من أكله من الشجرة فما زال سواده إلا بصيام الثلاثة البيض فيتعيَّن ذلك على كل عاصٍ. فقلت له: فما وجه تعلّق مشروعية الحج والعمرة بالأكل؟ فقال رضي الله عنه: وجهه أن الحج تكفير لذنوب عِظام لا تكفّر إلا بالحج كما أن لكل مأمور به في الشريعة ذنوبًا خاصة لا تكفّر إلا بفعل ذلك المأمور كما يعرف ذلك أهل الكشف ولو أكلنا الشهوات بغير إذن من الله تعالى لما وقعنا في تلك الذنوب ولا احتجنا إلى شيء يكفّرها هذا في حقنا.

وأما في حق آدم عليه السلام فلم يكن منه ذنب أبدًا ما عدا أكله من الشجرة فما كان أكله منها إلا فتحًا لباب الوقوع الآتي من أولاده بحكم القبضتين فأمره الله بالحج تكفيرًا لتلك الأكلة التي صورتها صورة معصية فافهم.

وكان ذلك آخر ما حصل عبه من الكفّارات وأيضًا فإن تلقّي الكلمات من ربه عزّ وجل كان في تلك الأماكن والنازل وهي قوله: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾** [الأعراف : ٢٣].

فقلت له: فلِمَ كان وجوب الحج علينا في العمر مرة واحدة ولم يتكرر وجوبه كالصلاة والصوم؟ فقال رضي الله عنه: إنما وقع ذلك تخفيفًا علينا ورحمة بنا لضعفنا وكثرة المشقّة على الناس في فعله لا سيما أهل البلاد البعيدة وقد حجّ آدم عليه السلام من الهند ماشيًا ألف مرة لأن عزمه مقاوِم لعزم طوائف من بنيه. فقلت له: فلِمَ رخّص

الشَّارع في عدم فرضيَّة العمرة دون الحج كما ورد دخلت العمرة في الحج إلى الأبد؟ فقال رضي الله عنه: لأن الشارع رآها داخلة في الحج ضمنًا لأن عين أفعالها عين أفعاله فيكتفي مَن تعذَّر عليه تحصيلها بالحج فهي كالوضوء مع الغسل أو كالسُّنَّة مع الفريضة.
فقلت له: فلِمَ كان الوقوف بعرفة[1] أول الأركان للحج؟ فقال رضي الله عنه: إنما كان الوقوف أول أركان الحج لأن جبل عرفات هو باب حرم الله الأول الذي دخل منه آدم حين جاء من أرض الهند فأمر بنوه كلهم أن يبدأوا به في أعمال الحج والدخول منه لفعل المناسك اقتداء بأبيهم عليه الصلاة والسلام حتى أوجب الشَّارع على مَن هو ساكن في حرم الكعبة أن يخرج منه إلى عرفات ثم يقف بالحج.

فقلت له: فلِمَ سومح الحج المصري والشامي وكل داخل من باب المعلاة[2] أو باب شبيكة[3] بدخول مكة قبل الوقوف بجبل عرفات؟ فقال رضي الله عنه: سُومِحوا بذلك لما عندهم من كثرة الشوق فكان حكمهم حكم مَن هاجر إلى الملك ومكث عنده زمانًا ينتظر ما يوجبه عليه من الخدمة والطاعة فإذا أمره بالخروج إلى فعل ما أوجب عليه خرج فدخول الحج لمكة قبل الوقوف ليس هو لفعل المناسك وحكم طواف القدوم حكم النوافل التي قبل الفراض شرّعت تأنيسًا للعبد ليدخل في فريضة الحج على أكمل حال.

فقلت له: فما حكمة التجرّد عن لبس المخيط؟ فقال رضي الله عنه: إنما شرّع ذلك إشارة إلى أن الواجب على كل مَن دخل حضرة الحق أن يدخل مُفلِسًا متجرّدًا عن جميع حسناته وسيآته لأن الأمداد الإلـهية الخاصَّة بمكة لا تنزل على قلب أحد إلا بعد تجرّده مما ذكر قال تعالى: **﴿أوَ لم نمكِّن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا﴾** [القصص: ٥٧]، فافهم وتأمّل.

فكأن المحرم يولد هناك ولادة ثانية كما أشار إليه خبر «مَن حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[4].

---

(١) عرفة وعرفات: جبل قرب مكة يقف عليه الحجّاج يوم التاسع من ذي الحجة.
(٢) المعلاة: موضع بين مكة وبدر بينه وبين بدر الأثيل. معجم البلدان ١٥٨/٥.
(٣) الشبيكة: بين مكة والزاهر على طريق التنعيم ومنزل من منازل حاجّ البصرة بينه وبين وجرة أميال. معجم البلدان ٣/ ٣٢٤.
(٤) أخرجه البخاري (حج ٤)، (محصر ٩، ١٠)، ومسلم (مسافرين ٢٩٤)، والترمذي (حج ٤١)، (تفسير سورة ٣٨ ـ ٢ ـ ٣)، والنسائي (مساجد ٦)، (صيام ٤٠)، (مناسك ٤)، وابن ماجه (إقامة ١٧٣ ـ ١٩٦)، (جنائز ٨)، (مناسك ٣، ٧)، والدارمي (مناسك ٧)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٦٨، ٢، ١٧٦، ٢٢٩، ٢٤٨، ٤١٠، ٤٨٤، ٤٩٤، ٢٦٣.

ومَن حقَّق النظر وجد حسناته هناك ذنوبًا بالنظر لذلك المحل الأكمل إذ لا يقدر غالب الخلق على القيام بآدابه.

فقلت له: فما محل التجريد عن الحسنات؟ فقال رضي الله عنه: هو بحسب المراتب ولا أظنه للعوام إلا بباب المعلاة. فقلت له: فالسيئات، قال رضي الله عنه: هو بحسب المراتب كذلك ولا أظنه للعوام إلا بجبل عرفات. فقلت له: فإذن يحتاج الداخل للحرم إلى آداب كثيرة. فقال رضي الله عنه: نعم، ويفنى العمر ولا يحيط بها لأنها آداب خاصة بحضرة الحق تعالى الخاصّة فجميع الأعمال سُلَّم لدخولها.

فقلت له: فما يكون اللباس والخلع الربانيّة الباطنة للحاج؟ فقال رضي الله عنه: يكون عند قبر محمد ﷺ وذلك ليُظهِر الحق تعالى كرمه وآثار نعمته على أمته بحضرته ﷺ.

فقلت له: فهل تكون خلع الأمداد الإلـٰهية لكل وارِد على قبر رسول الله ﷺ؟ فقال رضي الله عنه: ساحة الكرم واسعة ولكن المقت غالب على كل مَن ورد مكة أو المدينة وهو معجب بنفسه أو بعلمه أو بعمله أو بدينه فلا يراه وليّ إلا ويعرفه بالمقت نسأل الله العافية فإياك أن ترى نفسك أو إنك عملت المناسك على التمام والكمال دون غيرك كما يقع فيه غالب المتفقِّهين والله يتولى هداك.

فقلت له: فلِمَ حرِّم على الحاج صوم أيام التشريق[1]؟ فقال رضي الله عنه: لأن جميع الحجاج هناك في دار الضيافة ولا ينبغي لضيف أن يصوم عند صاحب المنزل إلا بإذنه والحق تعالى لم يأذن لهم إلا في الفطر بل ولو لم يحرِّم عليهم الصوم لكان الواجب عليهم أن يستغنموا الأكل في حضرته وهو ينظر.

فقلت له: فإذن دار الضيافة هناك على صورة دار الضيافة عند الكِرام من العباد. فقال رضي الله عنه: نعم، لا تكون دار الضيافة إلا عند باب دار الكريم الأول لا الثاني فإن العباد لمَّا أتوا الحق زائرين أوقفهم بالباب الأول الذي هو جبل عرفة يتضرّعون ويبتهلون في المسامحة فيما جنوه كما وقع لآدم عليه السلام حين جاء من أرض الهند فلما صحّ تضرّعهم وقبل ابتهالهم أوقفهم بالباب الثاني الذي هو المشعر الحرام بقرب المزدلفة[2] فلما طال تضرّعهم أمرهم بالنزول في مِنًى لتقريب القربان التي هي الباب

---

(١) أيام التشريق: ثلاثة أيام بعد يوم النحر.

(٢) المشعر الحرام: جبل في آخر المزدلفة. المزدلفة: موضع بين عرفات ومِنًى. قيل: سُمِّيت بذلك لاقتراب الناس من مِنًى بعد الإفاضة من عرفات.

الثالث فلمّا قرّبوها فكأنهم بذبحهم لها ذبحوا نفوسهم لأن القربان إنما شُرّعت نيابة عن ذبح نفوسهم رحمة بهم.

فقلت له: فلِمَ حرّم صوم أيام التشريق على غير الحاج كما قال به بعض الأئمة؟ فقال رضي الله عنه: إنما حرّم صومها على غير الحاج تبعًا للحاج بالأصالة وذلك لأن قلوب جميع الخلق في سائر أقطار الأرض تكون معلّقة بتلك الأماكن ويحبون أن يكونوا مثلهم هناك فكأنهم مثلهم هناك قال ﷺ: «المرء مَع مَن أحبه»[1] فافهم.

فقلت له: فما الحكمة في تعلّق غالب الناس بستار الكعبة؟ فقال رضي الله عنه: هو مثل تعلّق الرجل بثوب صاحبه إذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه وإنما قلنا غالب الناس لأن العارفين لا يفعلون ذلك لما فيه من رائحة قلّة الأدب مع الأكابر فكمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقام التوبة وكمل ذلك لذريّته أيضًا بحكم التبع وإنما قلنا كمال بحكم التوبة من أجل أن الندم وقع منه حين أكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مؤمن لا بدَّ من ندمه عقب المعصية أمر لازم والندم معظم أركان التوبة وما زاد عليه الندم إنما هو من التوابع واللوازم وقد ورد أن آدم لمّا حجَّ البيت قال: يا ربّ اغفر لي ولذريّتي، فقال الله عزَّ وجل: أما ذنبك يا آدم فقد غفرناه لك حين ندمت، وأما ذنوب بنيك فمَن آتاني لا يشرك بي شيئًا غفرت له ذنوبه والله أعلم.

فقلت له: فما وجه تعلّق البيع والشراء وسائر المعاملات بالأكل؟ فقال رضي الله عنه: وجهه أن الإنسان إذا أكل حجب فخاف وجار وظلم فشرع له البيع دفعًا للخوف والجور لأنه إذا أكل مال الناس بغير شراء شرهت نفسه وأظلم قلبه لأنه أكل مال الناس بالباطل وإذا أظلم قلبه امتنع من قرض المال للمحتاجين إلا بالرّبا وغصب الأموال واحتكر الطعام وأنكر الحقوق فأمر بإعطاء كل ذي حقٍّ حقّه على يد شهود عدول ليرجع إليهم عند التنازع الغالب على أهل الدنيا ووسع الشّارع على أمته بالسلم، والرهن، والعارية، والوديعة، والشركة، والوكالة، والشفعة، والحوالة، والضمان، والمصالحة ببعض الديون إذا عجز المديون عن الوفاء وبالمساقاة والقراض والإجارة واللقطة والجعالة كل ذلك ليتعاونوا على البرّ والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم

---

(١) أخرجه البخاري (أدب ٩٦)، ومسلم (البرّ ١٦٥)، والترمذي (زهد ٥٠)، (دعوات ٩٨) والدارمي (رقاق (٧)، وأحمد بن حنبل، ١، ٣٩٢، ٣، ١٠٤، ١١٠، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ٧٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٤، ٤، ١٠٧، ١٦٠، ٢٣٩، ٢٤٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥.

والعدوان الناشيء ذلك كله من حجاب الأكل ولذلك كان الملائكة كلهم أغنياء عن ذلك كله.

فقلت له: فما وجه تعلّق الهبة والهدايا بربع البيوع؟ فقال: وجه تعلّقها بها كونها من جملة شكر النعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهي نوع آخر خلاف الصدقة لأنها من مكارم الأخلاق وكذلك القول في بيان قسمة المواريث إنما شرعت لحجاب الخلق بالأكل فإنهم لمّا حجبوا أحبّ كلٌ منهم أن ينفرد بما خلفه مورثه لا يعطي وارثًا منه شيئًا فبيّن الشّارع لكل وارث نصيبًا مفروضًا دفعًا للخوف والنزاع بين الناس والله أعلم.

فقلت له: فما وجه تعلّق مشروعية النكاح وبيان حدوده وتوابعه بالأكل؟

فقال رضي الله عنه: وجهه أن شهوة النكاح ما نشأت إلا من الأكل فإن أكل حلالاً احتاج إلى نكاح حلال، وإن أكل حرامًا وقع في الزنا كما سيأتي في ربع الجراح والحدود فلولا الأكل ما كانت شهوة وكان الناس كالملائكة، وإنما أمر الشّارع به وقال: شراركم عزابكم ولم يكتفِ به بالوازع الطبيعي شفقة علينا وتشجيعًا ولنكون تحت أمر إلٰهي في كل شيء نفعله فنُثاب بذلك ويكثر نسلنا وذريتنا ليستغفروا لنا وتكون أعمالهم في صحائفنا ويستجيب الله تعالى لهم الدعاء لنا بالمغفرة والصفح والمسامحة عمّا جنيناه واقترفناه من السيئات وكان دفع شهوة الزنا والوقوع في نكاح المحارم الحاصل أكل الحرام والشبهات بحكم التبع، وأما الصداق، والعدل بين الزوجات فإنما شرع استجلابًا لميل الخواطر إلى إجابة سؤال الرجل نكاح المرأة وإذا مالت الخواطر إلى بعضها حصل وجود العمل وعدم الخوف والظلم الناشيء من حجاب الأكل وأما الخلع والإيلاء والظهار فسببه أيضًا الأكل لا سيما إذا شبع فإنه إذا شبع وبطر جاعت جوارحه فخاصم وفجر وكان من أقرب الناس إليه في ذلك زوجته فضاجرها وغايرها بالضرائر حتى سألت الطلاق فخلعها أو طلّقها ابتداء من غير سؤال منها أو بطر عليها فطلب أعلى منها وحلف أن لا يطأها وظاهر منها فإذا راقت نفسه من ذلك التكدير ربما طلب مراجعتها أو لم يطلب وكانت العدّة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح بفراق أو طلاق أو زوال فراش أو وجود ولد رضيع ذكر أو أُنثى فبيّن الشرع حدود ذلك لئلا يشحّ بحق المرضعة وكانت النفقات كذلك من توابع النكاح بعصمة أو فراق منع وجود حمل وأما نفقة الوالدين والأقارب والرقيق والبهائم فإنما أمرنا بها لغفلتنا عن تأدية حقوقهم للحجَاب الحاصل من أكل الحرام والشبهات فأنه لولا الحجاب ما احتجنا أن نؤمر بذلك لعظم حق الوالدين ولصلة الرحم ومن عطف عليهم فإنه سبب لإيجادنا وتحمّل همومنا وغمومنا وخدمتنا ليلاً ونهارًا في صحتنا وأيام مرضنا وحملنا ومتاعنا إلى بلاد لا نطيق المشي إليها بأنفسنا فضلاً

عن متاعنا وأثقالنا وقال تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ [البقرة: ٢٣٧] والله غفور رحيم.

فقلت له: فما وجه تعلّق مشروعية الحدود كلها بالأكل؟

فقال رضي الله عنه: وجهه ظاهر لا يحتاج إلى بيان فإن الإنسان إذا جاع ضعفت حركة جوارحه حتى أنك تكلمه فلا يردّ عليك جوابًا فإذا أكل الشهوات وشبع أو لم يشبع فسق وتعدّى الحدود فقتل النفس بغير حق وقطع العضو أو جرحه وسرق وقطع الطريق وشرب الخمر وزنا وقذف أعراض الناس وحلف بالله كاذبًا وصادقًا وبخل بالمال فلم يسمح به لأخيه المسلم إلا على وجه النذر إذا زالت عنه كربة شديدة كل ذلك لشدة محبته للمُحال وادّعى أيضًا الدعاوى الباطلة وتحمل الشهادات على غير علم والقضاء في أحكام الله بغير علم ولو أنه كان لا يأكل أو يأكل الحلال الصرف بقدر الحاجة ما وقع في شيء مما ذكر فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه الجرائم أن ينقادوا إلى الاقتصاص منهم لتُقام عليهم حدود الله المقدّرة في شرعه عليهم كل ذلك حفظًا لنظام هذه الدار من الفساد الحاصل من حجاب الأكل وإنما شرع في بعض الحدود كفّارة من عتق وطعام أو كسوة أو صوم لزيادة القبيح في ذلك الذنب.

فقلت له: فما وجه تعلّق عتق العبد وتدبيره وتحريم بيع أُمهات الأولاد بالأكل؟

فقال رضي الله عنه: وجه ذلك في الكتاب والتدبير شَرَه النفس من السيد وعبده وجهل العبد بكون الرقّ له أحسن من العتق وجهل السيد بأن عدم أخذ مال المكاتب أفضل وما جاءهما الشّره والجهل إلا من حجاب الأكل ووجه ذلك في تحريم بيع أُمهات الأولاد ونسيان السيد حقوقهنّ حيث كنّ فراشًا له واختلطت مياههنّ بمائه فكان عتقهنّ كفّارة لذلك النسيان وسبب ذلك حجاب الأكل والله أعلم.

فقلت له: فما وجه تعلّق مشروعية الإمام الأعظم وسائر نوابه من الأمراء والقضاة واتّباعهم بالأكل؟

فقال رضي الله عنه: وجهه ظاهر وهو أنه لولا الإمام الأعظم ونوابه ما نفذ شيء من الأحكام ولا أُقيم شيء من الحدود ولا قام لدين الإسلام شعار وأصل الإخلال بذلك كله حجاب الأكل فلولا الأكل ما تعدّينا حدود الله ولا احتجنا لنصب إمام ولا أحد من نوّابه وكنّا نعطي الحق الذي علينا لأربابه قبل المطالبة كما عليه طائفة الأولياء ولكن لمّا كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشي على هذا النمط احتاجوا لتولية أصحاب الشوكة ليحموا نفوسهم وأموالهم وعيالهم من الفَسَقَة والمتمرّدين وليخلص

الخراج لبيت مال المسلمين فلولا أصحاب الشوكة ما انتظم أمرنا ولا كان جهاد ولا جمع عساكر ولا بيت مال ينفق منه على العساكر وكانت تضيع مصالح الخلق أجمعين فالحمد لله ربّ العالمين.

(ياقوت): سألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه، عن أكل آدم عليه السلام من الشجرة هل نقص ذلك الأكل من مقامه أم لا؟

فقال رضي الله عنه: جمهور المحقّقين من العلماء والعارفين على أنه لم ينقص له عليه السلام مقام بذلك بل تزايد به فضله وكماله لأن الأنبياء عليهم السلام مقامهم دائمًا الترقّي فلا ينقلون قطُّ من حال إلا لأعلى منها حتى كان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يقول: لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة كلها لما حصل في الأكل منها من البركة إذ جميع حسنات بنيه التي اكتسبوها في هذه الدار له من الحسنات مثلها في عالم الأجسام كما أن لمحمد ﷺ مثلها في عالم الأرواح إذ هو أبو الأرواح عليه الصلاة والسلام وليس عليه من سيئاتهم شيء.

فقلت له: فما مراد أبي مدين بقوله: لأكلت الشجرة كلها؟ فقال رضي الله عنه: مراده لو قدر أني أجاب في تحويل جميع معاصي الوجود إليّ وحدي لسألته في ذلك وبلغت معاصي الوجود كلها في بطني وطهرت جميع بني آدم من تدنيسهم بالمخالفات.

فقلت له: هذه فترة لم يسمع بمثلها لأحد. فقال رضي الله عنه: نعم، وهي لكل كامل في سائر الأدوار. فقلت له: فهل هذا الحكم الذي تقدّم لبنيه من بعده بحكم الإرث أم ينقصون بالزلأت؟ فقال رضي الله عنه: حكم بنيه كلهم كذلك لأن الشأن الإلهي إذا وقع لا يرتفع إلى يوم القيامة لأنه بيّن ما وقع إلا فتحًا للباب الذي أراده الله في هذه الدار.

فقلت له: بشرط الندم وكثرة الاستغفار. فقال رضي الله عنه: ذلك متعيّن وإلا نقص مقامهم جزمًا لأنهم إذا أصرّوا عُدُّوا من إخوان الشياطين فعلم بذلك أن أحدًا من الخواص المؤمنين لا ينزل عن مقامه العلي بارتكابه زلّة من الزلأت خلاف ما يتبادر إلى الأذهان لا سيما صاحب الزلّة حين يرى رأسه صارت منُكسة بين الناس لا يقدر أن يرفعها في وجه أحد لما هو عليه من الخجل والانكسار والوحشة والذلّة والمسكنة لا بالزهو والعجب وشهود الكمال فإياك يا أخي أن تقنط من رحمة الله لك بزلّة من الزلأت حين تجد الإنس الذي كان في باطنك من أثر الطاعات زال وأعقبه الوحشة وانقطاع

الوصلة من الله فإنك على الأساس جلست أين التراب من ربّ الأرباب ومن كلام الحكم[١] لابن عطاء الله (معصية أورثت ذلاً وانكسارًا خير من طاعة أورثت عزًا واستكبارًا).

والاستكبار هنا: هو ما يخطر للطائع من كونه أحسن من فلان الفاسق فهناك يكون الفاسق أحسن حالاً منه فافهم وقد فتح آدم عليه السلام الباب في ظاهر الأمر لينبِّه بواقعته التي وقعت له في الجنة فإنه زفّ فيها كما تُزَفّ العروس والملائكة بين يديه صفوف كالخدم غاضّون أبصارهم حياء منه ونشرت عليه التحف والمشمومات كل ذلك بعد الظهر فلما جاء وقت العصر حتى أكل من الشجرة وتطايرت عنه وعن حوّاء عليهما السلام الحلل والتاج ونودي عليهما لا يجاورني مَن عصاني إلى آخر القصة وكان باطن ذلك كالآلة عند كل عارف ليذوق بذلك ألم الهجر فيعلم قدر الوصل ويعرف ربه من الطريقين فتكمل رجوليته وخلافته فإن صاحب الطريق الواحد ناقص أعور قانط وصاحب أدلال وعجب وتأمل اللبن الطيب كيف احتاج إلى الأنفخة المالحة المنتنة ولولا هي لتلف اللبن ولم يصلح للادّخار والمكث فافهم.

فقلت له: فإذن الكامل من ذريته مَن كانت حضرات جميع الأسماء تغرب وتشرق في جسمه وقلبه. فقال رضي الله عنه: نعم، لا يكمل الرجل حتى يكون فلكًا لجميع الحضرات وأطال في ذلك.

(ياقوت): رأيت في المنام قائلاً يقول لي اكتب هذا الكتاب الجامع لميزان الأعمال. فقلت له: نعم. فقال: ليس لعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل وإنما عليه أن يعطي ما أبرزناه على يديه حقه فإن كان طاعة حمدنا عليها واستغفرنا من تقصيره فيها وإن كان معصية حمدنا على تقديرها عليه واستغفرنا من ارتكابه لمخالفة أمرنا وإن كان غفلة وسهوًا فعلى ما هو اللائق بمقامه وقد قرّبنا لك طريق الأدب معنا في كل ما نجريه على يديك، اهـ.

---

(١) كتاب «الحكم العطائية» للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي المتوفّى بالقاهرة سنة تسع وسبعمائة. وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة ولمّا صنّفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له: لقد أتيت يا بني في هذه الكرّاسة بمقاصد الأحياء وزيادة ولذلك تعشّقها أرباب الذوق لما رقّ لهم من معانيها وراق ويسطوا القول فيها وشرحوها كثيرًا. كشف الظنون ٦٧٥ ـ ٦٧٦، والأعلام ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٣.

وإذًا أخي أفضل الدين رضي الله عنه يقول لي: قم فاكتب هذا الهاتف العظيم قبل أن تنساه فاستيقظت وكتبته وكتبه جماعة كثيرة من الفقهاء لأنه ميزان لجمع ما عملوه من الأحكام لا يخرج عنه ميزان حكم واحد من فهم هذا الهاتف وتحقّق به ذوقًا استراح من منازعة الأقدار المستقبلة من فعل أو ترك لأن العبد لا يقدر على ما يريد الحق بقدره عليه كما مرّ وإنما عليه أن يكون بوّاب جوارحه فقط فكل عمل برز منها من محمود أو مذموم يعطيه حقه الذي جعله الشّارع له وأما لم يبرز فلا حكم له ولا ميزان لعدم ظهور صورته في الوجود فإن لم تعلم يا أخي أن الشرع في الفعل البارز فانظر قلبك فإن رأيته يخفق عند فعله فاعلم أنه مذموم، وإن رأيته مطمئنًا ساكنًا فاعلم أنه محمود وهذه ميزات لا تخطىء وذلك لأن عكوف القلب دائمًا على حضرة الله فإذا جاءه مَن يُخرجه منها اضطرب لذلك فتأمل. قلت: وربما يفهم أحد من هذا الهاتف أن فيه تعطيلاً لفعل الأمور التي هي وسائل لفعل أمور أخرى مستقبلة كالمشاورة والاستخارة ويقول أيّ فائدة للاستخارة أو المشاورة فإن ما قدّره الله كائن لا محالة وما هو كائن لا يحتاج العبد فيه إلى استخارة ولا إلى مشورة فنقول لمَن فهم هذا الهاتف على غير وجهه: اعلم يا أخي أن وهمك على غير حقيقة لأن نفس الاستخارة أو المشورة مأمور بها شرعًا فميزانها ميزان الأفعال غير البارزة أو البارزة على يدينا سواء مَن ترك وأخذ وقد ندب الشرع إليها فإن وقعا فاحمد الله على فعلك وإن لم يقعا فاستغفر الله تعالى من مخالفة أمره واحمده على عدم الوقوع لتلك الطاعة فإنه أعلم بمصالحك من نفسك والله تعالى أعلم.

(ماس): قلت لشيخنا رضي الله عنه: كيف شقي إبليس والله تعالى وصفه بأنه يخاف الله ربّ العالمين وبقوله الذي يوسوس له وكفر إني بريء منك ومَن يخاف الله تعالى موحّد بلا شك ومَن يتبرأ ممّن كفر مؤمن بلا شك؟ فقال رضي الله عنه: هذه حكاية الله تعالى عنه في ذلك الوقت ولا يلزم من قوله ذلك أن يكون معتقدًا له في الباطن كما هو شأن المنافقين وبتقدير أن يكون معتقدًا للإيمان في ذلك الوقت فلا يلزم استصحابه ثم ما يدريك يا أخي لعله يموت مشركًا لشبهة طرأت عليه في نظره إذ هو أول مَن سنّ الكفر والشّرك في العالم فأوزار جميع أهل النار عليه منها نظيرها ولم يزل الخلاف بين العلماء في إبليس هل يصلح أن يسلم أم لا ومبنى الخلاف على ضبط قوله ﷺ: «فأعانني الله عليه فأسلم»[1] فإن منهم مَن ضبط أسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه ومنهم مَن ضبطه بفتح الميم والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (منافقين ٦٩ ـ ٧٠) والترمذي (رضاع ١٧)، والنسائي (نساء ٤)، والدارمي (رقاق ٢٥ ـ ٦٦) وأحمد بن حنبل ١، ٢٥٧، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٦٠، ٣، ٣٠٩.

(زبرجد): سألت شيخنا رضي الله عنه، هل ثَمّ أحد غير الثقلين يلحقه شقاء من الملك، والحيوان، والنبات، والمعدن أم كلهم سعداء عند الله عزّ وجل؟ فقال رضي الله عنه: ما عدا الثقلين كله سعيد عند الله تعالى لا حظّ له في الشقاء. فقلت له: فما سبب ذلك؟ فقال رضي الله عنه: لأنهم خلقوا على مقامات لا يتعدُّونها ولا ينزلون عنها والشقاء ما جاء إلا لمَن شأنه الترقّي فدعى إليه فلم يجب.

فقلت له: فهل اسم السلوك خاص بالعلو أم يكون فيه وفي السفل؟ فقال رضي الله عنه: يكون فيهما فيسلك علوًّا بإجابة الدعوة المشروعة وسفلاً بإجابة الأمر الإرادي المجرّد عن الأمر فمنهم شقي وسعيد. فقلت له: فهل يتمكّن لمخلوق أن يكون له علم بمقامه وما ينتهي إليه؟ فقال رضي الله عنه: لا، وذلك لأن كل ما سوى الله ممكن ومن شأن الممكن أن لا يقبل مقامًا معينًا لذاته وإنما ذلك لمرجحه بحسب ما سبق في علمه إذ المعلوم هو الذي أعطاه العلم به ولا يعلم هو أيّ العلوم يصير إليه فغاية معرفة الكون أن يدرك مقامه الذي هو فيه لا نهايته ومن هنا خافت الأكابر.

فقلت له: فإذن اسم الترقّي لنا ابتلاء ومحنة لا شرف. فقال رضي الله عنه: نعم، والأمر كذلك إذ لو كان شرفًا ما شقي أحد من الثقلين وكانوا كلهم سعداء والمرتبة الإلٰهية تطلب لذاتها أن يكون في العالم بلاء وعافية والله أعلم.

(ياقوت): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: مَن شهد أن ناصيته بيد الحق تعالى لم يتصوّر منه قطُ تكبّر لأن الأخذ بالناصية عند العرب إذلال.

فقلت له: فإذن العبد في حال عدم شهوده إن ناصيته بيد الحق يطرقه الكبر ضرورة. فقال رضي الله عنه: نعم، ما عصم أحد من التكبّر ابتداء إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أما أُممهم فلا لأن الله تعالى قد شاء أن يتخذ بعضهم بعضًا سخريًا ولكن إذا اعتنى الحق تعالى بعبده رزقه في الحالة الثانية التوفيق والعناية فيلزم ما خلق له من العبادة ويلتحق بسائر المخلوقات الذين لا يعرفون للكبر طعمًا والله تعالى أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: لا يصدر عن القدُّوس إلا مقدس. فقلت له: فمن أين جاءت النجاسة للمشرك؟ فقال رضي الله عنه: عرضت له بالشرك، وأما حين صدوره عن التكوين فكان مولودًا على الفطرة.

فقلت له: فما أعظم النجاسات للعبد؟ فقال رضي الله عنه: الشرك ثَمّ محبة الدنيا. فقلت له: لِمَ قلتم إن الشرك عارض؟ فقال رضي الله عنه: لأنه لا أصل له في الحقائق المثبوتة إذ ليس لله تعالى شريك في الوجود.

وسمعته رضي الله عنه يقول: إياك أن تسأل وعندك قوت يومك فإنه فضول لكن إن جاءك قوت سنتك كلها بلا سؤال فخذ ولا حرج والله تعالى أعلم.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه عن معنى قول عيسى عليه السلام للحواريين[1]: قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء. فقال رضي الله عنه: بلغنا عن الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أنه قال لنا: قال عيسى عليه السلام ذلك لأصحابه ليحثهم على الصدقة وقد ورد أن الصدقة تقع بيد الرحمٰن، والرحمٰن على العرش استوى وفي القرآن ﴿**أأمنتم مَن في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ [الملك: ١٦] يعني يخسف بكم إذا غضب عليكم فاحذروا طرق الغضب وفي الحديث أيضًا والصدقة تطفىء غضب الرب.

ثم قال رضي الله عنه: فانظروا ما أعجب عيسى عليه السلام وما أدقّه وما أحلاه ولمّا علم السامري هذا المعنى الذي قاله عيسى من أن حبّ المال ملصق بالقلب صاغ لهم العجل بمرأى منهم من حليّهم لعلمه أن قلوبهم تابعة لأموالهم فسارعوا إلى عبادة العجل حين دعاهم إلى ذلك ولو كان العجل من حجر لما سارعوا فافهم.

فقلت له: فإذن خطاب عيسى عليه السلام إنما هو للمؤمن الذي هو في حجاب عن شهود الملك لله تعالى في المال أما العارف فإنه لا قلب له يميل إلى المال. فقال رضي الله عنه: نعم، هو خطاب لمَن هو في الحجاب المذكور. فقلت له: فإذا كان العارف لا يرى له ملكًا مع الله فكيف أوجب الله عليه إخراج الزكاة مما في يده والوجوب لا يكون إلا فرعًا عن شهود الملك. فقال رضي الله عنه: العارف واسع ففيه جزء يدعى الملك وفيه أجزاء لا تدعى وإن شئت قل كل العارف يدّعي الملك فهو من حيث لا يدّعي الملك يرى المال تحت يده على طريق الاستخلاف عليه ليعطي منه عباد الله ما احتاجوا إليه فحكمه كحكم الوصي في مال محجوره يخرج منه الزكاة وليس له في المال شيء وهو من حيث ادعاؤهم الملك مصيب لأن الحق جعله مالكًا للإنفاق كما قال تعالى: ﴿**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ [الحديد: ٧]، وقال ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام»[2]، وقال تعالى: ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ [التغابن: ١٥]،

---

(١) الحواريون: أنصار عيسى عليه السلام.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ٣١٣ ـ ٤٨٥، ٤/ ٨٦، ٣٠٦، ٥/ ٣٠، ٣٧، ٤١٢)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٣/ ٢١٥، ٥/ ٨، ٢٧٤)، والطبراني في (المعجم الكبير ٥/ ٣١٦، ٧١٦)، وابن خزيمة في (الصحيح ٢٨٠٩)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢، ٧/ ٢٩٥)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٤/ ٣٤٣)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٧ ـ ٨)، والألباني=

فأضاف الأموال إلى عباده فلما كان المنفق أقرب شيء إلى الأموال جعل الثواب له من حيث تصريفه فيه لا من حيث ملكه له دون الله وفي كتاب المنهاج ولا يملك العبد بتمليك سيده في الأظهر فتأمل يا أخي في تقريرنا المذكور فعلم أنه لولا محبة العبد للمال ما أوجب الله عليه زكاة فكان حكم إخراجها حكم مَن رزىء في محبوبه فصبر على فقده فحصل له بذلك الثواب والأجر هذا أصل فرضية الزكاة والعارفون إنما هم أفراد قليلون فاعلم ذلك.

(جوهر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: الزهد حقيقة إنما هو في الميل إلى ما في المال لا في المال نفسه لأن النفس إنما تميل إلى المال لما فيه من قضاء أوطارها وشهواتها لا لذاته إذ هو حجر إذ لو كان الزهد في المال حقيقة لعينه ما سمّي مالاً كما لا يسمى التراب والزبل مالاً لعدم ميل النفوس إليه، وكذلك نقول لو كان الزهد حقيقة في عين المال لنهينا عن إمساكه باليد، وكذلك نقول لو كان الزهد حقيقة في عين المال لكان الزهد في الآخرة كذلك مطلوبًا وكان أتمّ مقامًا من الزهد في الدنيا وليس الأمر كذلك فلولا الحجاب الذي في محبة المال ما طلب منّا الزهد فيه بخلاف الجنة لا حجاب فيها لعدم التكليف فإن الله تعالى قد وعد بتضعيف الجزاء في الآخرة حتى جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فلو كان القليل حجابًا لكان الكثير منه أعظم فكان يفوت من الآخرة أعظم ما فيها من النعيم ولا نعيم فيها ألذّ ولا أعظم من الرؤية والمشاهدة.

فقلت له: فإذن كثرة الأموال في الدنيا لا تحجب العارفين عن ربهم فقال رضي الله عنه: نعم، ولولا عدم حجابها ما قال سليمان عليه السلام هَبْ لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي ولو كان فيه حجاب لم يسأل وكيف يسأل الأنبياء ما يحجبهم عن الله تعالى ولهذا الذي قرّرناه من عدم الحجاب للعارفين تمّم الله تعالى على سليمان النعمة بدار التكليف بقوله تعالى: ﴿**هذا عطاؤنا فامن أو أمسك بغير حساب**﴾ [صَ: ٣٩] فرفع عنه الحرج والتصرف باسميه المانع والمعطي واختصّه بجنة معجّلة في الدنيا فكذا العارف يجمع بين هاتين الجنتين والله أعلم.

(مرجان): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله: ﴿**وكلو واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾ [البقرة: ١٨٧] لِمَ خصَّ الله تعالى هذين اللونين

= في (إرواء الغليل ١/١٤٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٢٣٠٤ ـ ١٢٩٣٠)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٢/١/١٣٢).

دون غيرهما؟ فقال رضي الله عنه: إنما خصَّهما بالذكر لأنهم أصل الألوان كلها وما زاد عليها فهو برزخ بينهما يتولَّد من امتزاج البياض والسواد فتظهر الغبرة والكدرة والحمرة والخضرة إلى غير ذلك فما قرب من البياض كان كمية البياض فيه أكبر من السواد وعكسه.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه عن التجلّي في الليل؟ فقال رضي الله عنه: يتجلى الحق في الثلث الأول للأبصار، وفي الثلث الأوسط للأجسام الشفَّافة، وفي الثلث الآخر يتجلَّى للأجسام الكثيفة وأهل الله تعالى يعرفون أدب كل ثلث وما ينبغي أن يفعل العبد فيه ولولا هذا التجلّي ما صحَّت معرفته تعالى لأحد من الخلق فاعلم ذلك فإنه من علم الأسرار.

(زبرجدة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «أفضل الأعمال الصلاة لأول وقتها»[1] ما أوله؟ فقال رضي الله عنه: هو بلسان الظاهر معلوم وأما بلسان الستر فهو من عزم بقلبه أنه لو كان موجودًا من أول افتتاح الوجود إلى الآن لكان مصليًا فهذا أول الوقت.

وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: أيضًا أوله من حيث أوَّليَّة أبينا آدم لأنه لو بدأ كنا في ظهره حين كلِّف عليه السلام فهذا هو المصلّي حقيقة لأول الوقت فنستحبّ عبادة هذا المصلّي وأجْرها من هناك إلى وقت وجود هذا المصلّي وتكليفه فمَن كان هذا مشهده هذا الوقت مع صلاته أول الوقت شرعًا لقد حاز الخير بكلتا يديه فينبغي لكل مُصَلٍّ أن يتفطن لهذا السر وينويه عند نيّته في الصلاة ولا يخلّ به والله أعلم.

(فيروزجة): سألت شيخنا فأيما أكمل في النشأة الدنيا أم الآخرة؟ فقال: الدنيا.

فقلت له: كيف؟ فقال رضي الله عنه: لأن الدنيا دار تمييز وأخلاط، والآخرة دار تمييز فقط فتميز السعداء من الأشقياء فكل ما في الآخرة هو في الدنيا بلا شك ولكن لمَّا كانت دار حجاب فمنَّا مَن كشف له عن ذلك فعرفه ومنَّا مَن لم يكشف له فجهله.

فقلت له: فكيف صحّ للأكابر ذمّ الدنيا مع هذا الكمال؟ فقال رضي الله عنه: لم يقع الذمّ للدنيا من الأكابر وإنما وقع من بعض العبّاد والزهَّاد الذين لم يسلكوا على يد الأشياخ وإن وقع من أحد من الأكابر ذمّها فإنما هو تبع للشَّارع في قوله الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلّم فما ذمّ عليه الصلاة والسلام الدنيا

---

(١) أخرجه التبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٧).

لذاتها وإنما هو لما فيها من الشرور والأنكاد والحجّاب عن الله عزّ وجل وعلى هذا يحمل قول بعض العارفين.

وسمعته كثيرًا يقول: مَن ذمّ عين الدنيا فقد عقّ أمه فجميع الأنكاد والشرور التي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها وإنما هو فعل أولادها لأن الشرّ فعل المكلّف لا فعل الدنيا فهي مطية للعبد عليها يبلغ الخير وبها يبلغ الشرّ وهي تحب أن لا يشقى أحد من أولادها لكثرة حنوّها عليهم وتخاف أن تأخذهم الضرّة الأولى على غير أُهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم، ومن عقوق أولادها أنهم ينسبون جميع أفعال الخير إلى الآخرة ويقولون أعمال أولاد الآخرة وأعمال الآخرة والحال أنهما ما عملوا تلك الأعمال الصالحة إلا في الدنيا فللدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها فما أنصف مَن ذمّها بل هو جاهل بحق أُمه ومَن كان كذلك فهو بحق الحديث إذا قال العبد: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه عزّ وجلّ والله تعالى أعلم.

(ياقوتة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الحاكم هل هو محكوم عليه بما حكم به؟ فقال رضي الله عنه: نعم، كل حاكم محكوم عليه بما حكم به وفيه كان الحكم إذ هو تابع لعين المسألة التي يحكم فيها بما يقتضيه ذاتها فالمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بذلك وما يعلمها إلا العالمون.

(بلخشة): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن قوله ﷺ: «خالفوا أهل الكتاب»[1] هل الأمر بالمخالفة عامّ في سائر أعمالهم أم خاصّ؟ فقال رضي الله عنه: هو خاص ومعناه خالفوهم في كونهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه وأرادوا أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً فما أمرنا ﷺ بمخالفتهم إلا في أمور من الأحكام معينة وإلا فلو كان المراد مخالفتنا لهم على الإطلاق لكنّا مأمورين بخلاف أمرنا به من الإيمان الذي آمنوا به.

فقلت له: فمَن أهل الكتاب؟ فقال رضي الله عنه: هم الكافرون لا المشركون.

فقلت: كيف؟ قال رضي الله عنه: لأن الشرك لم يأتِ به كتاب فكل مشرك كافر ولا عكس أما شركه فمعلوم لجعله مع الله إلـٰهًا آخر وأما كفره فله أن يأخذ به الحق في هذا الإلـٰه الذي اتخذه أو لكفره بتوابع التوحيد كالرسالة وجحد ما جاءت به أو ستره الحق مع العلم عن قومه ورعيته كقيصر والمقوقس وأضرابهما والله أعلم.

---

(١) أخرجه الألباني في (السلسلة الصحيحة ٣/٢٤٩).

(زمرّدة): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «بعثت لأتِمّ مكارم الأخلاق»[1]؟ فقال رضي الله عنه: معناه أنه لم يبقَ بعد بعثة رسول الله ﷺ سفاف أخلاق أبدًا فإنه ﷺ قد أبان بشريعته مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وغيرها فمَن أجراها على تلك المصارف فقد أخرجها عن السفساف وصيّرها كلها مكارم أخلاق وأزال عنها اسم الذم قال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ [الإسراء: ٢٣]، ومدح إبراهيم بقوله أُفٍّ لكم وقال ﷺ: «لمَن ركع دون الصف: «زادك الله حرصًا ولا تعد»[2]، وقال: «لا حسد إلا في اثنتين»[3] وغير ذلك من الآيات والأخبار فعلم أن الله تعالى ما أمر باجتناب بعض الأخلاق إلا لمَن يصرفها مصارفها وجعلها سفسافًا محضًا والسلام.

(جوهرة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن الخلاص من محبة غير الله متى يصحّ؟ قال رضي الله عنه: إذا أحبَّ الأمور بتحبيب الله تعالى لا بتحبيب الطبع فإن مَن قاده طمع أو حذر أو غيرهما من الأغراض فما ذاق لهذا المقام طعمًا وهو محجوب في جميع ما يتقلّب فيه من أمور الدنيا عن الله عزَّ وجل.

---

(١) أخرجه القاضي عياض في (الشفا ١/ ٢٠٧)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٥٨)، ومالك في (الموطأ٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ١٩٩)، وأبو داود في (السنن ٦٨٣)، والنسائي في (السنن ٢/ ١١٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٩ ـ ٤٢ ـ ٤٦ ـ ٥٠)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٩٠، ٣/ ١٠٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/ ٧٦)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ١/ ٢٨٤)، وابن عبد البر في (التمهيد ١/ ٢٦٨)، وابن الجارود في (المنتقى ٣١٨)، والألباني في (إرواء الغليل ٢/ ٢٦٤)، وابن حجر في (فتح الباري ٢/ ١١٩ ـ ٢٦٧)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١١١٠)، وعبد الرزاق في (المصنف ٣٣٧٦ ـ ٣٣٧٨)، والبغوي في (شرح السُنّة ٣/ ٣٧٧)، وأبو حنيفة في (جامع مسانيده ٤٢٧)، والطبراني في (المعجم الصغير ٢/ ٩٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٠١٨ ـ ٢٠٧٠١ ـ ٢٣٠٢٢ ـ ٢٣٠٢٣ ـ ٣٧١٧٣)، والعقيلي في (الضعفاء ٢/ ١١٨)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٥٣١)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ٢٣٠).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٣٨٥ ـ ٤٣٢، ٢/ ٣٦ ـ ٨٨ ـ ١٥٢ ـ ٤٥٩)، والدارمي في (السنن ٣٥٣ ـ ٤٢٣)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/ ٢٥٦، ٣/ ١٠٨)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٠/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٦١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٠٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٦٠٥٠ ـ ٢٣٣٩ ـ ٢٣٤٠) وابن حجر في (المطالب العالية ٣٥٠٤)، والطحاوي في (مشكل الآثار ١/ ١٩١)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ١٦٥، ٢/ ٣٣١، ٩/ ٧٣)، والشجري في (الأمالي ١/ ٨٤)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٧)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٢، ٣/ ١٨٧، ٤/ ٣٤١)، وعبد الرزاق في (المصنف ٥٩٧٤)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٧/ ٨٥)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ١/ ٢٩٦).

(ياقوت): قلت لشيخنا رضي الله عنه، مَن أكمل الأولياء وأكثرهم مدادًا في نفسه وأقلّهم استدراجًا؟ فقال رضي الله عنه: أكمل الأولياء مَن دخل الدنيا وعمل فيها بالأعمال الصالحة ولم يشعر بكمال نفسه ولا شعر به أحد من الخلق حتى يخرج من الدنيا وأجْره وافر لم ينقص منه ذرَّة.

فقلت له: وله ينقص الولي بمعرفة الناس بكماله؟ فقال رضي الله عنه: نعم، أما سمعت قوله ﷺ: «خصَّ بالبلاء مَن عرفه الناس»[1] فلا يزال الودّ يقوم له في قلوب المعتقدين إلى أن يستوفي جزاء أعماله الصالحة كلها لأن الودّ والمحبة ما قاما في باطن الخلق إلا من ظهور كماله لهم فأحسن أحوال مَن ظهر كماله للخلق أن يخرج من الدنيا مفلسًا بالأعمال الصالحة سواء بسواء والسلام.

فقلت له: فهل يدخل الفتوح الإلهي مكر واستدراج؟ فقال رضي الله عنه: نعم، يدخله المكر والاستدراج ولذلك ذكر الله تعالى الفتح في القرآن على نوعين بركات وعذاب حتى لا يفرح العاقل بالفتح، قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى في حق قوم آخرين: ﴿فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد﴾ [المؤمنون: ٧٧] وتأمل قول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما حجبتهم العادة قيل لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها. فقلت له: فما علامات فتح الخير وفتح الشر؟ فقال رضي الله عنه: كل فتح أعطاك أدبًا ترقيًا وذلّ نفس فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح أعطاك أحوالاً وكشفًا وإقبالاً من الخلق فاحذر منه فإنه نتيجة عجلت في غير موطنها فتنقاد إلى الآخرة صفر اليدين مع إساءتك في الأدب إذا طلبت ذلك فإن كل مَن طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله في هذه الدار فقد عامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقته.

فقلت له: فإذا حفظ الله العبد استقام في عبوديته وعجّل له الحق تعالى نتيجة ما أو كرامة فهل من الأدب قبولها أو ردّها؟ فقال رضي الله عنه: الأدب قبولها إن كانت مطهرة من شوائب الحظوظ النفسانية. فقلت له: فهل عند أصحاب الأحوال التفات وميل إلى ما يقع على أيديهم من الكرامات فإنّا نراهم غافلين عمّا الناس فيه؟ فقال رضي الله عنه: ليس عند أرباب الأحوال ميل إلى شيء من ذخائر الكونين لاشتغال قلوبهم بالحق عن كل شيء حتى عن تدبير أبدانهم فالحَرّ والبرد عندهم سواء.

---

(١) أخرجه السيوطي الجلي في (الدرر المنثرة في الأحاديث المشتهرة ٧٧).

فقلت له: فهل هم أكمل ممَّن أدرك الأمور وفرَّق بينها؟ فقال رضي الله عنه: لا أكمل ممَّن قابل جميع العوالم بما يناسبها وأعطى كل ذي حق حقه وأخذ جميع الأشياء بالحق وردّها إلى الحق بالحق.

فقلت: هذا مشهد نفيس. فقال رضي الله عنه: ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء.

(زبرجدة): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن معنى قوله تعالى: ﴿**وقد خلقتك من قبل ولم تكُ شيئًا**﴾ [مريم: ٩]؟ فقال رضي الله عنه: أراد الحق تعالى أن ينبّه زكريا عليه السلام على أن عبودية العبد لله في حالة عدمه أمكن في حال وجوده لما في العدم من التسليم الكلّي الذي لا يشوبه اعتراض ولا دعوى سيادة على شيء من العالم بخلاف حال العبد بعد وجوده واستحكام نظره ورأيه وادّعائه أنه أشفق على نفسه من غيره. فقلت له: فإذن أشرف حالات العبيد رجوعهم بعد خروجهم إلى صفتهم في العدم، فقال رضي الله عنه: نعم، ومن هنا قال عمر رضي الله عنه: ليت أُم عمر لم تلدني وذلك حين رأى نفسه ترجح بعض الوقائع على بعض بغير ترجيح من الشّارع فافهم.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن ترتيب الأوراد الغير المشروعة على لسان الشّارع كطريقة الشيخ شهاب الدين البوني وأصحابه هل هي محمودة أو مذمومة؟ فقال رضي الله عنه: الأعمال بالنيّات. ثم قال رضي الله عنه: كان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول وعزّة ربي هؤلاء الذين يختلون ويتريضون من أصحاب علم الحرف أسوأ حالاً من عبّاد الأوثان لاتخاذهم القُرُبات إلى الله وسيلة إلى تحصيل أمور الدنيا من الجاه والنصر وانقياد الخلق لهم وغير ذلك فإن عباد الأوثان قد أخبر الله عنهم أنهم ما اتخذوا إلا قربة إلى الله تعالى لا إلى الدنيا فافهم، وكيف ينبغي استعمال هذه الحروف المشرّفة التي جعلها الله الحق تعالى مبنى كتابه وكلامه بين أظهرنا في تحصيل أشياء خسيسة لم يطلبها عبّاد الأوثان.

فقلت له: فما تقولون في ترتيب الأوراد المشروعة وأخذ العهد على المريدين أن يوفوا بها؟ فقال رضي الله عنه: هو مما نكرهه ولا نفعله. فقلت: لِمَ ذلك؟ فقال رضي الله عنه: لا يأمن صاحب المعاهدة من عدم الوفاء والخيانة فيه فيقع في كفّة الخسران ولذلك قال تعالى في حق مَن بايع محمدًا ﷺ من النساء: ﴿**فبايعهنّ واستغفر لهنّ الله**﴾ [الممتحنة: ١٢] فعقّب ذلك بالاستغفار لأن ذلك ليس في يدهنّ، فافهم.

ثم إذا واظب العبد على الأوراد ذهب تأثيرها في القلب المراد للشّارع ويبقى يقرؤها بحكم العادة والغفلة وقلبه في محل آخر بخلاف ما إذا لم يتقيد بورد وصار يذكر

الله تعالى متى وجد إلى ذلك سبيلاً في أيّ وقت كان فإنه يجد في قلبه حلاوة وتوجّهًا صادقًا وإقبالاً به على الله تعالى أعظم من المواظب على الأوراد[1] ليلاً ونهارًا. فقلت له: إن الصوفية يخبرون أنهم يجدون في حبس نفوسهم على الذكر والخلوة تأثيرًا عظيمًا.

فقال رضي الله عنه: حكم جميع ما يحصّلونه من ذلك بالتفعّل حكم الرطب المعمول يتغيّر عن قرب ويتلف ولا يقيم فيذّخر فحكم مَن يفعل بجماعته ذلك حكم مَن يريد أن يجعل شجرة أُم غيلان تفاحًا. فقلت له: فيما ذا يخرج للعبد في ذكره عن الملل؟ فقال رضي الله عنه: إذ ذكر الله تعالى امتثالاً لأمره فقط لا سلمًا لحصول شيء دنيوي أو أُخروي والله غني حميد.

(فيرزوجة): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن قول بعضهم ليس في الإمكان أبدع مما كان فإن الناس قد اختلفوا في الأجوبة عنه وما منهم جواب مخلص من الإشكال. فقال رضي الله عنه: الأمر واضح كالنار على علم.

فقلت له: ما هو؟ فقال رضي الله عنه: ما ثَمَّ في الوجود إلا رتبتان: الحق تعالى في الرتبة الأولى: وهو القدم، والعالم كله في الرتبة الثانية: الإمكانية والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، هل يخرج من مقام العبودية مَن استرقّه الكون بحكم مشروع كالسعي في مصالح العباد والشكر لأحد من المخلوقين على نعمة أسداها إليه؟ فقال رضي الله عنه: لا يخرج العبد شيء من ذلك عن مقام العبودية ما دام لم يقف مع الوسائط لأنه في أداء واجب أوجبه الحق عليه ومَن تعبّد لمخلوق عن أمر الله لا يقدح ذلك في عبوديته لا سيما إذا وقع ذلك من أصحاب الأنفس الطاهرة والأخلاق اللطيفة الذين يؤثّر فيهم الجميل وينبعثون بالطبع والمروءة إلى توفية الناس حقوقهم ومكافأتهم على إحسانهم فضلاً عن أن يأمرهم الحق تعالى بذلك وفي الحديث «لا يشكر الله مَن لا يشكر الناس»[2] والله أعلم.

---

(١) الأوراد: (ج) وِرد: النصيب من القرآن أو الذكر.

(٢) أخرجه أبو داود في(السنن ٤٨١١)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/٢٠٣ ـ ٣٨٨ ـ ٣٩٥ ـ ٤٦١ ـ ٢٧٥ ـ ٢١٢)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٦/١٨٢)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/١٦٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/ ١٨٠ ـ ١٨١)، والبغوي في (شرح السُّنَّة ١٣/١٨٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتّقين ٤/١٥٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٦٤٨٥)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/٧٧)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٠٧٠)، وأبو حنيفة في (جامع مسانيده ١/١٠٩)، وفي (المسند ١٦٣)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٨/٣٨٩، ٩/٢٢)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٩١)، والبخاري في (الأدب المفرد ٢١٨)، والعجلوني في (كشف الخفاء=

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] ما المراد بمحبة العباد لربهم سبحانه وتعالى، مع أن الحق لا مجانسة بينه وبين عبيده؟ فقال رضي الله عنه: المراد بمحبتهم لربهم محبتهم لإحسانه عليهم فإن محبتهم له عينًا لا تصحّ لجهلهم به ولذلك كان ﷺ يقول: «حبّوا الله عزّ وجل لما يغذوكم به من نعمة»[1] لأنه ﷺ لمّا علم جهل العباد بربهم وعجزهم عن التخلّق بمحبته عينًا أحالهم على أمر ظاهر لا يخفى على عبد وجهه وهو النِّعَم السابغة.

فقلت له: فمَن اتّصف بمحبة الله من المقرّبين وصار الحق تعالى سمعه وبصره ويده ورِجله كما ورد فهل يصحّ له محبة الله عينًا لأن الحق تعالى صار عين قواه حينئذ؟ فقال رضي الله عنه: لا يصحّ له ذلك.

قلت: ولو فني العبد بالكليّة؟ فقال رضي الله عنه: إذا فني بالكلية صار واحدًا وإذا صار واحدًا فمَن يحب والمحبة لا تكون إلا بين اثنين هذا لو تصوّر فناه إلى محل صدوره وهو لم يفن فإن الحق تعالى أثبته بالهاء معه في قوله سمعه وبصره ويده ورِجله ولكن مَن نظر إلى هذا المحبوب من حيث قواه قال: إنه روح، ومَن نظر إليه من حيث صورته قال: إنه عبده فما تخلّص لأحد الطرفين في الشهود مع أنه متخلّص في الوجود لأن عين العبد باقية ولكن الصفات لغيره.

فقلت له: فهل لمَن ادّعى أن الحق تعالى أحبّه وصار جميع قواه علامة يمتحن بها؟ فقال رضي الله عنه: نعم، له علامة وذلك أنه لا يرجع بعد هذا الفناء إلى حال يثبت له صفة محققة هي غير صفة الحق أبدًا ولا يتّصف عند نفسه بشهود ولا كسف ولا رؤية مع كونه يشهد ويكشف ويرى ومن علامته أنه يرى الحق بالحق لا بنفسه ومن أنه يصير كل واحد من قواه يفعل ما تفعل أخواتها فيسمع مثلاً بما به رأى بما به تكلم بما به شمّ بما به طعم وبالعكس كأهل الجنة. فقلت له: فهل يجب علينا ستر الأسرار الإلٰهية عن الناس أم يُباح لنا كشفها مع بيانها للناس بمعانٍ صحيحة ويكون ذلك أولى لما فيه من الفائدة.

فقال رضي الله عنه: الواجب على كل عاقل ستر السر الإلٰهي الذي لو كشف أدّى السامع إلى عدم احترام الجناب الإلٰهي الأعزّ الأحمى لأن الجاهل إذا سمع نحو قوله تعالى: «كنت سمعه وبصره» الحديث، أو نحو قوله: «مرضت فلم تعدني»[2] ربما أدّاه

= ٢/٥٢٦)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ٤١٧).

(١) أخرجه الترمذي (مناقب ٣١).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٤٠٤).

إلى فهم محظور من حلول أو تجسم أو نحو ذلك وليس في قدرتك أن ترقى كل جاهل إلى مراقي العلماء بالله تعالى ولذلك ستر العالمون جميع ما تعطف الله به على قلوب أوليائه بالتأويل ورأوه أولى للخلق من عدمه وإن كان العارفون قد استغنوا عن التأويل وقد فتح الحق تعالى باب التأويل لعباده بتأويله حديث «مرضت فلم تعدني» فإنه قال للعبد حين قال: يا رب كيف أعودك وأنت ربّ العالمين أما إن عبدي فلانًا مرض فلم تعده فلو عدته وجدتني عنده فأعطى الحق تعالى بهذا التأويل للعالم علمًا آخر لم يكن عنده وذلك أنه في الأول جعل نفسه بمنزلة المريض.

وفي تفسير ذلك جعل نفسه عند المريض فإذا ستر العالم الأمر على العامّي فليقل له معناه أن حال المريض أبدًا الافتقار والاضطرار الغالب عليه ذكر الله تعالى في دفع ما نزل به وقد قال تعالى: «أنا جليس مَن ذكرني» فيقنع العامي بذلك وهو وجه صحيح في نفس الأمر ويبقى العالم بما يعلمه من ذلك على علمه لأن الحق يفعل ما يشاء ويضيف لنفسه ما شاء والكامل مَن أنزل الحق تعالى في كل منزلة أضافها لنفسه وأنزل تعالى نفسه فيها ولو لم يتعلقها هو في نفسه فيحكم على الحق بما حكم به تعالى على نفسه فيكون الحق هو الحاكم على نفسه لا نحن وهذا من أتمّ علوم أهل الله عزّ وجل.

فقلت له: فما سبب تأويل بعض العلماء ما نسبه الحق تعالى إلى نفسه؟ فقال رضي الله عنه: ظنُّهم إن تلك الصفات نقص في الجناب الإلـٰهي قياسًا على ما يشهدونه في نفوسهم وقياس الشاهد على الغائب من أعظم ما غلط الناس فيه وغاب عن هؤلاء أن كل صفة أو نعت كانت ذمًا في الخلق فهي محمودة في جانب الحق لظهور الحق تعالى بها لأمر اقتضته حكمته كما قال تعالى: ﴿إنّا نسيناكم﴾ [السجدة: ١٤] فوصف نفسه بما هو نقص في خلقه فالعالم مَن بحث عن الحكمة في ذلك لا مَن أوّل والله أعلم.

(زمرّدة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: من سوء أدب المريد أن يقول لشيخه اجعلني على بالك.

فقلت له: ما وجه سوى أدبه فقال رضي الله عنه: في ذلك استخدام للشيخ وتهمة له وأمر له أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فإن قلت العارف لا يسعه غير الاشتغال بالحق تعالى.

قلت له: أما قال رجل لرسول الله ﷺ: «أسألك مرافقتك في الجنة»[1] فقال رضي

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة: ٢٢٥)، وأبو داود (تطوع ٢٢)، والنسائي (تطبيق ٧٩)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٨٦، ٤٠٠، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٥٤.

الله عنه: أما ترى قوله للسائل: «أعِنّي على نفسك بكثرة السجود»[1] فحوّله ﷺ إلى غير ما قصد من الراحة في الدنيا والاعتماد على رسول الله ﷺ دون العمل.

فقلت له: كيف العمل ولا بدّ للمريد من التحبّب إلى شيخه بالأدب والخدمة وكل ذلك مما يميل قلب شيخه إليه وإذا مال قلب الشيخ لغير الله انقطع مدد المريد؟ فقال رضي الله عنه: الواجب على المريد الخدمة والحق تعالى مطّلع على قلب وليّه فإذا رأى فيه محبة لهذا المريد قضى حاجته التي يطلبها من شيخه غيره على قلب وليّه أن يدخله محبة لسواه والله عليم حكيم.

(درّة): سألت شيخنا رضي الله عنه، هل أستر حالي ومقالي بين الناس؟ فقال رضي الله عنه: إن وجدت من إظهار فاستره وإلا فلا. ثم قال رضي الله عنه: الكاملون لا يسترون لهم حالاً ولا مقالاً لأن التستّر من بقايا النفوس ويجمع ذلك كله أن تعلم أن جميع ما أعطاه الولي من تعريفات الحق قسمان لأنه إما متعلق بنفسه أو بالغير فإن كان متعلقًا بنفسه فالأدب كتمه إلا لمصلحة.

وإن كان متعلقًا بغيره من الخلق فالأدب إفشاؤه لأهله فإنه من أجلهم أعطي ذلك إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وقد أشار إلى هذا التقسيم قوله ﷺ: «العلم ثلاثة: علم أمرني الله بكتمه، وعلم خيّرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه لأُمتي» يجعل العلمين الأولين في الحديث واحد فإنه لن يفشي العلم المتعلق بنفسه إلا لمصلحة وتحت هذا قسمان فتأمّل والله أعلم.

(مرجان): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله ﷺ: «مَن صلّى بعد الوضوء ركعتين لا يحدّث بينهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»[2] هل يقدح ذلك في شهوده للأكوان بعين قلبه؟ فقال رضي الله عنه: لا يقدح في حضور العبد في صلاته شهوده للأكوان بعين قلبه لأنه ليس في قوة الشخص أن يغمض عين قلبه عمّا يتجلى له فيه من الصور بخلاف حديث النفس فإنه اشتغال بالغير عن الحق.

وقد أخبر ﷺ أنه رأى في صلاته الجنة والنار ومَن فيهما وتأخّر عن موقفه حين رأى النار وما أخبرنا بذلك إلا ليعلّمنا أن ذلك لا يقطع الصلاة. فقلت له: فهل في

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة ٢٢٥)، وأبو داود (تطوع ٢٢)، والنسائي (تطبيق ٧٩)، وأحمد بن حنبل ٤، ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (وضوء ٢٤ ـ ٢٨)، (صوم ٢٧)، ومسلم (طهارة ٣ ـ ٤)، وأبو داود(طهارة ٥١)، والنسائي (طهارة ٢٧ ـ ٦٨ ـ ٩٣).

حضرة الصلاة مناجاة أو مشاهدة؟ فقال رضي الله عنه: هي مناجاة لا مشاهدة إذ لا بدَّ من مصاحبة الحجاب فيها.

فقلت له: فهل ذلك عامّ في سائر المناجاة؟ فقال رضي الله عنه: اسمع المناجاة للحق على أربعة أقسام: مناجاة من حيث إن الحق يراك ولا تراه، ومناجاة من حيث إنك تراه، ومناجاة من حيث إنك تراه ويراك، ومناجاة من حيث إنك لا تراه مطلقًا ويراك علمًا لا بصرًا كما عليه بعض النظّار لأنهم يفرّقون بين الرؤية والعلم وعند المحقّقين أن رؤيته تعالى عين علمه وإذا تجلّى الحق تعالى في الصلاة كان البهت والفناء فلم يصحّ للمصلّي كلام ولا مناجاة. فقلت له: فهل يقدح التبسّم في الصلاة؟ فقال رضي الله عنه: إن تبسم تبعًا للشّارع في المواضع التي ورد عنه فيها التبسّم فلا حرج كما تبسَّم ﷺ في الصلاة مرة وقال: «إن جبريل مرَّ عليَّ في الصلاة فتبسم لي فتبسمت له».

فقلت له: فهل تبسّم المصلّي إذا مرَّ على خاطره معنًى أخبره الحق تعالى عن نفسه بأنه يضحك منه ويتبشبش؟ فقال رضي الله عنه: نعم، ومَن فهم القرآن علم الفرقان والله أعلم.

(عقيق): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: مَن لم يتغلغل في علوم القوم مات مُصِرًا على الكبائر وهو لا يشعر لهم خصّ علم القوم دون علم الأحكام الشرعية. فقال رضي الله عنه: الأحكام الشرعية نفسها من علوم القوم إذ هو مبنى طريقهم ولكن لمّا كان من شأن القوم أن لا يعبؤوا بعمل إلا بآدابه الباطنة خصَّ الشيخ الحكم بعلومهم لدقّة ما في الأعمال من الدسائس والعِلل وأما غيرهم فليس من شأنهم الاعتناء بهذه الأمور كما هو مُشاهَد مع كونهم في عملهم على ظن لا على يقين فلا يخلوا أكثر علمهم من دخول الإشكال فيه، ثم قال: قد ذكر بعض العارفين إن العلم علمان علم تحتاج إليه مثل ما تحتاج من القوت فينبغي الاقتصاد فيه والاقتصار على قدر الحاجة منه وهو علم الأحكام الشرعية فلا ينبغي لفقير أن ينظر فيه إلا بقدر ما تمسّ الحاجة إليه في الوقت فإن تعلق تلك العلوم إنما هو بالأحوال الواقعة في الدنيا لا غير ويمكن الإنسان الإحاطة بعلم جميع ما كلّفه الله به من الأحكام في نحو شهر فإن غالب اشتغال الفقهاء طول عمرهم وإنما هو في فهم ما ولّدوه من كلام بعضهم بعضًا.

وهذا لم يكلّف الله تعالى أحدًا بعلمه ولا العمل به لعدم عصمة قائله إلا إن أجمع عليه وعلم لا يستغني عنه طرفة عين وليس له حدّ يقف العبد عليه وهو العلم المتعلق بالله تعالى ومواطن القيامة فإن العلم بمواطنها يؤدي العالم بها إلى الاستعداد لكل موطن بما

يليق به ليعدّ له الجواب إذا سأله الحق تعالى، لهذا ألحقنا علم مواطن القيامة بالعلم بالله تعالى فاعلم ذلك.

(درر): أوصاني شيخي رضي الله عنه: وقال مَن نازعك في فتْحٍ فتحَ به عليك فلا تجبه ولا تراده بل قف واسكت وانظر حكمة تسليط هذا المنازع عليكَ وخذ حكمة ذلك من الحق فربما سلّط هذا المنازع عليك لغفلة طرأت أولاً إعجابك بنفسك وعلمك أو غير ذلك واعلم أنك متى راجعت المنازع وأجبت عن نفسك خرجت من أدب الحضرة الإلـٰهية فاحذر من أن تذكر قطّ فائدة لشخص وفي نفسك أنك أعلم بها منه فتحجب بذلك ويصير علمك جهلاً بل اذكرها بنيّة الإنفاق من العلم والنصح للمسلمين وإياك أن تنكر على إنسان إلا بعد أن لا تجد له في الشريعة كلها مخرجًا واحذر من أن تنكر عليه بطبعك وتعنّفه بنفسك فإنه لا يقابل النفس إلا النفس بخلاف ما إذا قلت له برفق ورحمة يا أخي إن الشرع نهى عن مثل فعلك هذا فتكون أنت مبلّغًا عن الشّارع ذلك الحكم إلى مَن جهله من أمته لا مُنتَحِلاً شرعًا بنفسك على غيرك فإن الأقران قلَّ أن ينقادوا لمَن طلب الرياسة عليهم ولو بكلام الشّارع فكيف بغيره والله أعلم.

(زمرّدة): سألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه، عمّا يقوله العلماء من العموم والخصوص وحمل أحدهما على الآخر؟ فقال رضي الله عنه: هذا قصور عن فهم كلام الشّارع ﷺ ومَن أراد الأدب الكامل فليمشِ مع الشّارع بحكم الحال ويعمّم حيث عمَّم ويخصّص حيث خصّص ولا يميل إلى خصوص دون عموم وعكسه وإن تعارض معك آيتان أو خبران فذلك إلى الله لا إليك فإنك تعلم أنه هكذا جاء من عند الله فإن مِلتَ إلى خصوص أو عموم دون مقابلة فقد أحدثت حكمًا في دين الله ومَن أحدث حكمًا فقد أحدث في نفسه ربوبية ومَن أحدث في نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديته بقدر ذلك الحكم الذي أحدثه وإذا انتقصت عبوديته انتقص من تجلّي الحق تعالى له بقدر ما انتقص من عبوديته فإن أخلاق العبودية على الضدّ من أخلاق الربوبية وإذا انتقص من علمه بربه وجهل من معرفته بقدر ما نقص. فقلت له: إن غالب العلماء على حمل الخاصّ على العامّ. فقال رضي الله عنه: كلٌّ من الخلق يفتي بقدر ما علّمه الله تعالى فاعلم ذلك.

(زبرجد): سألت شيخنا رضي الله عنه عن حقيقة علم الكشف. فقال رضي الله عنه: إنه علم ضروري يحصل للمكاشف ويجده في نفسه ولا يقبل معه شبهة ولا يقدر أن يدفعه عن نفسه ولا يعرف لذلك دليلاً يستند إليه سوى ما يجده في نفسه وقد يكون أيضًا صادرًا عن حصول تجلٍّ إلـٰهي يحصل للمكاشف لكن هذا خاص بالرُسُل وكُمَّل

الأولياء ثم إن علم الكشف الصحيح لا يأتي قطُّ إلا موافقًا للشريعة المطهَّرة. فقلت له: فما ميزان الكشف في باب الاعتقادات في الله عزّ وجل؟

فقال رضي الله عنه: ليس لذلك ميزان مضبوط لأن الحق تعالى قد تعرَّف إلى كل مخلوق بوجه لا يشاركه فيه مخلوق آخر.

فقلت له: فهل يدخل كشف الكُمَّل حيرة في الله؟ فقال رضي الله عنه: حيرتهم في الحق أشدّ من حيرة النظّار.

فقلت: لِمَ؟ فقال رضي الله عنه: لأن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان وأهل الكشف قد ارتفعوا عن الأكوان في شهودهم وشهدوا الشاهد كالمشهود فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشدّ من حيرة تعارض الدلالات فمَن وصل إلى الحيرة من الأولياء فقد وصل.

فقلت له: فهل يخرج أحد عن الحيرة في الله عزّ وجل؟ فقال رضي الله عنه: نعم، من تجلّي الحق تعالى لقلبه في غير عالم المواد فإن هذا التجلّي لا يبقى معه شك في الله أبدًا.

فقلت له: فهل يقع لأصحاب هذا الكشف حجاب بعد هذه المعرفة؟ فقال رضي الله عنه: لا، لأن من المُحال الرجوع للحجّاب بعد كشف الغطاء وعليه يحمل قول أبي سليمان الداراني[1] رضي الله عنه: لو وصلوا ما رجعوا يعني بذلك رجوعهم للحجّاب. فقلت له: فما أعظم ما يكشف للعبيد. فقال رضي الله عنه: أن يكشف الحق تعالى لهم عن نفسه تعالى وعن أحكامه فيأتون بها على يقين منها ومن مشرِّعها. فقلت له: فهل الخلق متساوون في هذا الكشف؟ فقال رضي الله عنه: لا. قلت: لِم؟ قال رضي الله عنه: لأنهم إنما يشهدون الحق تعالى في حقائق نفوسهم ولو كانوا يشهدون عين الذات لتساووا في الفضيلة والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن سبب خوف الكُمّل من الرجال من سبع أو ظالم أو نحو ذلك وعدم خوف أرباب الأحوال مع نقصهم؟ فقال رضي الله عنه: إنما خاف الكُمَّل من الخلق لشهودهم الضعف من نفوسهم ومرتبتهم دائمًا الوقوف على

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي (... ـ ٢١٥ هـ = ... ـ ٨٣٠ م) أبو سليمان زاهد مشهور من أهل داريا بغوطة دمشق. رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام وتوفي في بلده، كان من كبار المتصوفين. له أخبار في الزهد. الأعلام ٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وطبقات الصوفية ٧٥ ـ ٨٢، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٦، وحلية الأولياء ٩/ ٢٥٤.

حدود العبودية بخلاف أرباب الأحوال فإنهم بالعكس من ذلك كله، وأيضًا فإن الكُمَّل يفرّون بذواتهم من مواضع التلف قيامًا بواجبها لأنها رعيتهم.

فقلت له: فهل الجزع في النشأة الإنسانية أصل أو طارىء؟ فقال رضي الله عنه: الجزع في النشأة الإنسانية أصلي ولذلك كانت النفوس أبدًا مجبولة على الخوف لأن لذّة الوجود بعد العدم لا يعدلها لذّة وتوهّم العدم العيني له ألم شديد في النفوس لا يعرف قدره إلا العلماء بالله تعالى فكل نفس تجزع من العدم أن تلحق به أو بما يقاربه وتهرب منه وترتاع خوفًا على ذهاب عينها والله أعلم.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه، لِمَ خصَّ الأنبياء باسم الرسالة والصلاح والعبودية دون الولاية مع أن الولي اسم من أسماء الله تعالى؟ فقال رضي الله عنه: إنما خُصُّوا بذلك لشرفهم وعلوّ مقامهم في باب العبودية على الأولياء فإن أشرف ما يسمى العبد به لفظ العبد وأشرف ما يلقَّب به ما كان من خصائص هذا الاسم كالرسول والصالح ولذلك نزع الله تعالى من الأنبياء اسم الوليّ وخلع عليهم لقب الرسالة والصلاح الذين لا يليق تلقّب الحق تعالى بهما فعلم أنه ما خلع على عبده اسم الوليّ إلا ابتلاء له لينظر هل يردّ ذلك الوصول إلى الحق أو يدَّعيه لنفسه ويقف معه إذ كان في حيلة الدعوى فهو أمره تعالى عباده أن يتّخذوه وكيلاً لهم وكيف يكون تعالى وكيلاً فيما هو له؟

فقلت له: فهل علينا حرج في تسمية الصالح بالوليّ؟ فقال رضي الله عنه: لا حرج إذا كان على قصد صيغة المفعول لا الفاعل لأنه يجب شرعًا وعقلاً اجتناب التسمِّي بالأسماء الإلٰهية وإن أطلقها الحق تعالى على عبد ذكرناه بها على سبيل التلاوة لقول الله تعالى فقط مع اعتقادنا أن المخلوع عليه ذلك عبد خاشع أوّاه مُنيب فإذًا لا ينبغي إطلاق أسماء الحق تعالى على أحد من الخلق إلا حيث أطلقها الحق تعالى لا غير.

فقلت له: فلِمَ قال الله تعالى في إبراهيم: **﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾** [البقرة: ١٣٠] فخصَّ صلاحه بالآخرة؟ فقال رضي الله عنه: إنما خصَّ صلاحه في الآخرة لأجل الثلاثة أمور التي صدرت منه في الدنيا وهي قوله عن زوجته سارة إنها أُخته، وقوله إني سقيم على وجع الاعتذار، وقوله بل فعله كبيرهم هذا إقامة حجة. وبهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس إذا سألوا أن يفتح باب الشفاعة وأما غير إبراهيم فوصفه الله تعالى لهم بالصلاح في الدنيا كقوله في يحيى: **﴿ونبيًا من الصالحين﴾** [آل عمران: ٣٩]، وفي عيسى: **﴿كهلاً ومن الصالحين﴾** [آل عمران: ٤٦]، وقال يوسف: **﴿توفَّني مسلمًا وألحقني بالصالحين﴾** [يوسف: ١٠١]، وقال سليمان:

﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ [النمل: ١٩] فكلهم مدحوا بالصلاح وبين مشهود له به في الدنيا ومشهود له به في الآخرة وسائل في الصلاح والله غفور رحيم.

(زمرّد): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: ليس لوليّ كرامة إلا بحكم الإرث لمَن ورث من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولذلك لم يقدر مَن هو وارث لعيسى عليه السلام أن يمشي في الهواء ويقدر على المشي على الماء. فقلت له: فهل لمَن هو وارث لمحمد ﷺ أن يمشي على الماء والهواء معًا لعموم مقامه ﷺ؟ فقال رضي الله عنه: نعم.

فقلت له: قد ورد أنه ﷺ قال: «لو ازداد عيسى يقينًا لمشى في الهواء»[1] ومعلوم أن عيسى عليه السلام أقوى يقينًا من سائر مَن مشى على الهواء من الأولياء بما لا يتقارب. فقال رضي الله عنه: ما مشى وليّ منّا في الهواء إلا بحكم صدق تبعيته لمحمد ﷺ لا بزيادة.

(جوهر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: ليست العبودية لله التي هي التذلّل والافتقار بحال قربه منه تعالى وإنما يقرب العبد من الحق بعلمه أنه عبد له وعلمه بأنه عبد ما هو عين عبوديته فعبوديته بلا شك تقتضي البُعد كما أن علمه بها يقضي بالقرب وفي بعض مخاطبات أبي يزيد رضي الله عنه: تقرَّب إليَّ بما ليس لي، فقال: يا رب وما هو الذي ليس لك؟ فقال: الذلّة والافتقار فنفاهما تعالى عن نفسه لو ما نفاهما تعالى عنه كانا صفة يُعدًّا من صفاته فافهم.

(ماسة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول مرارًا: كل شيخ سُئِلَ عن مسألته ففكر في الجواب فلا يعتمد على جوابه لأنه نتيجة فكره ليس ذلك من شرط علوم أهل الله تعالى عزَّ وجل. وسمعته أيضًا يقول: ما خرج أحد من الخلق قطُّ عن رقّ الأسباب ولو بلغ أقصى الغايات فمَن أراد رفعها فهو جاهل بكون الأسباب للنفس فتارك السبب لا يتنفس وتأمل الإنسان إذا جاع أو عطش كيف يترك أعظم الأسباب.

(زبرجدة): أوصاني شيخي رضي الله عنه وقال لي: إياك والفرار من حالٍ أقامك الله فيه فإنك لو أمعنت النظر وجدت الخيرة فيما اختاره الله لك وتأمل السيد عيسى عليه السلام لمّا فرّ من بني إسرائيل حين عظّموه وبجّلوه كيف ابتلاه الله بأن عُبِدَ من دون الله فوقع في حال أشد مما فرّ منه.

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٧٥).

فقلت له: فما سبب اختيار العبد مع سيده؟ فقال رضي الله عنه: لظنه أنه مخلوق لنفسه والحق تعالى ما خلق العبد إلا ليسبِّح بحمده ومَن علم أنه مخلوق لله ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى لأنه لا يعطي عبده إلا ما يصلح أن يكون له تعالى فلهذا الظن يقول العبد أريد كذا وأطلب كذا ولو اتَّسع علمه لعلم أن الله أعطى كل شيء خلقه بحيث لا يقبل الزيادة والتسليم أصل الأدب الإلٰهي كله والسلام.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه، هل للخواصّ من الأولياء الاطّلاع على علوم الأنبياء من غير واسطة؟ فقال رضي الله عنه: ذهب ابن قسيّ[1] رحمه الله إلى أن لهم الاطّلاع على ذلك من طريق الكشف لا الذوق ولولا أن الله تعالى أيّدهم بأن لا يدعوا ما ليس لهم لادّعوا النبوّة ومن هنا.

قال الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه: أُوتيتم معاشر الأنبياء اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا يعني حجر علينا اسم النبي مع اطّلاعنا على علمه من طريق كشفنا وكذلك كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه، كثيرًا ما يقول للفقهاء: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا نحن علمنا عن الحيّ الذي لا يموت.

فقلت لشيخنا: فما علامة أصحاب هذا الحال؟ فقال رضي الله عنه: علامتهم وفور العلم وحضور العقل ودوام المشاهدة ولا يعرف قلوبهم النوم ولا يقبله إلا في النادر وعلم الأنبياء أكثره من هذا القبيل. فقلت له: فما علامة هذا العلم الإلٰهي؟ فقال رضي الله عنه: علامته أن تمجّه العقول من حيث أفكارها ولا تقبله إلا بالإيمان فقط، ومن علامته أيضًا أنه دائمًا حاكم على كل كلام ومؤثر في غيره من سائر أصناف العلوم ولا يؤثّر فيه شيء غيره وذلك لقوة سلطانه وتأثيره في العقل الذي هو أقوى ما يكون من القوى والله أعلم.

(مرجان): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن امتحان الرجل إخوانه وأصحابه هل الأولى تركه لأنه ربما جرّ إلى كشف عورتهم أو الأولى فعله تنشيطًا لهم وتبيينًا لمقامهم؟ فقال رضي الله عنه: هو جائز للشيخ الكامل بحكم الإرث لرسول الله ﷺ ليبيّن للمريدين عدم صدقهم في ادّعائهم المراتب فيستغفروا منها ويطلب التحقيق في ذلك وليس بين المريد وشيخه عورة بل إذا أخفى المريد عورته خان الله ورسوله له والشيخ وأما الامتحان لغير الشيخ الكامل فهو مما نكرهه ولا نقول به وإنما كان الامتحان لرسول الله ﷺ بوحي من ربه عزّ وجل كما قال تعالى: ﴿فامتحنوهنّ الله أعلم بإيمانهنّ﴾ [الممتحنة: ١٠]،

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ١/١١٦.

وامتحن رسول الله ﷺ مرة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال لأبي بكر: «إن آل محمد محتاجون لأبي بكر» فأتاه أبو بكر بجميع ما يملك ثم قال ذلك القول لعمر من غير إعلامه بما وقع لأبي بكر فأتاه بشطر ماله، فقال لأبي بكر: «ما تركت لأهلك يا أبا بكر»[(١)]؟ قال: الله ورسوله، ثم قال لعمر: «ما تركت لأهلك»[(١)]؟ قال: شطر مالي. فقال رسول الله ﷺ: «بينكما ما بين كلمتيكما»[(٢)]. قال عمر: فعلمت أني لا أسبق أبا بكر بعد ذلك أبدًا، ثم لا يخفى أن رسول الله ﷺ لو حدّ لهما في مالهما حدًا ما تعدّاه أحد منهما وإنما عمي الأمر عليهما ليفعل كلٌّ منهما على قدر ذوقه فتظهر مرتبته إذا كان كل أحد لا يبادر إلا لفعل ما هو الغالب عليه وانظر قوة أدب أبي بكر في قوله: تركت لأهلي الله ورسوله فإنه لو قال الله وحده لم يتمكن له أن يرجع في شيء من ذلك حتى يردّه الله عليه من غير واسطة رسول الله ﷺ حالاً وذوقًا ولمّا علم ذلك قال الله ورسوله ولو قدّر أن رسول الله ﷺ ردَّ عليه شيئًا لقبله لأهله من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأهله مثل ما قال ﷺ، حين خرج للسفر: «اللّهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»[(٣)] فكان حكم أبي بكر في ماله حكم مَن استنابه ربّ المال فانظر ما أحكم هذا الكلام وما أشد معرفة أبي بكر رضي الله عنه بمراتب الأمور ثم إن رسول الله ﷺ لم يردّ على أبي بكر شيئًا من ماله تنبيهًا للحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في ذلك ومن الرِّفق والدين ولو ردَّ شيئًا من ذلك عليه تطرّق الاحتمال في أبي بكر أنه خطر له رفق برسول الله ﷺ أو أن رسول الله ﷺ أهّل أبا بكر بما يقتضيه نظر رسول الله ﷺ فانظر ما بين الذوق والعلم تعرف أن صاحب الذوق هو الذي يعطي الأمور بذاته من غير تفكّر وتوانٍ ومتى تخلّف عن ذلك فهو علم لا ذوق فقد علمت أن للشيخ أن يمتحن تلامذته بمثل ذلك دون غيره من الأمور التي فيها كشف سوآتهم.

---

(١) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ١/٣٥٧).

(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/١٠٣.

(٣) أخرجه أبو داود في (السنن ٢٥٩٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/٢٥٦، ٢/١٤٤ ـ ١٥٠ ـ ٤٠١ ـ ٤٣٣، ٥/٨٣)، والحاكم في المستدرك ٢/٩٩)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٥/٢٥٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/١٢٩)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٤٨٦ ـ ٤٨٧ ـ ٥٢٥)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٣٥٠)، (الأذكار النووية ١٩٨)، وابن خزيمة في (الصحيح ٢٥٣٣)، الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/٣٢٦)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٧٨٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٥ ـ ٣٢٨ ـ ١٧٦١٦ ـ ١٧٦٢٣ ـ ١٧٦٢٦ ـ ١٧٦٢٧ ـ ٧٦٢٨ ـ ٧٦٣٥ ـ ١٧٦٣٦)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٠/٣٥٩، ١٢/٥١٧)، والألباني في (السلسلة الضعيفة ٨٥).

(فيروزج): سألت شيخنا رضي الله عنه، أنس بحال من أحوال العبد؟ فقال رضي الله عنه: ما أنس أحد بذات الحق تعالى أبدًا وإنما يأنسون بحال من أحوالهم. فقلت له: كيف؟ فقال رضي الله عنه: إن الأنس لا يكون إلا بالمجانس والمشاكل ولا مجانسة بين ذات الحق والخلق بوجه من الوجوه الثابتة للحق حتى يأنسوا به وإنما يأنسون بالأمثال التي نصبها الحق تعالى دليلاً على معرفته فعلم أنه إذا أُضيفت المؤانسة إلى الحق، فإنما ذلك بوجه خاص يرجع إلى الكون ولذلك لمَّا عرج برسول الله ﷺ وزجّ به في النور ولم يرَ معه أحدًا يأنس به ويركن إليه أعطته المعرفة الوحشة لانفراده عن جنسه فما سكن روعه ﷺ إلا حين سمع هناك صوت أبي بكر رضي الله عنه يقول: قف إن ربك يصلّي. فقلت له: إن غالب الناس يقول إن أنس العبد وصلاته وذكره لا يكون إلا بذات الحق. فقال رضي الله عنه: هذا لا يكون في حضرة الأحدية قطّ وإنما يكون في حضرة الواحدية دنيا وأخرى ومن هنا كان هذا الأنس ينقطع بارتكاب المعاصي واختلاف الأحوال ولو كان الأنس بالله حقيقة ما انقطع لأن الأمر أو الشأن الإلٰهي إذا وقع لا يرتفع دنيا ولا أُخرى وإن تغيّرت الأحوال في درجاته ومراتبه بزيادة أو نقص.

فقلت له: هل الأنس من تجلّي الجلال أو من تجلّي الجمال؟ فقال رضي الله عنه: من تجلّي الجلال، عندنا عكس ما عليه الصوفية وما كل الرجال أعطوا الفرقان.

فقلت له: فهل هذا الجلال هو الجلال الصرف أو جلال الجمال فقال رضي الله عنه: هو جلال الجمال لأن الحق تعالى لم يتجلَّ في الجلال الصرف بعد خلق العالم أبدًا إنما يتجلّى في جلال جماله. فقلت له: فهل التجلّي في هذا الجلال دائم أبد الآبدين؟ فقال رضي الله عنه: لا إنما محله الدنيا والبرزخ والقيامة فإذا انقضت مدة المؤاخذات فلم يبقَ لتجلّي الجلال المذكور حكم في الموحّدين إنما هو بسط محض ولطف وحنان وجود وإحسان. فقلت له: فهل يكون التجلّي في هذا الجلال للملائكة؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لكن على طريق الهيبة والعظمة والخوف والخضوع ويخلق ما لا تعلمون.

(مرجان): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن العزلة عن الخلق، هل أتمّ من الاختلاط أم العكس أتمّ؟ فقال رضي الله عنه: الاختلاط في حق مَن رزق الفهم عن الله عزّ وجل أتم لأنه في كل لحظة يزيد علمًا بالله لم يكن عنده وأما مَن لم يرزق الفهم عن الله تعالى فالخلوة في حقه أتم.

(جوهر): قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما حقيقة رتبة الشهادة وأُسها؟ فقال رضي الله عنه: حقيقتها التزام الأوامر كلها وانسحاب الأعمال على مراتب الدين كله وليس ذلك

لبشر بعد النبيين إلا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكل ما استحكم في مقامه رضي الله عنه، فهو من الراسخين في العلم. فإن عمر رضي الله عنه، لم يدع بابًا من المناهي اتصّف أبو بكر رضي الله عنه بتركه إلا أخذ عمر رضي الله عنه في مقابلته وجهًا محمودًا وإن لم يؤمر به شرعًا، فلذلك شبَّهه رسول الله ﷺ بموسى عليه الصلاة والسلام في التكلّم بقوله: «إن يكن من أُمتي محدثون فعمر بن الخطاب» والتحديث فرع من مكالمة الحق لعبده في سره ومع هذا فكان رضي الله عنه يتّهم نفسه بالنفاق وكان يقول لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: يا حذيفة هل تعلم فيَّ شيئًا من النفاق فإنك كنت تعرف المنافقين في عهد رسول الله ﷺ؟ فقلت له: فما أكمل درجات الإيمان؟ فقال رضي الله عنه: أن يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب ويسري منه الأمان في نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من غير أن يتخلل العالم الأمان تهمة. فقلت له: أيّهما أكمل مَن كان إيمانه عن تجلٍّ إلٰهي في قلبه أم إيمان مَن كان مقيدًا بالدليل.

فقال رضي الله عنه: ما لم يكن عن دليل أكمل. فقلت له: لِمَ؟ فقال رضي الله عنه: لأنه حينئذ يكون على صورة إيمان الرّسل عليهم الصلاة والسلام بخلاف ما كان عن دليل لتطرّق الشبه إليه ولما علم الصحابة رضي الله عنه أن إيمان الرُسُل لا يكون عن دليل لم يسألوا رسول الله ﷺ قطُّ عن حقيقة إيمانه وذلك لأن حقيقة الرسالة تقتضي أن لا دليل عليها وأن الرسل مع الحق في التوحيد العام كنحن معهم إذ هم مأمورون كنحن فهم مقلدون للحق ونحن مقلدون لهم. فقلت له: فما يصحب الإنسان من الإيمان بعد خروج روحه؟ فقال رضي الله عنه: لا يصحبه هناك إلا إيمان الفطرة وما عدا ذلك فلا يصحبه منه شيء كما لا يصحبه في الجنة من العلم إلا ما كان عن الله فقط لا عن تقليد فإن ذلك كله يفارق صاحبه بخروج الروح. فقلت له: فهل يقدح في كمال الإيمان ما يراه الإنسان من المنامات الرديئة إذا تأثر لها؟ فقال رضي الله عنه: نعم، يقدح ذلك في إيمانه. فقلت له: فهل مقامات الولاية والمعرفة داخل في دائرة الإيمان أو زائد عليها؟ فقال رضي الله عنه: مراتب الولاية والمعرفة ليسا برتب مستقرة في نفسها كاستقرار الإيمان فإن ذلك مستحيل كما أن الرسالة والعزيمة مقامان في النبوّة. فقلت له: فهل النبوّة لها من أوصاف الروح والسرّ كالعلوم والمعارف أم لا؟

فقال رضي الله عنه: ليست من أوصافهما وإنما هي تصريف شخص في رتبة اتحادية يقوم بتحدِّيه بها فيحفظ من الانحراف الذي يحجر إلى الفساد في الوجود إلى زوال تلك الشريعة وذلك أن كل مَن تحقق برتبة الإيمان علم أن جميع المراتب تصاحب

رتبة الإيمان كمصاحبة الواحد لمراتب الأعداد الكلية والجزئية إذ هو أصلها الذي نبتت عليه فروعها وثمارها.

فقلت له: فهل يوصف الملأ الأعلى والأرواح العلى بأنهم أنبياء وأولياء كصالحي الإنس والجن؟ فقال رضي الله عنه: لا يوصفون بأنهم أنبياء ولا أولياء. فقلت: لِمَ؟ فقال رضي الله عنه: لو كانوا أنبياء وأولياء ما جهلوا الأسماء. فقلت له: إن الموصوفين بجهل الأسماء إنما هم ملائكة الأرض كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ [البقرة: ٣٠]. فإن ملائكة السماء لا ذوق لهم في الفساد وسفك الدماء. فقال رضي الله عنه: الجنس الأرضي منهم دلَّ على العلوي وذلك لعدم الترقّي في المقامات وعدم كسبهم لها بخلاف البشر فإن الترقّي واقع لهم بكسبهم فافهم. فقلت له: فهل يمكن التعبير عن الإيمان بعبارة؟ فقال رضي الله عنه: لا، لأن الإيمان حقيقة هو التصديق الذي وقر في الصدر وذلك لا يمكن التعبير عنه، وأما ما ورد في السُّنَّة من الألفاظ التي تحكم لصاحبها بالإسلام أو الإيمان فكلها راجعة إلى التصديق والإذعان اللذين هما مفتاحان لباب العلم بالمعلوم المستقر في قلب العبد بالفطرة ولذلك لم يسأل أحد من الصحابة رسول الله ﷺ عن حقيقة هذه الألفاظ ولا ناقشوا أصحابها بل أجروا حكمهم على الظاهر ووكّلوا سرائرهم إلى الله هذا بالنظر للعامّة وإلا فقد سأل رسول الله ﷺ حارثة[1] رضي الله عنه: «وقال: كيف أصبحت»؟ قال: يا رسول الله أصبحت مؤمنًا حقًّا. فقال رسول الله ﷺ: «انظر ما تقول يا حارثة فإن لكل حق حقيقة» فنبّه ﷺ خواصّ أمته أن لا يقنعوا بظاهر الأمور بل يمتحنوا نفوسهم حتى يخلص دينهم. فقلت له: فإذن الإيمان الثابت هو إيمان الفطرة التي فطر الله الناس عليها. فقال رضي الله عنه: نعم، ويتحقّق أمره بالخاتمة وما بين السابقة والخاتمة في ظاهر الحال يزيد الإيمان وينقص ولكن الحكم للخاتمة لأنها عين السابقة.

فقلت له: فإذن يحمل قول مَن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص على إيمان الفطرة ويحمل قول مَن قال إنه يزيد وينقص على الحالة التي بين السابقة. فقال رضي الله عنه: نعم، هو محمل صحيح.

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين التميمي الفداني (....- ٦٤ هـ = ...- ٦٨٤ م) تابعي من أهل البصرة، وقيل: أدرك النبي ﷺ. له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر ومع عليّ ومع زياد وغيره، في دولة معاوية وولده، وأُمِّر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا، فلما أرهقوه دخل سفينة بمَن معه فغرقت بهم. الأعلام ٢/١٥٨، والإصابة ١/٣٧١.

فقلت له: فهل يصحّ أن أحدًا يموت على غير الإيمان فإن الله تعالى يقول في المحتضر: ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ [قٓ: ٢٢]؟

فقال رضي الله عنه: لا يقبض أحدًا إلا وهو مصدق بجميع ما جاءت به الأخبار الإلـٰهية وأعني به من المحتضرين الذي تقدم لهم مرض قبل طلوع روحهم بخلاف مَن يموت فجأة بأن يخرج النفس الداخل ولا يدخل النفس الخارج وبخلاف مَن يقتل غيلة بأن يُضرَب عنقه من ورائه على غفلة وهو لا يشعر فإن هذين تُقبَض أرواحهما على ما كانا عليه من الكفر، وأما المحتضر فليس كذلك إنما هو صاحب شهود فيشهد الملائكة قبل موته فيؤمن بحكم ما يشهد فهو صاحب إيمان بما هناك. فقلت له: فلِمَ لم ينفعه هذا الإيمان؟

فقال رضي الله عنه: لأنه لم يتقدَّم في محله المأمور به في حال صحته وتكليفه.

فقلت له: إن بعض أهل الكشف زعم أن إيمان اليأس ينفع واستدلّ بقوله تعالى: ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون﴾ [الزخرف: ٤٨] وقال الراجع مع نزول العذاب مقبول لرجوعه فإن الله قد أتى بما ترجى منه بقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ يعني إلينا فنقبلهم.

فقال رضي الله عنه: إن صحَّ كشف هذا فهو في حق مَن كان الإيمان موقورًا في صدره منشرحًا له ولكن كان حاله بين الناس مجهولاً لعلَّة من العلل وبالجملة فينكشف الأمر يقينًا لكل نافٍ وكل مثبت والأدب مع ظاهر الشريعة والله أعلم.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه: هل علينا إثم في الطعن في ولاية مَن لم يظهر عنه أعمال صالحة يتميز بها؟

فقال رضي الله عنه: لا، ولا يخفى الورع فإن أكابر الأولياء هم الملامتية وهم لا يزيدون على الصلوات الخمس لا الرواتب المؤكدة ولا يتميَّزون عن المؤمنين بحالة زائدة يُعرَفون بها ويمشون في الأسواق لحوائجهم ويتكلمون بكلام العامَّة فربما تطعن في ولاية أحدهم فتقع في الفضول وقد قال تعالى: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء: ٣٦].

فقلت له: فنزيد بيان شيء من صفاتهم الظاهرة فتحًا لباب الأدب معهم. فقال رضي الله عنه: من صفاتهم أنهم راسخون في العلم لا يتزلزلون عن عبوديتهم لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولا يعرفون للرياسة طعمًا ومن صفاتهم خرق العوائد في عين العوائد فلا يشهدهم أحد من العالم إلا آخذين في الأسباب فلا يفرّق بينه وبينهم فهم

وحدهم يعرفون كيف يأخذون، وأما أصحاب خرق العوائد الظاهرة فما شمّوا من هذا المقام رائحة لأنهم آخذون من الأسباب فما زالت الأسباب عنهم ولا تزول ولكن خفيت، إذًا لا بدَّ لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسيَّة هي سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرف أو يقبض بيده في الهواء فيفتحها عن مقبوض عليه من ذهب أو غيره فلم يكن إلا بسبب حركة من يده وقبض فما خرج هذا عن سبب لكنه غير معتاد في الجملة إذ القبض معتاد وتحصيله من هذا الوجه غير معتاد فقيل فيه إنه خرق عادة وقد بسطنا الكلام على وقائع أهل هذا المقام في رسالة الأنوار القدسية في مراتب العبودية[1] وهو كتاب نفيس لا يستغني عن معرفة آدابه عبد والله على كل شيء شهيد.

(زبرجد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله ﷺ: «سيد القوم خادمهم»[2]؟ فقال رضي الله عنه: معناه أن كل داعٍ إلى الله من رسول ووليّ وعالِم خادم للمدعو لأنه ماله الذي به يقع الربح له في الآخرة كما نطق به الرُّسُل بقولهم إن أجري إلا على الله، فالرُّسل كلهم وتبَاعهم مسخَّرون لأصحابهم ومُعَدُّون لكشف كربهم في الدنيا والآخرة غير متميِّزين عنهم في أقوالهم وأحوالهم إلا بما ميَّزهم به الحق تعالى على لسانهم كل ذلك استجلابًا لهم ورفقًا بهم حتى أن الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام وكُمَّل الأولياء يتمنون نزول البلاء بهم ولا ينزل على أحد من أصحابهم لما هم عليه من الشفقة التي أودعها الله تعالى في قلوبهم ومَن فهم معنى هذا الحديث لم يمتنع من أن يصيب أحدًا من إخوانه على يديه إلا لأن امتناعه يؤذِن بعدم شهود سيادة أخيه عليه وكأنه يقول ما أجعلك سيدًا عليَّ والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه: لِمَ خُصَّت الاستعاذة بالاسم الله عزَّ وجل دون غيره من الأسماء كالربّ ونحوه؟ فقال رضي الله عنه: إنما خُصَّت بذلك لأن المستعيذ لا يعرف ما يأتيه به الشيطان من الخواطر القبيحة حال صلاته وقراءته مثلاً فلم يتمكن له أن يعيِّن ما يدفعها به من الأسماء الفروع فجاء بهذا الاسم الجامع لحقيقة كل اسم الدافع لكل خاطر ينبغي أن يدفع فحضرة الله جامعة لحضرة كل اسم والأحوال هي

---

(١) هذا الكتاب للشعراني عبد الوهاب بن أحمد. رتب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. كشف الظنون ١٩٤.

(٢) أخرجه السيوطي في (الحاوي للفتاوى ٢/ ١٠١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٣٩٢٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٧٥١٦ ـ ١٧٥١٨ ـ ١٧٥١٩ ـ ٢٤٨٣٤ ـ ٢٤٨٣٥)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغدادي ١٠/ ١٨٧)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٩٥)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٥٦١ ـ ٥٦٢).

التي تخصّص الأسماء، فالعاصي مثلاً يقول: يا ربِّ اغفر لي، والجيعان يقول: يا ربِّ أطعمني، والمديون يقول: يا ربِّ أوفِ دَيني وهكذا، فالكاملون لا يخفى عليهم الحضرات المناسبة لحوائجهم وإن خفي عليهم شيء منها سألوا بالاسم الله كما قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨]، فهذا سبب تخصيص الاسم الله دون غيره. فقلت له: فما معنى قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك»[1]؟ فقال رضي الله عنه: إنما كان ذلك منه ﷺ في وقت اختطافه عن وجوده لشهوده إذ ذاك الأحدية السارية في الوجود ثم لما وقع الترقّي له ﷺ إلى مقام جمع الجمع وفرق الفرق أمر أن يقول أعوذ بالله فافهم.

فقلت له: كيف احتاج الكُمّل إلى الاستعاذة والحق تعالى يقول: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢]؟ فقال رضي الله عنه: قول الحق صحيح لا سلطان له على الكُمّل في قبول الإغواء وإنما له السلطان عليهم في نفس الوسوسة، فهو يوسوس وهم لا يعلمون بوسوسته بخلاف غير عبيد الاختصاص من سائر الخلق فإنه يلقي إليهم الخواطر بالمعاصي والشُّبَه القادحة في إيمانهم ليعملوا بها فمنهم مَن يعمل ومنهم مَن يحفظ لكن مع تحيير وشك.

ثم قال رضي الله عنه: وهنا نكتة وهو أنك لا تجد في القرآن عبادًا مضافين إلى الحق إلا عبيد الاختصاص الذين هم السعداء خاصة، وأما غيرهم فجاء اللفظ فيهم بالعباد من غير إضافة كما قال تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] يعني به عبيد الاختصاص وإلا فقد أراد ذلك وقسمه للكافرين من عباده.

فقلت له: الرِّضا غير الإرادة، فقال رضي الله عنه: نعم، وذهب بعض أهل الشطح إلى أنهما مترادفان وأن المغايرة بينهم إنما هو اصطلاح والتحقيق أن صفات الحق كلما تتداخل تفعل ما يفعله أخواتها والله أعلم.

(عقيق): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم﴾ [إبراهيم: ٤]. فإذا كانت الرُّسُل قد بيَّنت لأُممها كل حكم فلِمَ احتاج العلماء إلى التأويل؟ فقال رضي الله عنه: ما أحوج الناس إلى التأويل إلا لعجزهم عن تعقّل الأمور الغامضة التي جاء بها الشّارع ﷺ ومعلوم أن كل أمة تعرف لسان رسولها

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة ٢٢٢)، وأبو داود (صلاة ١٤٨)، (وتر ٥)، والترمذي (دعوات ١١٢)، والنسائي (طهارة ١١٩)، (سهو ٨٩)، وابن ماجه (دعاء ٣)، وأحمد بن حنبل ١، ٩٦، ١١٨، ١٥٠، ٦، ٥٨، ٢٠١.

بالفطرة ولكن ذلك خاص بتفاصيل الأحكام أما تفصيل ما أجمل في الكتاب فليس لهم قدم فيه إنما هو للرُسُل فمرتبة الرُسل تفصيل ما أجمل في كتبهم لأُممهم ولا يفصل العبارة إلا العبارة فناب الرُسل عليهم الصلاة والسلام مناب الحق في تفصيل ما أجمله تعالى ولم يفصله ولولا أن هذه الحقيقة سارية في العالم إلى وقتنا هذا ما شُرِحت الكتب ولا تُرجِمت من لسان إلى لسان ولا من حال إلى حال وقد قال الله تعالى: ﴿لتبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم﴾ [النحل: ٤٤] فلم يكتفِ سبحانه وتعالى بنزول الكتب إلى عباده دون تبيين الرُسُل فيها.

فقلت له: فإذن كلامه تعالى هو الذي أنزل خاصّة، وأما ما فصّلته الرُسُل وأبانت عنه فإنما هو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل. فقال رضي الله عنه: نعم، هو كذلك إذ البيان قد وقع بعبارة أخرى. فقلت له: فهل للعالم من الأمة أن يبيِّن للناس ما نزل إليهم بفهمه أم بحكاية ما ورد في السُّنَّة من كلام الشارع فقط لجهله بميزان البيان؟ فقال رضي الله عنه: ليس له أن يبيِّن للناس إلا بحكاية رسول الله ﷺ. لأنه ربما بالغ في البيان للناس فكان عذابًا عليهم والله تعالى يقول: ﴿وما كان الله ليضلّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يبيِّن لهم ما يتقون﴾ [التوبة: ١١٥]. ولكن بيان الحق تعالى ورسوله كله رحمة بخلاف بيان غير الله ورسوله وقد كان رسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان لسحرًا»[1] وما تعلُّم السحر إلا حرام بل كفر لأنه لا يصحّ من عبد سحر، إلا إن خرج بقلبه عن دين الإسلام فلا بدَّ أن يخرج الساحر ثم يرجع بعد ذلك إلى الإسلام ولذلك أمر الشّارع بقتله فعلم أن من بين الهدى للخلق بيانًا شافيًا في كل المراتب فقد سعى في هلاكهم عند الله عزَّ وجل لكونه لم يبقَ لهم عذر يعتذرون به بين يديه ولا بدّ لكلّ من القبضتين من أهل يقومون بها.

(١) أخرجه مالك في (الموطأ ٩٨٦)، وأبو داود في (السنن ٥٠٠٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/٢٦٣)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٣/٢٠٨)، والحاكم في (المستدرك ٣/٦١٣)، والبغوي في (شرح السُّنَّة ١٢/٣٦٣)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٤٧٨٣)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/١٨٢، ٦/٢١٢)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/٢٣٠، ٢/١٧٤)، وابن حجر في (فتح الباري ٩/٢٠١، ١٠/ ٢٣٧) وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٣/٢٢٤)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/١١٧ ـ ١٢٣)، (خلال ٢٣٥)، والربيع بن حبيب في (المسند ١/ ١٣)، وأبو نعيم في (تاريخ أصفهان ١/١٤٦)، والألباني في (السلسلة ٣/٢٢٦)، وابن عبد البرّ في (التمهيد ٣/٢٥٠، ٥/١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٦٩، ٦/٤٢٥)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٠/٣٤٩)، والعقيلي في (الضعفاء ١/٣٠٠).

فقلت له: فهل كان لرسول الله ﷺ أن يقرأ القرآن بالمعنى لكونه هو المترجم لنا؟ فقال رضي الله عنه: لا يجوز ذلك في حقه ﷺ ولو قُدِّر أنه ﷺ تصرَّف بالتعبير لكان مُبيِّنًا لنا صورة فهمه لا صورة ما نزل والله تعالى يقول: **﴿لتبيِّن للناس ما نزل إليهم﴾** [النحل: ٤٤] فلم يكن لرسول الله ﷺ قطّ أن يغيِّر أعيان تلك الكلمات وحروفها.

فقلت له: ولو فرض أنه قد علم جميع معاني القرآن حتى لم يشذ عنه شيء من معانيه.

فقال رضي الله عنه: ولو فرض ذلك وعدل عمّا أنزل فأيّ فائدة للعدول وشرطه أن تجمع الكلمات التي عدل بها لجميع معاني المعدول عنها من غير نقص وحاشا الأنبياء كلهم من ذلك فلو تصرَّف نبي في صورة ما نزل من الحروف اللفظية أو الرقمية كان قد صدق عليه أنه بلَّغ للناس ما نزل إليهم وما لم ينزل إليهم وإن كان لا ينطق عن الهوى فافهم.

فقلت له: فلِمَ قال تعالى: **﴿ما نزل إليهم﴾** [النحل: ٤٤] ولم يقل ما نزل إليهم على لسانك؟ فقال رضي الله عنه: إنما أسقط واسطته هنا لتكون شريعته ميزانًا للواردات الإلٰهية بعده نيابة عن بيانه فلا ينبغي العمل بوارد إلا بعد عرضه على الشريعة ولو قال ما نزل إليك لكان البيان مقصورًا على ما نزل إليه فقط دون واردات أمته فاعلم ذلك.

(زمرّد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: **﴿ولله يسجد مَن في السمٰوات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم﴾** [الرعد: ١٥]، هل للظلال إدراك حتى تسجد لله تعالى عن قصده؟ فقال رضي الله عنه: إنما جعل الله تعالى لكل شيء في العالم ظلال ساجدًا ليقوم ذلك الشيء بعبادة ربه ظاهرًا وباطنًا إن كان من أهل الموافقة فإن كان من غير أهل الموافقة ناب ظلُّه منابه في الطاعة والسجود فالظلال ساجدة تحت أقدام مظلولاتها.

فقلت له: فهل هذا السجود عامّ في كل مخلوق.

فقال رضي الله عنه: هو عامّ في جميع الخلق إلا النوع الإنساني فإنه يعمّه السجود لله خالصًا بل بعضهم يسجد اتّقاء ورياء وسمعة وبعضهم يسجد لغير الله بقصد القربة إلى الله في زعمهم من غير سلطان أتاهم ثم إن من رحمته تعالى التي وَسِعَت كل شيء تنفيسه تعالى عن عباد الأوثان بأمره الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وبأمره عباده بالسجود لبيت المقدس وللكعبة لعلمه تعالى من عباده أن منهم مَن يسجد للمخلوقات عن غير أمر الله ولذلك يكون السؤال لهم يوم القيامة بقوله: مَن أمركم بالسجود إلى غيري؟ لا بقوله:

مَن جوّز لكم السجود لغيري؟ فإنه لو وقع السؤال منه بهذا لقالوا: أنت يا ربنا، فإذا قال: لهم في أيّ كتاب؟ قالوا: قياسًا على ما أمرت بالسجود له من المخلوقات المعظّمة كما قاس علماء الأديان الأحكام بعضها على بعض وجعلوها دينًا فيقول لهم الحق ولكم السجود والقياس عن أمري الخاصّ لهم دونكم وبذلك تقوم الحجة عليهم لله عزَّ وجل ويُدخلهم في النار.

فقلت له: فإذن مَن عمّه السجود من المخلوقات أكمل من الإنسان فإنه لم يعمّه السجود كله. فقال رضي الله عنه: لا كمال فوق كمال الإنسان.

فقلت: فلأيّ حكمة خفي كماله حتى كرهه أكثر الناس؟ فقال رضي الله عنه: الحكمة في ذلك نحن فيه من سجود بعض العباد لربه كرهًا لا طوعًا فأعطى الله عزَّ وجل عبده الكامل النسب بالتأسّي به فإنه قال: ﴿ألم ترَ أن الله يسجد له مَن في السمٰوات ومَن في الأرض﴾ [الحج: ١٨] فأطلق والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجرة والدواب فعمّ الأمهات والمولّدات وما ترك شيئًا من أصناف المخلوقات، فلما وصل بالتفصيل إلى ذكر الناس قال: ﴿وكثير من الناس﴾ [الحج: ١٨] ولم يقل كلهم فلذلك يكون حال عبده الصالح يحبه الله وجميع مَن في السمٰوات ومَن في الأرض وكثير من الناس وكثير كفروه ورموه بالزندقة وشتموه وكذّبوه، قال رسول الله ﷺ: «كذبني ابن آدم وما ينبغي له وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك»[1] الحديث.

فقلت له: قد ورد أن الله عزَّ وجل إذا أحبَّ عبدًا قال لجبريل: إني أُحب فلانًا فيحبه جبريل وأهل السماء ثم يوضع له القول في الأرض فأين كان قتلة الأنبياء ومَن عادى الأولياء من هذا النداء؟ فقال رضي الله عنه: لا يحب الولي إلا مَن سمع النداء وهؤلاء لم يسمعه فحب الوليّ يبلغ إلى مدى صوت الملك من الأرض، وقد اجتمع بعض الأبدال[2] بالحيّة المحيطة بجبل ق فسألته عن حال أبي مدين رضي الله عنه بأرض المغرب؟ فقال لها: بخير. فقالت: كيف حاله مع أهل بلاده؟ فقال: يرمونه بالزندقة ويؤذونه. فقالت الحية: عجبًا لبني آدم والله ما كنت أظن أن الله عزَّ وجل يوالي عبدًا من عبيده فيكرهه أحد من الخلق. فقال لها: ومَن أعلمك به؟ فقالت: يا سبحان الله وهل على وجه الأرض أحد يجهله إنه والله ممّن اتخذه الله وليًا وأنزل محبته في قلوب عباده المؤمنين ثم أرسلت له السلام مع البدل.

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٠/٣٧٦).
(٢) الأبدال: (عند الصوفية) إحدى طبقاتها، يزعمون أنه إذا مات بدل من الأبدال حلّ محله آخر.

فقلت له: ما مقام الشيخ أبي مدين هذا؟ فقال رضي الله عنه: ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه، أنه كان أحد الإمامين لأنه كان يقول سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك وهي سورة أحد الإمامين.

فقلت له: فهل الظل الساجد من قسم العدم الذي هو النور المبين؟ فقال رضي الله عنه: هو من قسم الظلمة ولذلك تكون فيه الراحة.

فقلت له: فلِمَ كانت الظلال مستورة بأشخاصها؟ فقال رضي الله عنه: لئلا تعدمها الأنوار فلا يكون لها وجود وإذا أحاطت الأنوار بالشخص اندرج ظلّه فيه وانقبض إليه.

فقلت: فإذن في كل شخص ظلاَّن؛ ظل يخرج عنه متصلاً به من طرف ابتداء وجوده، وظل في نفس الشخص يقابل ذلك الظلّ الممتد عنه. فقال رضي الله عنه: نعم، قال تعالى: ﴿ألم ترَ إلى ربك كيف مدَّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكنًا ثم جعلنا الشمس عليه﴾ [الفرقان: ٤٥] يعني على مدّ الظل دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا فشرّف تعالى مَن خرج عنه الظل بقوله: إلينا فانظر واعتبر تحصل الفائدة واشكرني عند ربك فإني كنت المترجم لك عمّا نبّهك الحق تعالى عليه في هذه الآية مثل ما ذكر الله واعلم أن ظلك لا يلحقك إن أدبرت عنه واستقبلت النور تطلبه وأنت لا تلحقه إذا أقبلت عليه وأعرضت عن الشمس وفي إعراضك عن الشمس الخسران المبين.

فقلت له: فإذن الكامل مَن كان مع الله كالظل مع صاحبه لا ينحجب عنه ولا يعترض عليه لأن الظل إن مددته على مزبلة امتد وإن مددته على بساط حرير امتد لا يفرح بهذا ولا يحزن لهذا ولا يسكن إلا بسكون صاحبه ولا يتحرّك إلا بتحريكه الخاص. فقال رضي الله عنه: نعم، مَن حصل له ذلك مع الله فهو العبد الخالص.

فقلت له: فهل الظل ابن النور؟ فقال رضي الله عنه: نعم، هو ابن للنور والجسم الكثيف أنزله.

فقلت له: فما عرف أحد حينئذ حق الأُم إلا الظل ولا تأدب أحد مع أبيه مثله؟! فقال رضي الله عنه: نعم، فإنه لا يقوم أبدًا من بساط الخضوع والذلّة إلا إذا قابل جدارًا فما أقامه إلا ذلك الجدار وهو غيره لا عينه والله أعلم.

(زبرجد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله﴾ [النساء: ١٣٦]، ما كان هذا الإيمان الأول؟ فقال رضي الله عنه: يريد

تعالى بالإيمان الأول الإيمان بالكتب المتقدمة، وبالإيمان الثاني الإيمان بمحمد ﷺ أي قولوا لا إله إلا الله وآمنوا بما ذكر لقول محمد ﷺ لا لعلمكم السابق بذلك ولا لإيمانكم بنبيِّكم الأول لتجمعوا بين الإيمانين ويكون لكم أجران وقد وقع أن الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرة: يا عيسى قل: لا إله إلا الله.

فقال عيسى عليه السلام: أقولها لا لقولك لا إله إلا الله فرجع الشيطان خاسئًا وإنما قال لا لقولك لعلمه عليه السلام أن الشيطان ليس غرضه إلا أن يجهل الخلق الخواطر الربَّانية ويأخذوا عنه.

فقلت له: فلِمَ جاء إبليس لعيسى في ظاهر الحس دون الباطن؟ فقال رضي الله عنه: لعلمه أنه ليس له إلى باطن الأنبياء من سبيل فإن خواطرهم لا حظّ للشيطان فيها إنما هي ربَّانية أو ملكية أو روحية ومن هذا الذي قرَّرناه يعلم الفرق بين العلم بالشيء وبين الإيمان به وأن السعادة في الإيمان أن يقول العبد ويفعل ما يفعل لقول رسوله لا لعلمه هو وأنه لا ينفع أهل الكتاب الآن أن يقولوا لا إله إلا الله لأمر موسى أو عيسى لهم في ذلك إنما ينفعهم قولهم ذلك لقول محمد ﷺ.

(بلخش): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿ولقد همَّت به وهمَّ بها﴾ [يوسف: ٢٤]، ما هذا الهمّ فإن الله تعالى أبهم الهمّ في الجهتين والناس تكلموا في ذلك بما لا يليق برتب الأنبياء عليهم السلام؟ فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

قلت: قد ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أن مطلق اللسان يدلّ على أحدية المعنى ولكن ذلك أكثري لا كلّي، فالحق أنها همَّت به عليه السلام لتقهره على ما أرادته منه وهمَّ بها هو ليقهرها في الدفع عمَّا أرادته منه فالاشتراك في طلب القهر منه ومنها والحكم مختلف، ولهذا قالت أنا راودته عن نفسه وما جاء في السورة قطُّ أنه راودها عن نفسها.

فقلت له: فما معنى قوله تعالى: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤]، وما هذا البرهان؟ فقال رضي الله عنه: كان برهانه الذي رآه من الرأي أن يدفعها عن نفسه بالقول الليِّن بل ورد أن الحق تعالى أمره بأن لا يعنِّفها عمَّا وقعت فيه وقال سسها فإنها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال فهو من رؤية النفس. فقلت له: فلِمَ قال يوسف عليه السلام: ﴿ربِّ السجن أحبّ إليَّ مما يدعونني إليه﴾ [يوسف: ٣٣] ولم يجب الداعي.

ورسول الله ﷺ يقول: «لو كنت مكانه لأجبت الداعي» فهل ذلك ثناء على يوسف؟ مثل قوله ﷺ: «نحن أولى بالشك من إبراهيم»[1] أو المراد غير ذلك، فقال رضي الله عنه: هو ثناء على يوسف كأنه ﷺ يقول: «لو ابتليت ما ابتلي به يوسف لأجبت الداعي ولم ألبث في السجن مثل ما فعل يوسف»[2]، قال ذلك ﷺ: هضمًا لنفسه وتواضعًا لأخيه يوسف عليه السلام، وليس ذلك بذمّ ليوسف حاشا رسول الله من ذلك فإن يوسف عليه السلام إنما قصد بعدم الحضور صحة البراءة له في غيبته فإنها أدلّ على براءته من الحضور وقد اجتمع بيوسف عليه السلام وهو نبي حالان شديدان؛ حال السجن وحال كونه مُفترًى عليه والرسول يطلب أن يقرر في نفس المرسل إليهم ما يقبلون به دعاويهم فهو يطلب البراءة مما جرح به عند قومه ليؤمنوا بما جاءهم به من عند ربهم فلذلك لم يحضر بنفسه ذلك المجلس فإنه لو حضر لدخلت الشبهة في نفوس الحاضرين بحضوره فكأن إقامته في السجن بعد أن دعاه الملك إليه من الفتور، فقلت له: فهل قوله تعالى: ﴿إن النفس لأمّارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣] من كلام يوسف أم من كلام المرأة؟ فقال رضي الله عنه: هو من كلام المرأة في مجلس العزيز، قالت ذلك هضمًا لنفسها حين بانَ لها الحق وليس ذلك من كلام يوسف لأن الأنبياء تعلم أن النفس ليست قابلة للسوء من حيث ذاتها وإنما يعرض لها قبول السوء من القرين إذ ألحّ عليها وهي محجوبة عن مقامها الكريم.

فقلت له: أنا أعتقد أن النفس تريد السوء لكن لا تأمر به لأنها مخلوقة على القوانين الإلهية. فقال رضي الله عنه: اعتقاد حسن.

فقلت له: إن الله حكى هذا القول وأقرّ قائله عليه. قال رضي الله عنه: حكاية الله عزّ وجل صحيحة، ولكن هل أصابت في هذه الإضافة أو لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه فاجعل بالك في حال تلاوتك والقرآن لما يقوله ربك عن نفسه وما يحكيه عن العالم وفرّق بينهما تكن من الأدباء العلماء.

فقلت له: فما مثال ما قاله الحق من عند نفسه؟ فقال رضي الله عنه: نحو قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسّه الشرّ جزوعًا وإذا مسّه الخير منوعًا﴾

---

(١) أخرجه البخاري (أنبياء ١١)، (تفسير سورة ٢، ٤٦)، ومسلم (إيمان ٢٣٨)، (فضائل ١٥٢)، وابن ماجه (فتن ٢٣)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣٢٦.

(٢) أخرجه البخاري (تعبير ٩)، (أنبياء ١١، ١٩)، (تفسير سورة ١٢، ٥)، ومسلم (إيمان ٢٣٨)، (فضائل الصحابة ١٥٢)، والترمذي (تفسير سورة ٥٥، ١٢، ١)، وأحمد بن حنبل ٦، ٣٢٦، ٣٣٢.

[المعارج: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ [العاديات: ٦] فإن هذا عن الله وهو حق كما هو مشاهد بخلاف نحو قوله تعالى: ﴿حكاية عن قول مؤمن آل فرعون إن المسرفين هم أصحاب النار﴾ [غافر: ٤٣] وقول امرأة العزيز القول المذكور فإن مثل ذلك يحتاج إلى دليل آخر يزيده فإنه لا يلزم من حكاية الحق تعالى عن عبده شيئًا أن يكون وصية لقصور الحق عن درك غايات الأمور وحقائقها فتأمل ذلك.

(زمرّد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول الله عزّ وجل: ﴿فلا تسألنّ ما ليس لك به علم﴾ [هود: ٤٦] وهل يسأل الإنسان إلا عمّا لا يعلم؟ فقال رضي الله عنه: المراد به النهي عن الأمور التي ليس في مقدور البشر الإحاطة بحكمتها ولا بحقيقتها كمعرفة الذات وسرّ القدر المتحكم في الخلائق وفي ابنه حتى عمل غير صالح ويدخل في النهي عن السؤال في زيادة الأحكام على أمته فإنه لا يسوغ السؤال في زيادتها لأحد من الرُسل بخلاف سؤال العلم ببيان ما نزل وانقطع فافهم، ثم انظر إلى لطفه سبحانه وتعالى بنوح عليه السلام بقوله: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود: ٤٦] فرفق به لشيخوخته وكبر سنه وأين هذا الخطاب من خطابه لرسول الله ﷺ بقوله: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ [الأنعام: ٣٥] وأين القهر من اللطف؟ وإنما كان ذلك لرسول الله ﷺ لأنه لشرفه وقربه لا يتأثر بالكلام الذي ظاهره الجفا مع زيادة الشبوبية والشدة على نوح عليه السلام فإن رسول الله ﷺ كان عمره إذ ذاك نحو خمسين وكان عمر نوح حين ذاك الخطاب أكثر من خمسمائة سنة فأين هي من الخمسين ويستنبط من تلطّف الله عزّ وجل بنوح في الخطاب المذكور أن من الأدب للعالم الكامل إذا سُئِلَ عن أمر يعرف من السائل قصوره عن فهم جوابه على طريق الأكابر أن يتنزّل له في الجواب على قدر فهمه ولا يسكت عن إجابته ويقول له ليس من رتبتك السؤال عن مثل هذا فإنه ما من سائل إلا وفيه أهليّة للجواب وقبوله ولولا أهليّته ما تصوّر ذلك الحكم حتى سأل عنه فيتعيّن الجواب له ولذلك قال تعالى: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ [الضحى: ١٠] وصية لنا وتنبيهًا على حالنا، وقال تعالى لنبيّنا ﷺ: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ [الضحى: ٧]، نهيًا عن قولنا للسائل لست من أهل ما سألت عنه فعلى العالم أن ينظر في مسألة كل سائل ويجيبه بالوجه الذي يليق به ويستر عنه الوجوه التي لا يفهمها فإن لكل مسؤول عنه وجوهًا كثيرة فإن أجبته بجواب ولم يفهمه فأنت القاصر في معرفة ما له من الجواب في تلك المسألة فلا تلمه ولُمْ نفسك.

فقلت له: لعلّ هذا في حق الأجانب، أما المريد فللشيخ أن لا يجيبه بجواب أصلاً. فقال رضي الله عنه: نعم، تنشيطًا لهمّته لا جهلاً بجوابه والله واسع عليم.

(فيروزج): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول لوط عليه السلام لو أن بكم قوة ما هذه القوة؟ وكيف ساغ له هذا الضعف وهو من أكابر الرُسل وبعض الأولياء يقول: لو أن الثقلين توجّهوا لنحوي بالضرر لنفخت عليهم فصيَّرتهم هباءً منثورًا. فقال رضي الله عنه: المراد بهذه القوة الهمَّة التي تكون من خواص الأنبياء فتمنى عليه السلام أن يكون له همَّة مؤثِّرة فيما خالفه لما حصل عنده من الضيق، ومن هنا كانت الحكمة في إرسال الرُسل إنما هي بعد الأربعين حين يأخذ العبد في النقص، والعجز، والرسوخ فيهما ليحتملوا تكذيب أُممهم لهم ولو أنهم بعثوا حال شبابهم وقوتهم لربما بطشوا بمَن كذبهم فأهلكوا.

فقلت له: فكيف ساغ له تمنِّي النزول في الدرجة والكاملون من كمالهم أن لا يكون لهم همَّة تؤثِّر في غيرهم؟

فقال رضي الله عنه: تنزل ولم يزد على ذلك. فقلت له: ولو نزل الرُسل إلى مقام بشريتهم فهم أكمل من الأولياء والتصريف عند أكابر الأولياء نقص.

فقال رضي الله عنه: لا يكون نقصًا إلا إذا لم يؤمروا به فإن أُمروا به فهو كمال فالنقص نسبةٌ بحسب المقام ولذلك وقع الاستغفار كثيرًا من الأنبياء وهو لا يردّ على شيء أوجبه.

فقلت له: فأين العصمة؟ فقال رضي الله عنه: لا عصمة من أمر الله ومع ذلك فلا ينبغي للعبد ولو ارتفعت درجة شهوده الاستقامة في نفسه وما قال بالعصمة إلا الأتباع من الأمة لا الأنبياء لأن عبوديتهم تمنعهم من شهود ذلك والمرتبة كلما علت نقص التصريف. فقلت له: لِمَ كان ذلك؟ فقال رضي الله عنه: لشهودهم أصل خلقتهم كما قال تعالى: ﴿خلقكم من ضعف﴾ [الروم: ٥٤] وأيضًا فلأُحدية المتصرف والمتصرف في شهودهم فلا يجدون مَن يرسلون همَّتهم عليه فلا تكون الهمَّة القتالة لأحد من الكُمَّل أبدًا إنما تكون للناقصين.

فقلت له: أو تقتل الهمَّة من غير إمساس؟

فقال رضي الله عنه: نعم، فقلت: كيف؟ فقال رضي الله عنه: يجمع صاحب الهمة همَّته ويحضر نفسه على مَن يريد تنفيذ همَّته فيه على وجه الحقارة له فيقتله من شدة ازدرائه للمقتول بل نقول لو جمع هذا همَّته على انتقال شيء من أجرام العالم والأرواح كلها انفعل كما أراد لارتباط العالم العلوي بالسفلي فعلم أنه لا تؤثِّر همَّة عبد فيمن يراه أكمل من نفسه ولا مساويًا أبدًا.

فقلت له: فهل يشترط في نفوذ الهمّة إيمان صاحبها؟ فقال رضي الله عنه: لا يشترط ذلك فقد تنفذ هِمَم رجال من الرهبان ويحصل لهم التأثيرات العجيبة لا سيما كفّار الهنود فإن لهم تصرفات عجيبة في الكون ويزعمون أنهم من أهل التروحن والتقديس. فقلت له: فإذن مقام الإدلال في هذه الدار نقص. فقال رضي الله عنه: نعم، لأنها دار تكليف ومتى يتفرّغ العبد للإدلال وجميع الحقوق الإلٰهية تطلبه في كل نفس ولمحة وقلَّ عبد يخلع الحق تعالى خلعة السيادة إلا ويدخله شهود الزهو والعجب، ومن هنا قال بعضهم: اقعد على البساط وإياك والانبساط أي اقعد على بساط العبودية.

وإياك ومقام الإدلال ما دام التكليف ولكن إذا حفظ الله العبد لا يضرّه لبس خلعة السيادة فيبرز فيها عبدًا في نفسه سيّدًا عند الناظرين ولما خلعت هذه الخلعة على أبي يزيد رضي الله عنه، صار الناس يتبرّكون بمرقعته فلامه بعض الناس، فقال: إنما يتبرّكون بخلعة الحق تعالى لأبي ورأى بعض الفقراء الشيخ عبد الله بن أبي جمزة المدفون بقرافة مصر رضي الله عنه، وهو جالس على كرسي وعليه حلّة خضراء والأنبياء كلهم واقفون بين يديه فأشكل ذلك عليه فعرضه على بعض العارفين فقال له: وقوف الأنبياء إنما هو أدب مع مَن أُلبس الخلعة لا مع مَن لبس الخلعة.

فقلت له: قد بلغنا أن الإمام عليًا رضي الله عنه كان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد: أنا نقطة باسم الله، أنا جنب الله، الله الذي فرّطتم فيه، أنا القلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السمٰوات السبع، والأرضون فإذا صحا وارتفع عنه تجلّي الوحدة في أثناء الخطبة يعتذر ويقرّ بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلٰهية. فقال رضي الله عنه: نعم، وكذلك بلغنا أن الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه لمّا حضرته الوفاة وضع خدّه على الأرض، وقال هذا هو الحق الذي كنّا عنه في حجاب الإدلال فشهد على نفسه بأن مقام الإدلال الذي كان فيه نقص بالنسبة إلى حاله الذي ظهر له عند الموت.

فقلت له: في هذا دليل على عدم صحة أمره بالتصريف والإدلال كما هو مشهور بين أهل خرقته، فقال رضي الله عنه: نعم، لو كان أذِنَ له في ذلك ما وقع منه ندم ولكن من شدة صدقه تمّم الله عليه حاله فمات على كمال حال، ثم قال رضي الله عنه: إن تلميذه الشيخ أبو السعود بن الشبل رضي الله عنه، كان أتمّ حالاً من الشيخ عبد القادر لأنه لم يزل محفوظًا من الإدلال والتصريف ملازمًا لعبوديته مع الأنفاس حتى مات.

فقلت له: فصحّ قول الطائفة بداية التلميذ إذا صدق نهاية الشيخ فقال رضي الله عنه: نعم.

فقلت له: إن طائفة من أهل زماننا يدّعون أنهم خلفاء أشياخ من الأكابر وهم على طائفة من الجهل. فقال رضي الله عنه: لا ينبغي لمريد أن يتشرَّف بشيخه إنما ينبغي له أن يتشرَّف شيخه به ومَن كان جاهلاً وانتسب بأنه خليفة وليّ فقد أزرى فإنهم يقولون مَن لم يجتمع بشيخ مات فليجتمع على تلامذته يحيط به علمًا على أن طريق الولاية لا تؤخذ بالخلافة والاستخلاف، وقد حُكِيَ أن سيدي أبا الحسن النوري[1] رضي الله عنه قال لبعض الفقراء: مَن أنت؟ قال: من أصحاب الشبلي فنظر إليه نظر الغضب، وقال: قل خادمه فإن مقام الصحبة عزيز، وقال سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه يومًا لأصحابه: مَن وجد فيَّ عيبًا فليُطلِعني عليه فقام إليه يعقوب وكان أجلّ أصحابه فقال: يا سيدي فيك عيب واحد، فقال: ما هو؟ فقال: كون مثلنا من أصحابك فغشي على الشيخ رضي الله عنهم أجمعين.

(مرجانة): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: مَن نعتك بشيء فقد قام به ذلك النعت مدحًا كان أو ذمًّا فهو أحقّ به منك وقد تكون أنت على ذلك النعت وقد لا تكون ولولا أنه قام به ما اهتدى لأن يصفك وما يعلمها إلا العالمون.

(جوهر): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: وكِلاهما الشفقة على خلق الله أحقّ بالرعاية من الغيرة في الله.

فقلت له: لماذا؟ فقال رضي الله عنه: لأن الغيرة لا أصل لها في الحقائق النبوية لأنها من الغير ولا غيرية، قال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ [الأنفال: ٦١]. ففرض تعالى الجزية والصلح في حق عدو الدين تعظيمًا لهذه النشأة وسمّى تعالى القصاص سيئة في حق مَن أخذ بحقه ولم يصفح فقال: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال مثلها لينبّه على العفو مع كون ذلك القصاص مشروعًا فافهم.

فقلت له: فإذن قصاص الحق تعالى عبادة مائل إلى الرحمة بهم تأديبًا لهم. فقال رضي الله عنه: نعم، ويظهر لك حكمة ذلك في صنعة الطب فإنه لولا قطع الأكلة هلك صاحبها والله أعلم.

(ياقوت): سألت أخي أفضل الدين رضي الله عنه، عن قوله تعالى عن موسى عليه السلام قال: ﴿ربِّ أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ [الأعراف: ١٤٣]، كيف يسأل الرؤية

---

(١) هو أبو الحسين - أحمد بن محمد النوري (توفي ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م). ولد ونشأ في بغداد. بغوي الأصل صحب سري السقطي وابن أبي الحواري وكان كبير الشأن حسن المعاملة من أقواله: أعزّ الأشياء في زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة. الرسالة القشيرية (٤٣٩).

في الدنيا ورسول الله ﷺ يقول: «لن يرى أيّ أحد ربه حتى يموت»[1] فهل ثَمّ مقام في الرسالة يطلب الرؤية في الدنيا أم لا وإذا لم يطلبها فهل قوله ﷺ: «لن يرى أحد ربه» نفي عامّ أو خاص.

فقال رضي الله عنه: قد سُئِلَ الشيخ محيي الدين رضي الله عنه، عن مثل ذلك فقال: هذا لا يجهله رسول فما بقي إلا أن في مقام الرسالة مقامًا يطلب الرؤية في الدنيا وقوله ﷺ نفي عامّ فإن موسى عليه السلام ما رأى ربه تعالى حتى خرّ صعقًا[2] ميتًا فرآه في صعقته، قلت: موتًا، قال: موتًا كما أخبر بذلك عليه السلام حين اجتمع به من طريق الكشف الروحاني. فقلت له: إن نبيّنا ﷺ شك في أمره، وقال: أنا أول مَن تنشقّ عنه الأرض فأنظر فإذا موسى متعلق بقائمة العرش فلا أدري أجُوزِيَ بصعقة الطور فلم يصعق في نفخة الصعق، أم كان ممّن استثنى الله»[3]؟ فقال رضي الله عنه: كان هذا القول منه ﷺ قبل أن يعلمه الله به ثم إن الله أعلمه أن موسى جُوزِي بصعقة الطور فما رآه حتى مات ثم أفاق فعلم مَن رأى واستصحبته رؤيته أبد الآبدين، ولذلك قال: تبت إليك فإنه ما رجع إلا إليه وكان قبل الرؤية يراه ولكن ما يعلم أنه هو فلما اختلف عليه الموطن ورآه علم مَن رأى فهذا ما خصّ به على غيره وإلا فغيره يراه ولا يعلم أنه هو وإذا كان في قلبك لقاء شخص وأنت لا تعرفه بعينه فلقيك وسلّم عليك وأنت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته.

فقلت له: إن الله عزّ وجل أحال موسى في الرؤية على الجبل وذكر عن نفسه تعالى أنه تجلى للجبل لا لموسى. فقال رضي الله عنه: قد تجلّى له ولكن لا يثبت لتجلّيه شيء فلا بد من تغيّر الحال فكان الدكّ للجبل كالصعق لموسى فالذي دكّ الجبل أصعقه.

فقلت له: فلِمَ رجع موسى إلى صورته ولم يرجع الجبل بعد الدكّ إلى صورته؟ فقال رضي الله عنه: إنما زالت عين الجبل لخلوّه عن الروح بخلاف موسى عليه السلام لم تزل صورته وعينه حين خرّ صعقًا لأنه كان ذا روح فروحه تمسك صورته على ما هي عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدكّ كما كان جبلاً لأنه لم يكن له روح تمسك صورته.

فقلت له: فهل الشهود الذي يقول به الطائفة هل هو الرؤية أو غيرها؟ فقال رضي الله عنه: الشهود غير الرؤية والفرق بينهما أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي بخلاف

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه الفتن ب ١٩ رقم ٩٥)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٤٣٣).
(٢) صعقًا: غُشي عليه وهلك.
(٣) أخرجه علي الغفار في (مختصر العلو ١٠٨).

المشاهدة يتقدمها علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الإقرار والإنكار في شهود التجلّي الأُخروي ولا يكون في الرؤية إلا الإقرار وما سمّي الشاهد شاهد إلا لأن ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده.

فقلت له: بماذا سمع موسى عليه السلام كلام الله؟ قال: بسمعه. قلت: وما سمعه إذ ذاك؟ قال: هو عند عامة أهل الكشف.

فقلت له: فيمَ خصص؟ قال: بذوق في ذلك لا يعلمه إلا صاحبه. قلت له: فأصحاب الأذواق كلهم كذلك؟ قال: نعم، ولكن الأذواق على قدر المراتب ومن هنا خصَّ موسى عليه السلام بالمراجعة ليلة الإسراء في شأن الصلوات لذوقه ذلك الأمر في بني إسرائيل قبل نبيِّنا ﷺ فإن للمباشرة حالاً لا يدرك إلا بها فكان ذلك من فوائد علم الذوق.

فقلت له: فجزى الله عزَّ وجل موسى خيرًا في سعيه في التخفيف عنَّا. فقال رضي الله عنه: سعي الإنسان في حق الغير إنما هو في الحقيقة سعي لنفسه والأنبياء أحق بذلك الوصف من غيرهم لإعطائهم كل ذي حق حقه.

فقلت له: إن أكابر المعتزلة أنكروا رؤية الباري جلَّ وعلا في الدنيا والآخرة خلاف ما وردت به الآيات والأخبار. فقال رضي الله عنه: صحيح ما أنكروه لأن أحد لا يرى الحق تعالى قطّ إلا من خلف رداء الكبرياء كما ورد في تجلِّي الحق تعالى في جنة عدن من قوله ﷺ: «وليس على وجهه تعالى إلا رداء الكبرياء ووجه الشي ذاته، فالرداء حجاب دائمًا بينك وبينه مانع من وصول الرؤية إليه وصدق الله تعالى قوله لموسى لن تراني فإن الأعين لا تصل إلا إلى الرداء فتأمل هذا مشهد أكابر المعتزلة، وأما عامَّتهم من المقلِّدين فأخذوا بظاهر الأمر ومنعوا الرؤية أصلاً فصادموا الشريعة فأخطأوا.

فقلت له: فهل كان هارون عليه السلام رسولاً مستقلاً مع موسى؟ أم بحكم التبعية له من باطن رسالته فإن علماء مصر قد اختلفوا في ذلك ووقع بينهم اختلاف كثير سنة سبع وثلاثين وتسعمائة. فقال رضي الله عنه: أما كون هارون نبيًّا فهو بحكم الأصل، وأما كونه رسولاً فبحكم التبع فإنه عليه السلام ما أخذ الرسالة إلا بسؤال أخيه موسى في قوله وأشركه في أمري.

فافهم قوله في أمري، وتأمل قوله تجده دعاء، والدعاء له معدود من الكسب فالرسالة غير مكتسبة بالإجماع فمَن قال إن هارون رسول مستقل أخطأ ومَن نفى رسالته أصلاً أخطأ فكان موسى يوحى إليه بما كان هارون عليه من التعبّد بشرع التوراة.

فقلت له: فكيف سأل هارون موسى مع كونه نبيًا أن لا تشمت بي الأعداء وجعل للأعداء قدرًا وبعض العارفين من هذه الأمة ادّعى أن الوجود ينعدم في حق العارفين فلا يرون إلا الله ولا شك أنهم في المرتبة دون الأنبياء؟ فقال رضي الله عنه: ما زعمه العارفون من انعدام الوجود في شهودهم فهو صدق منهم لأنهم ما زادوا على ما أعطاه ذوقهم ولكن انظر هل زال من العالم ما زال عندهم؟

فقلت: لا. فقال: فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم من شهودهم عدم العالم ونقص علمهم بالحق تعالى بقدر ما انحجب عنهم من العالم والكامل مَن أقرّ الوجود كله وعرف الحق من سائر الوجوه والله أعلم.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله ﷺ: **«إن الله عزّ وجل كتب التوراة بيده»**، فكيف أمكن اليهود تحريفها وتبديلها؟ فقال رضي الله عنه: التوراة ما تغيّرت في نفسها وإنما كتابتهم إيّاها وتلفظهم بها لحقه التغيير فنسب مثل ذلك إلى كلام الله عزّ وجل كما قال تعالى: **﴿يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾** [البقرة: ٧٥] فهم يعلمون أن كلام الله تعالى معقول عندهم وأنهم أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما في صدورهم عندهم وفي مصحفهم المنزّل عليهم فما حرّفوا إلا عند نسخهم من الأصل التي هي الألواح وهي باقية على ما هي عليه.

وذلك ليبقى لهم ولعلمائهم العلم. فقلت له: فإن آدم خلقه الله بيده وما حفظه من المخالفة والنسيان وأين رتبة اليد من اليدين؟ فقال رضي الله عنه: إنما جاء آدم ذلك من جهة طينته وطبيعته لأنها هي الجهة التي جاءه منها الوسوسة، وأما كلام الله فهو معصوم لأنه حكم والحكم معصوم ومحله العلماء به وآدم عليه السلام ما هو حكم الله فلا يلزم عصمته من جريان الأقدار عليه بل هو محلها الأعظم. فقلت له: فآدم ما هو معصوم إلا فيما ينقله عن ربه لا في نفسه. فقال رضي الله عنه: نعم، وكذلك جميع الأنبياء والله أعلم.

(زمرّد): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** [الأنعام: ١٠٣] لِما خصّ الحق تعالى نفي إدراكه بالبصر خاصة دون سائر قوى الإنسان مع السمع، والعقل، والشم، واللمس، والذوق؟

فقال رضي الله عنه: إنما نفى إدراكه في هذه الدار بالأبصار خاصة لحكمة لا يتعقلها إلا مَن أطلعه الله على صدور العالم ولذلك سمّى سبحانه وتعالى نفسه بالباطن إشارة إلى إدراكنا بغيبتنا لا بشهادتنا ولم يزد على ذلك، فمَن أطلعه الله على الجواب فليلحظه هٰهنا والله أعلم.

(عقيق): سألت شيخنا رضي الله عنه: أيما أفضل الحركة أو السكون؟ فقال رضي الله عنه: السكون أفضل.

فقلت له: لِمَ؟ فقال رضي الله عنه: لأنه عدم لا يشوبه دعوى ولما علم أهل الله أنه لا عمل لهم في حركة ولا سكون إلا بحكم التبعيَّة للحق فإنه المحرِّك للحركة الظاهرة بالحركة الخفيَّة التي لا ترى سكنوا واتخذوا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله نجبًا ركبوها. فقلت له: لِمَ خصّوا الاتخاذ بها دون غيرها؟ فقال رضي الله عنه: لئلا يقع منهم افتخار، وإذا افتخروا قيل لهم: الفخر حقيقة للمركوب لا للراكب لأن المركوب هو الذي قطع المفاوز والبراري بكم فلذلك لم يتخذوا نجبًا من قول الحمد لله لأن هذا الذكر من خصائص الوصول، ولا من سبحان الله لأنه من خصائص التجلّي ولا من لا إلٰه إلا الله لأنه من خصائص الدعاوى ولا من الله أكبر لأنه من خصائص المفاضلة فتعيَّن اتخاذها من لا حول ولا قوة إلا بالله لكونه من خصائص الأعمال فعلاً وقولاً ظاهرًا وباطنًا وبها يقولون لا إلٰه إلا الله وبها يقولون سبحان الله وغير ذلك من جميع الأفعال والأقوال والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن العدم المحض الذي يقول به الطائفة ما حقيقته؟ فقال رضي الله عنه: لا يعلم له حقيقة لأن العدم المحض ما لم يتضمنه العلم القديم وهذا لا يعقل وإنما يتكلم الناس فيه على سبيل الفرض والتقدير وقد تقدم في الخاتمة أن الأمر حق وخلق، والوجود المحض لا يقبل العدم أزلاً وأبدًا، والعدم المحض لا يقبل الوجود أزلاً وأبدًا والإمكان يقبل الوجود لسبب والعدم لسبب فالوجود المحض هو الله لا غيره، والعدم المحض هو المُحال ليس غيره والإمكان هو العالم ليس غيره فمرتبة الممكن حالة وسطى من الوجود المحض والعدم المحض فيما ينظر منه إلى العدم يقبل العدم وبما ينظر منه إلى الوجود يقبل الوجود لم يزل الرب ربًّا والممكن مربوبًا وإن اتَّصف بالعدم فإن الحق تعالى لا يصحّ أن يكون ربًّا على نفسه وهو رب وقد قدَّمنا في الكتاب أيضًا أن الأعيان الثابتة في العلم الإلٰهي لم تزل تنظر إلى الحق تعالى بعين الافتقار أزلاً ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل الحق تعالى ينظر إليها بعين الرحمة فهو رب في حال عدمنا كحال وجودنا سواء لأن الإمكان لها كالوجود له هذا أدق ما يقال فتأمله وإياك أن تفهم منه قِدَم العالم على وجه مساواته للحق في العلم الإلٰهي كما يقول به الفلاسفة لأنه كلامنا إنما هو تعلّق العلم الإلٰهي به لا أن وجوده مساوٍ لوجود الحق فافهم وإلا أضعف الجهل بالعالم للرب تبارك وتعالى والله أعلم.

(زمرّد): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: الأسماء على قسمين: قسم يطلب العالم، وقسم لا يطلب العالم، ولكن لا يتروَّح منها ذلك فأما الأسماء التي تطلب العالم فكالاسم الرب، والقادر، والخالق، والنافع، والضارّ، والمُحيي، والمميت، والقاهر، والمعزّ، والمذلّ، إلى أمثال ذلك فإن الربوبية مثلاً نعت إضافي لا ينفرد به أحد المتضايفين على الآخر إذ هي موقوفة على اثنين وإن كانا متباينين فرب بلا مربوب لا يكون وجودًا وتقديرًا ومالك بلا مملوك لا يكون وجودًا وتقديرًا وهكذا كل متضايفين فنسبه العالم إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلٰهية نسبة المتضايفين من العالم يطلب تلك الأسماء وتلك الأسماء الإلٰهية تطلبه كذلك.

وأما الأسماء التي تطلب العالم فكالغني، والعزيز، والقدّوس، وأشباهها. فقلت له: فإذن ما ثَمّ لله تعالى أسماء تدلّ على ذاته تعالى خاصة من غير تعقّل معنى زائد على الذات أبدًا؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لأنه ما ثَمّ اسم الأعلى أحد أمرين إما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد.

وإما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزّه الحق عنها غير ذلك ما أعطانا الله، وكان الشيخ محيي الدين وغيره يقول: ما ثَمّ لله اسم علم ما فيه سوى العلمية لله أصلاً إلا إن كان ذلك في علمه تعالى استأثر به في غيبته وذلك ثناء.

فقلت له: إن العلماء كلهم أجمعوا على أن الاسم الله علم على الذات، فقال رضي الله عنه: صحيح هو علم ولكن مرادنا بالعلم ما لا يقوم به ثناء على المسمى وأما الاسم الله وغيره فإنما هي أسماء للمعاني التي تدلّ عليها ثم إن تلك المعاني هي التي يثني بها عليه كالعالم والقادر وباقي الأسماء فهي متضمنة للثناء عليه بالألوهية والعلم والقدرة والله أعلم.

(ماس): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الجنيد[1] رضي الله عنه لا يبلغ الرجل درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق ما المراد بدرج الحقيقة؟ فقال رضي الله عنه: درج هو زوال هذا الوجود في الشهود فإنه إذا شهد هذا المشهد لا يصير

---

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزار أبو القاسم (... ـ ٢٩٧ هـ = ... ـ ٩١٠م) صوفي من العلماء بالدين مولده ومنشأه ببغداد، أصل أبيه من نهاوند توفي ببغداد. عُرِفَ بالخزار لأنه كان يعمل بالخزّ، وهو أول مَن تكلّم في علم التوحيد ببغداد. من مؤلفاته (دواء الأرواح) رسالة صغيرة ضمن مجموع في الأزهرية. الأعلام ٢/١٤١، وفيات الأعيان ١/١١٧، وحلية ١٠/٢٥٥).

يرى إلا الله وإذا لم يرَ إلا الله فما يدري ما يقول ولا يتخصَّص كلامه على دين ولا ملَّة فلا يسمع الصديق إلا أن يرميه بالزندقة غيرة على شريعة محمد ﷺ فالمراد بالصديق هو مَن سلك طريق الشرع على التمام والكمال ولذلك صحَّت من الغيرة على الشريعة وعادى مَن شطح عنها من أهل الوحدة المطلقة. فقلت له: فهل يسلم أحد من الشطح في اعتقاده وشهوده حال سلوكه وترقِّيه.

فقال رضي الله عنه: لا بد لكل سالك أن يقع فيما وقع فيه الحلاج ولكن يحفظ الله مَن يشاء فإذا رجع إلى مرتبة الكمال حفظ من الشطح وتقيد بالشرع ليقتدي به المقتدون كما تقدَّم بسطه في الكتاب مرارًا والله أعلم.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: حدَّثني قلبي عن ربي؟ فقال رضي الله عنه: المراد بذلك ما يحصل للقلب في حال المشاهدة من العلم الذي منه تقع الإفاضة على السرّ والروح والنفس فالحديث خاص بالسر والكلام خاص بالكليم من الرُّسل ففرَّق بين مَن يقول حدَّثني وبين مَن يقول كلَّمني، وقد قال ﷺ: «إن يكن من أمتي محدَّثون فعمر»، وكان سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه يقول: حدَّثني ربي عن ربي أي عن نفسه بارتفاع الوسائط. وكان الحلاج يقول: حدَّثني ربي عن نفسي وهذا أعلى المراتب عندهم والله أعلم.

(جوهر): سألت شيخنا رضي الله عنه: عن قول النفري رحمه الله في مواقفه أوقفني الحق تعالى، وقال لي: كذا هل المراد بهذا الوقوف في مكان أو زمان إذ الإنسان دائم السير؟ فقال رضي الله عنه: المراد به الوقوف الزماني لأنه ما من منزل من المنازل ولا حال من الأحوال ولا مقام من المقامات إلا وبينهما برزخ يوقف السالك فيه يسمى موقف السواء فلا بدَّ للسالك إذا أراد الحق تعالى أن ينقله إلى أعلى ما هو فيه أن يوقفه في البرزخ ويعلِّمه آداب المقام الذي ينتقل إليه قبيل انتقاله فيكون على أُهبة والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول في حديث: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَن يقول الله الله»[1] المراد به الإنسان الكامل وحده في كل زمان وهو الذي يكون له قدر أن جميع العالم غفل عن الله عزّ وجل قام ذكر هذا الكامل مقام ذكر الكل. فقلت له: فلِمَ كرر ﷺ الاسم العظيم بقوله: «الله الله» ولم يكتفِ بذكره مرة واحدة؟ فقال رضي الله عنه: إنما كرر ﷺ الاسم مرتين ليثبت لنا بذلك أنه ذكر على الانفراد فإنه لم ينعته

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٢٣٤)، والترمذي (فتن ٣٥)، وأحمد بن حنبل (٣، ١٠٧، ٢٠١، ٢٥٩).

بشيء وسكن الهاء منه فكان ذلك كالتفسير لقوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] أي كرّروا هذا الاسم كثيرًا، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي ذكركم الاسم الله أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروع الطالبة لوجود الأغيار كالرحمٰن والغفور والرزاق ونحوها فما في الأذكار كلها أعظم فائدة من ذكر الاسم الله لأنه جامع لجميع الحقائق لا يطلب أحدًا من الأغيار المشهودة في هذا العالم ولولا أن نقول الله تالله له حفظ العالم لم يقرن ﷺ زوال الكون بزوال مَن يذكر به ولذلك أيضًا اتخذه الكُمّل من العارفين وِردًا لهم لا يخف على لسانهم اسم مثله لأنهم لا يشهدون شيئًا من الأسماء لا يفرّق قلوبهم غيره. فقلت له: فهل لنا الذكر بقولنا هو هو أو ذا ذا أو كا كا أو نحو ذلك من أسماء الإشارة؟ فقال رضي الله عنه: نعم، لنا الذكر بذلك بشرط الحضور خلافًا للغزالي[1] رضي الله عنه فيما عدا الذكر بهو فإنه قال إن ذا وكا يطلب التحديد وكان الحلاج يقول: إنما منع من ذلك مَن لا ذرق له في الطريق إذ التحديد لا ينفكّ عنه عاقل انتهى وقد تقدّم إيضاح ما ذكره الحلاج[2] في شرح الميزان والله واسع عليم.

(ياقوت): سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «مَن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[3] لِمَ قصر ﷺ دخول الجنة على مَن يعلم، وما قال مَن مات وهو يؤمن أو يقول؟ فقال رضي الله عنه: إنما أفرد العلم هنا بالحكم دون الإيمان والقول لأن الإيمان موقوف على بلوغ الخبر على لسان الشّارع من الله عزّ وجل ومن المعلوم أن لله تعالى عبادًا كانوا في زمن الفترات وهم موحِّدون علمًا لا إيمانًا كقس بن ساعدة وأضرابه كما مرّ إيضاحه في هذه المقدمة وأيضًا فإن دعوة الرُسل قبل محمد ﷺ لم تكن عامّة حتى يلزم أهل كل زمان الإيمان فلهذا خصّ رسول الله ﷺ العلم ليعمّ جميع العلماء

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف له نحو مئتي مصنّف. ولد وتوفي في (الطابران) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. من كتبه (إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) و(الاقتصاد في الاعتقاد) و(محك النظر) وغير ذلك. الأعلام ٧/ ٢٢ ـ ٢٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٦٣، وطبقات الشافعية ٤/ ١٠١.

(٢) هو الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث (... ـ ٣٠٩هـ = ... ـ ٩٢٢م) فيلسوف أصله من بيضاء فارس ونشأ بواسط العراق (أوبتستر) ثم انتقل إلى البصرة وحج ودخل بغداد ثم عاد إلى تستر فاتّبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان ثم سجن وعُذّب وضُرب وهو صابر لا يتأوّه ولا يستغيث وقطعت أطرافه الأربعة ثم حُزّ رأسه وأُحرقت جثته ووضع رأسه على جسر بغداد من كتبه (طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية) و(الظن الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية) وغير ذلك. الأعلام ٢/ ٢٦٠، ولغة العرب ٣/ ١٥٤، والمشرق ١٢/ ١٩١.

(٣) أخرجه مسلم (إيمان ٤٣).

بالله وتوحيده سواء كان حصل لهم العلم من طريق الإيمان أو من طريق التجلّي في قلب الموحد.

وإيضاح ما قلناه أن الإيمان لا يصحّ وجوده إلا بعد مجيء الرسول والعلم يصحّ وجوده ولو لم يكن كما قال رسول الله ﷺ في قس بن ساعدة: «إنه سعيد وإنه يُبعَث أمة وحده لأنه علم توحيد الله تعالى من حيث نظره في مصنوعاته»[1] وما أخبر ﷺ عنه بأنه يبعث أمة وحده إلا لكونه لا يوصف في توحيده بأنه تابع ولا متبوع فإن التابع مؤمن والمتبوع رسول وليس قس واحدًا منهما.

ويصحّ أن يلغز بذلك فيقال لنا شخص بل أشخاص يموتون على غير الإيمان ومع ذلك يدخلون الجنة وهم قس وأضرابه من أهل الفترات وقد تقدّم تقسيم أهل الفترات في الكتاب إلى عشرة أقسام فاعلم ذلك. فقلت له: فإنّا نسمع اليهود والنصارى يقولون لا إلـٰه إلا الله فلأي شيء لم يسعدوا؟ فقال رضي الله عنه: إنما لم يسعدوا بها لأنهم ليسوا في زمن الفترات بل شريعة محمد ﷺ بين أظهرهم قائمة إلى يوم القيامة ولا يسعدون بها إلا إن قالوا لا إلـٰه إلا الله لقول محمد ﷺ لهم: «قولوا لا إلـٰه إلا الله»[2] فلما لم يكونوا يقولونها لقوله ﷺ شقوا بها فعلم أن الرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثَمَّ إلـٰهًا وإن ذلك إلـٰه واحد ثم بعد ذلك يقولون لا إلـٰه إلا الله لقول رسول الله ﷺ عن أمر الله وحينئذ يسمى مؤمنًا لأن الرسول أوجب عليه أن يقولها وقد كان هذا الموحّد عالمًا بها في نفسه من التجلّي الإلـٰهي في قلبه ومخيَّرًا في نفسه من التلفّظ بها وعدم التلفّظ. فقلت له: فإذن الموحد سعيد بأيّ طريق كان والسلام؟ فقال رضي الله عنه: نعم. فقلت له: فلِمَ لم يقل في هذا الحديث وإن محمدًا رسول الله؟

فقال رضي الله عنه: إنما لم يقل هنا وأن محمدًا رسول الله ﷺ لتضمّن هذه الشهادة بالتوحيد للشهادة بالرسالة فإن القائل لا إلـٰه إلا الله لا يكون مؤمنًا إلا إذا قالها امتثالاً لقول رسول الله: قل لا إلـٰه إلا الله كما مرّ آنفًا فإذا قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته على أنها قد جاءت في أحاديث أُخر. فقلت له: فلِمَ خصَّ ﷺ عصمة الأموال والدماء بالقول في قوله ﷺ: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـٰه إلا الله فإذا قالوها

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٣/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي في (السنن ٧٤٣، ٧٤٤)، والسيوطي في (الدرّ المنثور ٣/٣٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٨٥٨)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ١/١/١٣٥، ١٤٥، ٢/١/١١٥)، والواحدي في (أسباب النزول ١٤٩)، وابن كثير في (التفسير ٣/٣٠٨)، والطبري في (التفسير ٧/ ٢٠٨)، والقرطبي في (التفسير ١/٧٦).

عصموا مني»[1] الحديث، فقال رضي الله عنه: إنما خصَّ ﷺ القول بالحكم ولم يقل حتى يعلموا لا إله إلا الله لأن الشأن على التدريج شيئًا فشيئًا فأول الأمر قول ثم ظن ثم علم ثم يقين والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: قال لي بعض أهل الكتاب: نحن جعلنا مع الله إلـٰهًا آخر وأنتم جعلتم آلهة لا تُحصَى. فقلت: ما هي؟ قال: تقولون بأُلوهية الأسباب. فقلت له: هذا باطل عنًّا وإنما هذا كلام مَن هو خارج عن الصراط المستقيم فقال: إذا أنصفتم فنحن أقلّ شركًا بالله تعالى منهم انتهى فعليك يا أخي باتّباع العلماء العاملين من السلف والخلف وإياك وما انتحله غُلاة المتصوفة والله يتولى هداك.

(زمرّد): قلت لشيخنا رضي الله عنه: لِـمَ قال تعالى: ﴿وما من إلـٰه إلا إلـٰه واحد﴾ [المائدة: ٧٣] ولم يقل إلا إله واحد؟ فقال رضي الله عنه: لأن الواحدية حضرة الصفات والأحدية حضرة الذات والواحدية تطلب وجود أهل حضرتها بخلاف الأحدية فللّه تعالى رتبة لا تطلب أحدًا وله رتبة أخرى يقع فيه التنزيل لعقول العباد ولولا تنزل فيها ما عقلوا عنه أمرًا ولا نهيًا ولا عرفوه قطّ وكيف يعرفون مَن ليس كمثله شيء فإياك يا أخي أن تخلط بين الحقائق وتقول ما ثَمَّ إلا الله وتنفي عباده ومصنوعاته فتخطىء طريق الصواب فإن المراتب المعقولة قد ميَّزت النسب فإن الوجود من حيث كذا أمر آخر فهكذا افهم يا أخي إن أردت أن تلحق العلماء بالله عزَّ وجل فما ثَمَّ الأرب وعبد من حين فتق الله الوجود إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين.

(ماس): سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا طلب المعطي الشكر ممَّن أنعم عليه فلنفسه سعى إلى الجناب الإلـٰهي فإنها ما أعطى عبدًا شيئًا وأمره بالشكر إلا ليزيده من النِّعَم فهو تنبيه على الطريق الموصلة للزيادة في النِّعَم وهذا من الحق غاية الإحسان. فقلت له: حقيقة العطاء أن ينتقل ذلك الشيء عن ملك المُعطي وذلك مُحال في حق الحق. فقال رضي الله عنه: جميع ما أعطاه الله للعباد باطنه ابتلاء ومحنة لينظر كيف يعملون هل يدعونه لأنفسهم أو يرونه ملكًا لسيدهم فمَن لم يسبق إلى باله أو إلى رؤية النِّعَم عليها أنها من فضل سيده عليه زلَّت به القدم ووقع مُكبًا على وجهه. قال: ولو أن

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ١٧) (زكاة ١) (صلاة ٢٨) (استتابة ٣) (اعتصام ٢، ٢٨) ومسلم (إيمان ٣٢) وأبو داود (زكاة ١) (جهاد ٩٥) والترمذي (إيمان ١، ٢)(تفسير سورة ٨٨) والنسائي (زكاة ٣) (إيمان ١٥) (جهاد ١) (تحريم ١) وابن ماجه (مقدمة ٩) (فتن ١) والدارمي (سير ١٠) وأحمد بن حنبل (١، ١١، ٧٨، ٢، ٣١٤، ٣٤٥، ٣٧٧، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٧٥، ٤٨٢، ٥٠٢، ٥٢٧، ٥٢٨، ٣، ١٩٩، ٢٢٤، ٣٠٠، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٩٤، ٤، ٩، ٥، ٢٤٦).

النِّعَم لم يكن في باطنها ابتلاء ومحنة ما قال تعالى للخليفة: ﴿ولا تتّبع الهوى﴾ [صَ: ٢٦] بل كان يبيح له أن يحكم بما يشاء ولا يحجر عليه شيئًا فإن التحجّر ابتلاء بلا شك ولذلك نسب الخلفاء إلى العدل والجور ولو كانت الخلافة تشريفًا فقط ما نسبوا إلى شيء من ذلك ولما كان يتولى التحكّم في العالم فقط شقيّ ولا جبار فتأمل ذلك.

(**كبريت أحمر**): سألت شيخنا رضي الله عنه: هل الأصل في العالم الذكورة أو الأُنوثة؟ فقال رضي الله عنه: قد ذكر بعض المحقِّقين أن الأصل فيه الأُنوثة ولذلك سَرَت فيه بأسرها وكانت في النساء أظهر ولذلك حببت للأكابر حتى أن موسى عليه السلام آجر نفسه في مهر امرأة عشر سنين.

فقلت له: فمن أين جاءت الخنوثة؟ فقال رضي الله عنه: جاءت من تساوي ماء الرجل وماء المرأة فإن الحكم للأغلب من الماءين فإن تساويا جاء الولد خنثى[1] بإذن الله تعالى.

(**درّ**): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قول بعضهم الفقير مَن افتقر إلى كل شيء في الوجود ولم يفتقر شيء إليه هو؟ فقال رضي الله عنه: ما معناه إن الفقير إذا صحَّ له الاستناد إلى الله أطلعه على حكمته في وضع الأسباب فيرجع إليها بالله ويفتقر إليها تعبّدًا وحضورًا، وأما كونه لا يفتقر إليه شيء فلأن الأشياء إذا تعلقت بالتحقّق بالله وجدته مفتقرًا إلى الله تعالى متعلقًا به فلا تجده قابلاً لتعلقها به فترجع عنه فإذا رجعت فكأنها لم تفتقر إليه لأن الإنسان لا يفتقر لا لمَن يصحّ منه النفع وهذا لا يصحّ منه النفع ما دام متعلقًا بالله فافهم.

(**ماس**): سألت شيخنا رضي الله عنه، عن قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهوّدانه وينصّرانه»[2] الحديث.

فقلت له: فمن أين جاء كفر الأول الذي لا أب له؟ فقال رضي الله عنه: جاءه الكفر من المزاج الذي ركب عليه فلا يقبل إلا الكفر والله أعلم.

(**درّ**): سألت شيخنا رضي الله عنه: هل الأولى بالمريد البحث عن علل الأحكام قبل فعلها أم الإقبال على العمل بمجرد سماع أمر الشّارع بذلك أو العلماء؟ فقال رضي

---

(١) الخنثى: مَن جمع في جسمه أعضاء التذكير والتأنيث (ج) خنائى وخناث.
(٢) أخرجه الترمذي في (السنن ٢١٣٨)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٦/ ٢٠٢، ٢٠٣)، والألباني في (إرواء الغليل ٥/ ٤٩)، وابن عدي في (الكامل في الضعفا ١/ ٣٣٠، ١٧٤٤).

الله عنه: الأفضل المبادرة للعمل من غير معرفة علّته لأن الحكم إذا علّل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة. اهـ.

قلت: ومن كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه، نحن لا نعلّل ولا نطرد العلّة لأن الأمر لا يخلو إما أن يكون منطوقًا به فهو كما قال وإن كان مسكوتًا عنه فهو على حكم الإباحة والله أعلم.

(جوهر): قلت لشيخنا رضي الله عنه: إذا سألني أحد عن مسألة وكان من الحاضرين مَن يتضرّع لسماع جوابها لعدم فهمه له مثلاً ماذا أفعل؟ فقال رضي الله عنه: إذا كان الأمر كذلك كما قلت فاسكت وقل للسائل يترقب لجوابه وقتًا آخر لأنك إن أجبت السائل بما يوافقه تأذّى جليسه الذي ليس من أهل الذوق لا سيما إن كان كثير الجدال وإن أجبته بجواب يقتضيه مزاج المحجوب لم يقنعه ذلك ولم يثلج به صدره، ثم قال: وإن أعطاك الله تعالى وسعًا في العبارة بحيث يناسب جوابك جميع الحاضرين من أعلى وأدنى فأجب والله واسع عليم. فقلت له: فإذا علمت من السائل أنه يسأل امتحانًا؟ فقال رضي الله عنه: لا تجبه بل ولو أردت أن تجيبه لا تقدر لأن الامتحان يسدّ باب الجواب ولو كان ذلك الجواب لم يزل موقورًا في قلب العالم يتعسر عليه النطق به لسوء أدب ذلك الممتحن والله غفور رحيم.

(فيروزج): قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل آخذ عن أحد بعدكم إن سبقتم العهد بالوفاة؟ فقال رضي الله عنه: لا تنقيد بعدي على صحبة أحد من هؤلاء المشايخ الظاهرين في النصف الثاني من القرن العاشر لتعذّر الوفاء بحق كلٌ منهم على صاحبه لكن لا بأس بزيارتهم كل قليل.

فقلت له: فهل آمر بذلك جميع أصحابكم من بعدكم؟ فقال رضي الله عنه: لا تقيده على أحد منهم فإن لله تعالى خواص في كل عصر يقبلون الترقّي على يد مَن شاء الله تعالى على أن الطريق اسمًا لا رسمًا وتزيّ المريدون بزيّ الأشياخ وتلبّس على أكثر الناس أمر الشيخ وتمييزه عن المريد بل ربما ادّعى المريد أنه أعرف من شيخه بالطريق وتبعه أكثر الناس على دعواه قال:

ولمّا علم سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى انخلال القلوب من بعضها بعضًا لم يأمر مريدًا بالتقيد عليه ولا على غيره وكذلك تلامذته من بعده كالشيخ محمد بن عنان، والشيخ محمد بن المنير، والشيخ محمد النامولي، والشيخ يوسف الكردي، والشيخ أبي العباس الغمري فلم يتصدّر منهم أحد لتلقين المريدين، وقالوا لا ينبغي

للفقراء في هذا الزمان أن يتصدَّر أحد منهم للطريق لعدم اجتماع الشروط فيهم وفي مريديهم.

فقلت له: فما الدليل على ذلك؟ فقال رضي الله عنه: *الدليل على ذلك* الوجود المشاهد فيلقن الواحد لألف مريد فأكثر فلا ينتج منهم واحد لتخرق أوعيتهم عن مكث شيء من الآداب فيها فحكمهم كحكم مَن يفتح المكتب بعد عصر يوم الخميس ليقرىء الأطفال أو كالحجاج إذا رجعوا من الحج وأشرفوا على رؤية أوطانهم فلا يقدر أحد على انتظامهم ولا تقطيرهم كما كانوا في بداية السير وبتقدير أن الأطفال يأتون بهم إلى الفقيه بعد عصر يوم الخميس فلا يقدرون على جمعية قلوبهم على الفقيه بل قلوبهم شاتَّة وما مع الفقيه إلا أجسامهم من غير روح فافهم فإن الدنيا قد صارت الآن كالسفينة التي أشرفت بالناس على أوطانهم وهي موسقة من بضائعهم وحكم مَن يطلب منهم الطريق حكم مَن يقول ارجعوا ببضائعكم ثانيًا إلى السفر من غير داعية منهم وقد أخبرني ﷺ بمدة إبقاء شريعته من بعده وكمالها كما حدَّها في النقص بقوله ﷺ: «إن استقامت أمتي فلها يوم وإن لم تستقم فلها نصف يوم» واليوم من أيام الرب ألف سنة وأوله من ولاية معاوية رضي الله عنه ولما جاوزت النصف علمت أنها استقامت فلها ألف سنة استقامة ولكن كما كان بداية كمالها على التدريج كذلك يكون بداية نقصها على التدريج فلا تزال الشريعة ظاهرة يحكم بها إلى ثلاثين سنة من القرن الحادي عشر ثم يختلّ نظامها الأكبر وتصير كعقد انقطع سلكه وتتابع الآيات التي وعد الشَّارع أمته بها وهذا اليوم الذي هو ألف سنة وهو لبنة التمام وخاتمة الأيام الذي هو سابع أيام الدنيا من عهد آدم عليه السلام الذي هو أبونا الأقرب فلذلك اختصّ صاحبه بيوم الجمعة فلا يوم بعده ولا حساب بل تنقضي به جميع المؤاخذات والعقوبات الإسلامية.

ويبقى أهل قبضة الشقاء لا انقضاء لمؤاخذتهم فيومهم أبدي لا انتفاء لعذابهم كما لا انقضاء ليوم أهل الجنة، قال: وذلك هو يوم السبت فإن فيه يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار ضحوة النهار من يوم السبت فيخرج مَن يخرج من النار على اختلاف طبقاتهم وأكثر عصاة المسلمين مكثا في النار فمنهم مَن يمكث في النار مقدار خمسين ألف سنة ثم يخرج بالشفاعة المحمدية أو الملكية أو شفاعة أرحم الراحمين وصورة هذه الشفاعة أن تشفعه أسماء الحنان، واللطف، والرحمة عند أسماء الانتقام.

فقلت له: فإذن لا ندرك نحن زمن تعطيل الشريعة عن العمل بالكلية. فقال رضي الله عنه: نعم، لأن الظلمة لا تنتشر إلا بعد مضيّ ثلاثين سنة من القرن الحادي عشر فهناك تنتشر الظلمة وترفع الرحمة وتفقد الشموس والأقمار وتنعدم النجوم والأنوار:

﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [يس: ٣٧، ٣٨] فالشمس هي الشريعة، والبدر هو الحقيقة. فقلت له: فما نهاية سير شمس الشريعة وسلطان العمل على نقطة مركزها إلى سنة ستين وأربعمائة من الهجرة لأن ذلك الوقت هو انتهاء استوائها في سماء الأجسام وقبة الأعمال فلما مالت الشمس عن عرش الاستواء تحوّل سلطان الضياء ونزلت شمس الشريعة في سماء العمل إلى أرض العلم والجدل من غير عمل فحينئذ ظهر سلطان الحقيقة وطلع بدرها وأشرق في أرجاء سمائها ونطق لسان الصوفية بها فلا زال علم الحقيقة يسمو وينمو لظهور الحقائق العرفانية وشهود الطوالع الإيمانية حتى صار العوامّ يتكلمون بالحقائق وإن كانوا لا يشعرون فإن نور الحقيقة كلما ظهر غاض نور الشريعة وزمان الحقيقة غير محدود بل هو مطلق مستمر بين الله عزَّ وجل، فإذا استوت شمس الشريعة فهو وقت سلطانها وبعد ذلك ظهور سلطان غيرها وانعدمت الظلال عند الزوال وعمَّت الأنوار كل متحرك وقارّ بل اندرج الظل في المظلول وانعدم الدليل والمدلول والتحق الوجود بالعدم وانعدم الحدث بالعدم بوجود القدم ثم لا زالت شمس الشريعة هابطة ولنذر العرض طالبة ورابطة ولا بطان ما ظهر من النور ماحقة ولمركزها سابقة وسائغة فهناك تطاولت الحجب وامتدت النصب وكثرت الظلال والستور واندرجت الأنوار في الظهور ذلك موجود في آخر هذا القرن ويكمل في أوائل القرن الحادي عشر بحكم الوعد السابق ووافقه الكشف والذوق.

فإن الأمر قد اقترب وعن قريب ينفجر حجر الآخرة فإن عسكر الظلام قد أقبل وقبض العلوم قد وجد وقبض أصحابها وفاض الضلال كل ذلك حتى لا يختم يوم الدنيا إلا على حثالة[1] ولا يرتفع في منخل التحليل إلا النخالة وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدي عليه السلام وأخبره بوقت ظهوره وأنه قرب وقت ظهوره ورفع ستوره وأنه يخرج حين تملأ الأرض ظلمًا وجورًا كما كانت مُلِئت قسطًا وعدلاً. قال الشيخ: وقد وجد الظلم والجور حتى في خواصّ الناس وعوامّهم إلا ما شاء الله وكثرت الدعاوى في خواصّنا بغير حق وخرجوا بنفوسهم لدعوة الخلق إلى غير الحق كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة[2] بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفًا منشّرة كلا بل لا يخافون الآخرة، وكيف يخاف مَن صُمّت أُذناه وعميت عيناه بحلول الشيطان ووساوس الحرمان حتى صار لا يسمع قول الحق على لسان رسول الحق قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا

---

(١) الحثالة: الرديء من كل شيء، وما لا خير فيه(من الناس: رذّالهم وشرارهم).

(٢) القسورة: هو الأسد (ج) قساور وقساورة.

ومَن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وكيف يدّعي الوصول مَن هو عن عبوديته الكاملة مفصول وكيف اتصال مَن هو عن الحقيقة في انفصال انتهى والله أعلم.

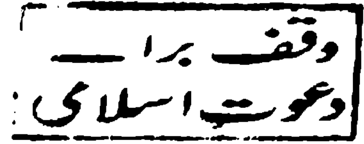
(ياقوت): قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل أضع وارداتي التي ترد على قلبي في كتاب بقصد نفع الإخوان بها؟ فقال رضي الله عنه: إن أعطاك الله تعالى قوة تحمي بها كلامك من اعتراض أهل الشبه والجدال فافعل وإلا فلا، فينبغي لك أن تضع لك تصانيف ولا أن تتكلم على الجمهور.

وقد كان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: إذا طلبوا منه وضع شيء في طريق القوم كتبي أصحابي والله أعلم وليكن ذلك آخر كتاب الجواهر والدّرر والوسطى وقد جاء بحمد الله كتابًا يخضع له عنق كل مَن ترك التعصّب والحميّة للنفس فإن فيه كل جواب لا يهتدي لإدراكه إلا أكابر العلماء رضي الله عنهم وما يعرف مقدار الرجال إلا الرجال والشرط عند أهل الله عزّ وجل إذا ألّفوا كتابًا أن لا يذكروا فيه قطّ كلامًا سبقهم أحد إلى وضعه في كتاب ولا يذكرون عن أحد من سلفهم حكمًا إلا على سبيل الاستشهاد لا غير فإن فتوحهم دائمًا جديد يتجدّد بتجدّد الأوقات فمَن سمّى مؤلّفهم مجموعًا فقد ظلمهم رضي الله عنهم أجمعين بالحمد لله الذي هدانا لهذا وأهلنا له وأرجو من مدد رسول الله ﷺ أن يكون جميع ما رقّمناه بأناملنا منقوشًا في نفوسنا ومحفوظاتنا في أرواحنا ليكون ذلك وسيلة إلى العمل بما فيه من الزواجر والقوارع ونسأل الله العظيم أن يخلّصنا من الدنيا بالرّضا والتسليم وأن يخلّص أهلها منّا بالنظر إلى عوراتنا دون عوراتهم وأن لا يفضحنا بظنوننا ودعوانا ولا بما خفي علمه علينا من عظيم زلأتنا وقبيح إرادتنا ودقيق خطراتنا.

وكيف لنا بذلك في هذا الزمان الذي هو محل ظهور العجائب المُهلِكة والأحوال الرديّة المقلوبة فإنّا قد استوفينا غالب الأعمال التي أهلك الله بها الأُمم الخالية والقرون الماضية وحلّت بنا نيّاتنا وتحكّمت فينا أعمالنا فحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم أقول قولي هذا وأستغفر الله من كل ذنب عملته إلى وقتي هذا عدد كل ذرّة في الوجود والحمد لله ربّ العالمين.

قال ذلك: وكتبه مؤلّفه العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الأنصاري خادم نِعال العلماء عفى الله تعالى عنه وذلك يوم الأحد حادي عشرين من شهر رمضان المعظّم قدره سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين آمين آمين.

تـمّ



فهرس المحتويات